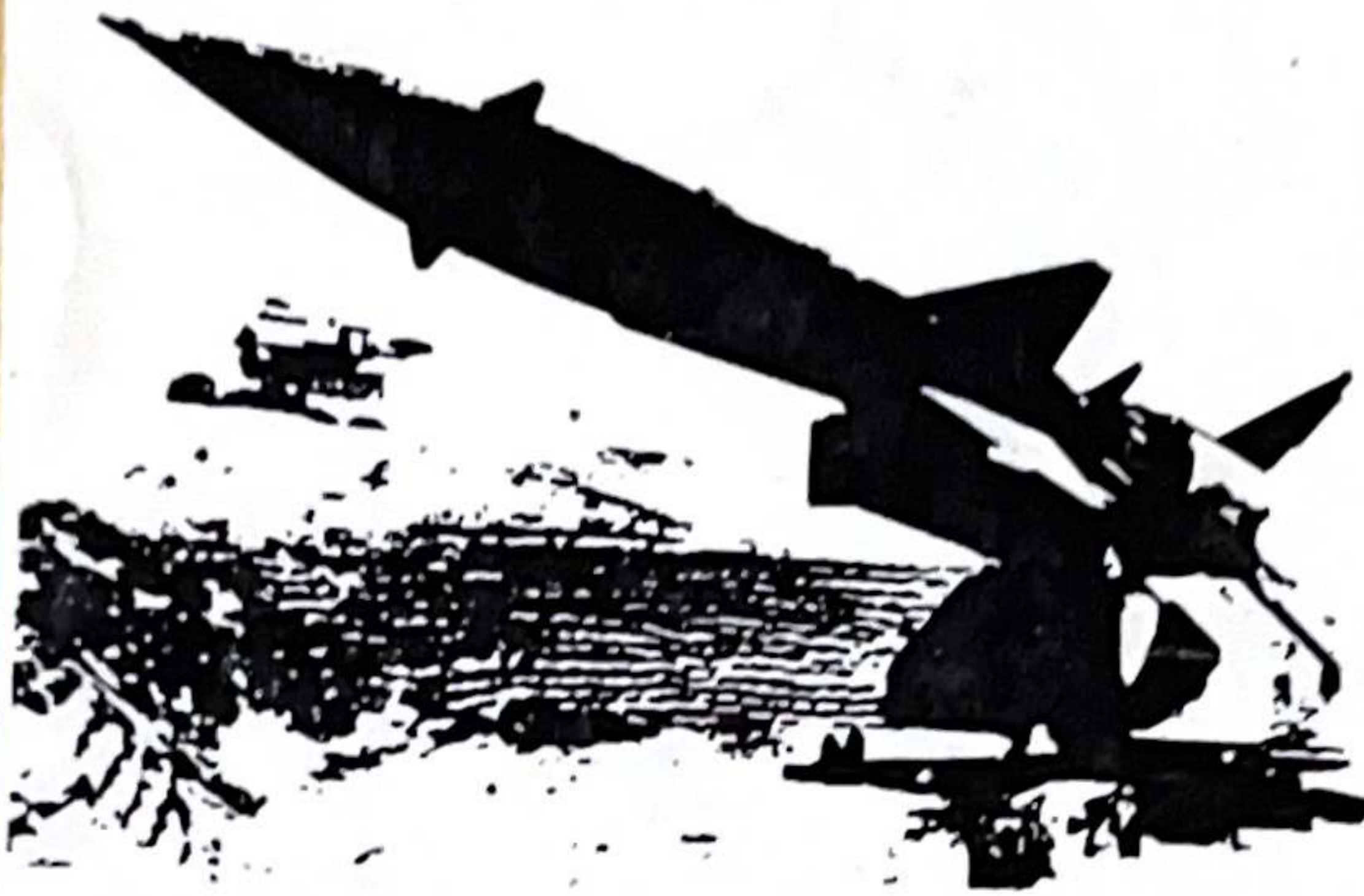


جمهورية مصر العربية  
الهيئة العامة للاستعلامات  
كتب مترجمة رقم ٧٣٥

The Electronic  
War in the  
Middle East  
1968-70



EDGAR O BALLANCE

الحرب الإلكترونية في الشرق الأوسط

تأليف : ادجار أوبالانس



جمهورية مصر العربية  
الهيئة العامة للاستعلامات  
كتب مترجمة رقم ٧٣٥

# الحرب الإلكترونية في الشرق الأوسط

١٩٦٨ - ١٩٧٠

تأليف  
أدجارو بلانيس



## شكر وعرفان

لقد حصلت على معظم المعلومات التي استعنت بها في هذا الكتاب خلال أحاديثي ، ومناقشاتي ، وزياراتي لجبهات المعركة وغيرها ..

وأود أن أتجه بالشكر بوجه خاص الى دينيس جرين لشرحه علم الالكترونات .. كما أنني وجدت عوناً كبيراً في تاريخ تسلسل الأحداث كما جاءت فيما نشرته صحيفة « الشرق الأوسط الجديد » تحت عنوان « ماذا حدث » ، كما أنني مدين أيضاً لهذه الصحيفة لترجمتها للخطب والوثائق العبرية والعربية .. هذا ، وأود أن أذكر بالشكر والعرفان مؤلفي وجامعي وناشري المؤلفات التالية التي قرأتها أو رجعت اليها فأفدت منها واستمتعت بها :

محمد حسنين هيكل : « جمال عبد الناصر » - دار النشر « دابلداي »  
نيويورك ( ١٩٧٢ ) .

جين : « الطائرات في كل العالم » .

جين : أنظمة السلاح .

كينزنج : المحفوظات المعاصرة .

معهد الدراسات الاستراتيجية بلندن : التوازن العسكري

معهد الدراسات الاستراتيجية بلندن : الدراسة الاستراتيجية .



## مقدمة :

تعتبر حرب الاستنزاف التي شنها الرئيس عبد الناصر واستمرت ثلاث سنوات منذ يولية ١٩٦٧ حتى اغسطس ١٩٧٠ أول حرب الكترونية في التاريخ ، وفيها تقاتلت دولتان عظيميان هما أمريكا والاتحاد السوفيتي ولكن بطريق غير مباشر ، وقامت كلتاها في مواجهة الأخرى باختبار أسلحتها الحديثة المتطورة والأسلحة المضادة ( وان كان القتال في المقام الأول بين الاسرائيليين والمصريين ) . وأخذ « الصيف الالكتروني للحرب » يبدو وكأنه قصة علمية خيالية فقد كانت الطائرات فيها تروغ وتنحرف للافلات من الصواريخ ، بينما يحاول كل من الخصمين أن تكون له الغلبة والتفوق على الآخر ، حيث كان يتزود باطراد ببراعم الوسائل الالكترونية المضاد ومهمات الكشف بالرادار ، وفي هذا الميدان البالغ التخصص حرصت على أن أجعل المصطلحات الفنية الخاصة بالرادار والتوجيه بالرادار والتشويش والمحاورة مبسطة جدا حتى في شرحها كي يتسنى للقارئ العادي ذى الدراية العلمية المحدودة أن يدرك ما كان يحدث آنذاك .

لابد أن هذه الحرب العلمية تبدو في عين من بهرته وكأنها حرب سحر وشعوذة حيث كانت الالكترونيات في أوج نشاطها .

وأوضحنا أنه اذا كانت المهمات تحتاج في تشغيلها الى «أسلاك» كالمفتاح الكهربائي والاضاءة الكهربائية ، فانها مهمات كهربائية - أما اذا تم تشغيلها « بدون أسلاك » فهي « الكترونية » . وربما كان هذا فراط في التبسيط ، ولكنه قد يكون كافيا . ولعل العقل ذو التركيب الفنى يريد المزيد من التفاصيل الدقيقة ، ولكن على أى حال لايزال الكثير من جوانب هذا الموضوع محظورا ، ومن ثم لن يكون من السهل اشباع رغبة السائلين تماما .

قد يقول البعض ان الحرب في فيتنام كانت حربا « الكترونية » ولكنها لم تكن كذلك تماما ، حيث اشتركت فيا قوات برية ضخمة . ولعبت الالكترونيات دورا طفيفا فقط وخاصة على جانب شمال فيتنام وفييت كونج ، ولكن الحرب لم تدر من حولهما ، بينما فوق قناة السويس وفي المراحل الأخيرة كانت الالكترونيات هي التي تسيطر على الحرب . ففي الحرب الالكترونية لم تتصادم القوات البرية الرئيسية ( ولو أنه كانت هناك غارات كثيرة من جانب الكوماندو في كلا الجانبين ) اذ وقفت قناة السويس حائلا بينهما ، ومن ثم كان دورها ثانويا الى حد ما .

لقد كانت أيضا حرب دعاية ، وحرب بيانات ، حيث كان من المستحيل التوفيق بين مزاعم وادعاءات المتحاربين . كان الاسرائيليون أكثر دقة



وصدقا ، فكانوا يختارون في اعلانهم عن الأرقام ما يثبتون به نقطة معينة أو يدفعون بها بالحجة نقطة معينة بينما كان المصريون يبالفون الى أبعد مدى في ادعاءاتهم مما قضى على معظم ما كان لهم من رصيد ثقة بأقوالهم . وقد حاولت أن أزيح جانبا أقنعه الدعاية الثقيلة ، ومن المحتمل جدا أن يكون ما رويته هنا هو ما حدث فعلا . ولم يكرس كل من الاسرائيليين والمصريين على السواء اهتمامهم الصادق ومواردهم للحرب . وكان الرئيس عبد الناصر ، وهو أول مصري يحكم مصر منذ نيف وألفى سنة مشغولا بمحاولة توحيد العرب ، أو على الأقل بتوحيد أكثر ما يمكن منهم تحت لوائه ، ولكن التواءهم وتعنتهم استنفزا الكثير من وقته وطاقته ، ثم كان الصراع بينه وبين الفدائيين . وأن الانسان ليدهن الى حد ما من أن يبان قد ساقه الى الحرب الالكترونية التي كان يخشاها كثيرا اعتقادا منه بأن الامريكيين قد يبرزون الروس ، وكذلك الاسرائيليون منهمكين في جبهات أخرى ، ومع الفدائيين أيضا .

كان الموقف غير مألوف في التاريخ ، فالعرب المهزومون لا يريدون ان يجلسوا على مائدة التفاوض مع الاسرائيليين كما جرت العادة مع المنتصر والمهزوم ، بل تجاهلوا ببساطة مجرد وجود الاسرائيليين . . . وهناك حقيقة أخرى لم تتأكد عموما ، وهي أن المصريين قد واجهوا مشكلة ضخمة ، وهي وجود ما يقرب من السبعمئة وخمسين الفا بلا مأوى ، أى ما يقرب من ثلاثة أرباع الفلسطينيين ، ولكن لم يتخذ منهم مأرب سياسى كالفلسطينيين ، وكان من السهل أن تمتصهم البلاد وأن يندمجوا ضمن الملايين الذين تزدهم بهم مصر .

وجاء وقف اطلاق النار في لحظة حيوية ، عندما كان الطرفان يستعدان « للبحولة الاخيرة » التي كان كل منهما يعتقد أنه سيكسبها . . . لقد تم ابعاد السلاح الجوى الاسرائيلي عن سماء مصر بعد أن كان يحلق فوقها بحرية لشهور طويلة ، وأصبح لا يستطيع أن يغامر الا بالكاد بالتحليق على بعد ثلاثين كيلو مترا غربى القناة . . . وبالرغم من ثقة الاسرائيليين ، فانه ما كان لهم أن يتفوقوا كما كانوا يتوقعون ، اللهم الا اذا كان في جعبتهم ما يخفونه من الكترونيات مضادة .

وبينما يتمتع الطيارون الاسرائيليون ، عن جدارة ، بسمعة حسنة من ناحية المهارة والشجاعة ، فإن هذه الصفات ان وجدت في المصريين كسانت غالبا موضع التجاهل ، ولكن يجدر بنا أن نذكر أن الطيارين المصريين المهزومين ، وعديمي الخبرة ، كانوا دائما يهجمون على الطائرات الاسرائيلية رغم الأضرار والخسائر ، وأن رجال المدفعية في مواقعهم بطول القناة كانوا يتشبثون بمدافعهم بالرغم من الهجمات المستمرة من جانب الطائرات أو المدفعية ، وأن الرجال الذين كانوا يعملون في احتياج شديد لاصلاح قواعد

الصواريخ سام التي دمرت ليلا ، قد اظهروا شجاعة ومثابرة واصراراً منقطع النظير . . . وهناك نقطة أخرى طالما اغفلت ، وهي أن القوات المصرية الخاصة « الكوماندو » كانت صلبة عنيدة وحسنة التدريب ، وكان نشاطها يشير قلق الاسرائيليين الى أبعد الحدود .

وعند طبع هذا الكتاب نشبت الحرب الخامسة بين العرب واسرائيل واخذت تتطور ، ومن ثم فإن هذا التقرير سيعتبر بمثابة المقدمة لصراع الكتروني أكثر تقدما .

ادجار اوبالانس



## ١ - كتب البقاء للرئيس عبد الناصر

« الآن وقد انتهت الحرب ، تبدأ المتاعب »

موشى ديان

من الخطأ أن يقال إن المصريين ، شأن بقية العرب ، قد صدموا من جراء الهزيمة القاسية وغير المتوقعة التي ألزها بهم الاسرائيليون في الحرب الثلاثة القصيرة بين العرب واسرائيل التي استمرت من الخامس الى العاشر من يونيو عام ١٩٦٧ والتي يعرفها الاسرائيليون باسم « حرب الايام الستة » ويسمونها العرب « حرب يونيو » . حقا لقد كان هناك وعد للمصريين لم يشكروا فيه اطلاقا بأن النصر سيكون حليفهم ، ولم تكن تخطر على بالهم فكرة التمرق لملاق أو ورطة ، كما أنهم لم يتصوروا أنهم سيتعرضون لكثرة وهزيمة كاملة . وحجبت الرقابة الصارمة والدعاية الانباء السيئة عن الشعب ، الفى بدأ يشعر فقط وبصورة مبهمه أن الامور لا تسير على ما يرام منذ اليوم الثالث من الحرب ، أى فى السابع من يونيو ، عندما أوقعت افاعة القاهرة البلاغات الحربية المثيرة واستبدلتها بتلاوة من القرآن .

وفى الثامن من يونيو كانت الطواير الاسرائيلية المدرعة تشق طريقها سريعا عبر صحراء سيناء واقتربت من قناة السويس حيث كان المصريون فى انسحاب كامل . . . . . وعندئذ أدرك كبار القادة المصريين تماما كيف أصبح الموقف ميؤوسا منه . وفى مساء ذلك اليوم اجتمع الرئيس عبد الناصر ببعض كبار الضباط ومن بينهم المشير عبد الحكيم عامر ، نائب القائد الأعلى ( وكان عبد الناصر هو القائد الأعلى للقوات المسلحة ) وقادة الجيش والطيران والبحرية ، وغيرهم من ضباط أركان حرب . . . . . وخلال مناقشات ومجادلات كثيرة ألح كبار ضباط على عبد الناصر أن يستقيل ، ولكنه صدهم ، وأنهى المؤتمر بقوله انه سيفكر فى الأمر وأنه سيذيع على الشعب بيانا فى اليوم التالي .

وسرعان ما وصل الاسرائيليون الى الشاطئ الشرقى لقناة السويس عند عتة تقاط ، وفى الساعات الاولى من التاسع من يونيو بدأ تنفيذ وقف اطلاق النار ، وأصبحت قناة السويس « فى الواقع » هى الحد الفاصل بين الجيشين المتحاربين . وكان معظم السلاح الجوى المصرى قد دمر فى ساعات قليلة ، وهزم الجيش المصرى فى سيناء وكان مؤلفا من تسعين ألف رجل ، وتم صده فى أربعة أيام ، وخسر فى هذه العملية فعلا معظم أسلحته وعرباته ومهمات الحديثة التى كان الاتحاد السوفيتى قد زوده بها مؤخرا .



وفي التاسع من يونيو ألقى الرئيس عبد الناصر خطاباً استقالته، المعروف وذلك عن طريق التليفزيون، وفيه أعلن « أن إسرائيل قد وجهت ضربة أقوى مما كنا نتوقع » .. واستطرد يقول « لا يمكن أن نخفي عمل أنفسنا حقيقة أننا قد منينا بنكسة خطيرة في الأيام القليلة الماضية .. عمل على استعداد لتحمل المسؤولية كاملة .. وقد قررت أن أتنحى عن كل منصب رسمي ومن كل دور سياسي وأن أعود إلى صفوف الشعب .. وعين خليفة له رئيس الوزراء السابق ذكريا محيي الدين صديق العمر، ورفيق من الضباط الثمنان الذين أطاحوا بالملك فاروق في عام ١٩٥٢ . وفي نفس اليوم استقال المشير عامر ، وكذلك شمس بدران ، وزير الدفاع .

وكان رد الفعل المباشر « لخطاب التنحي » أن احتشد الآلاف من أبناء الشعب ، والكثير منهم في بكاء ، في شوارع القاهرة والمدن المصرية الأخرى وهم يهتفون معلنين تأييدهم لعبد الناصر ويطالبونه بأن يبقى رئيساً للدولة .. وفي مساء ذلك اليوم ، أصدر مجلس الأمة الذي لم تكن لديه فكرة عن فداحة الكارثة أكثر مما كان لدى الشعب ، أصدر قراراً أطالب فيه الرئيس عبد الناصر بالبقاء رئيساً للدولة . ولم يتضح الموقف إلا عندما عاد الأحياء في غير نظام من سيناء وعاد أيضاً أسرى الحرب . ولم تقدر الأمة المصرية المدى الشامل للهزيمة تقديراً تاماً بفضل الدعاية الماهرة والرقابة . وقامت مؤسسات ومنظمات عديدة ، بما فيها القوات المسلحة وقسم الشباب في الاتحاد الاشتراكي العربي ( وهو الحزب السياسي الوحيد المسموح به ) وكثيرون من الشخصيات البارزة ، بتوجيه نداءات إلى عبد الناصر لكي يبقى .. ووجه ذكريا محيي الدين نفسه إذاعة مقتضبة أعلن فيها أنه لا يمكنه أن يقبل الرئاسة وأن الرجل الوحيد الذي يجب أن يقود مصر هو جمال عبد الناصر فكان هذا حسماً للأمر ، وفي اليوم التالي ، العاشر من يونيو أعلن عبد الناصر قراره بالبقاء في منصبه «أزاء تصميم الشعب على رفض استقالتي» .. وشك المعلقون الآخرون في تلقائية المظاهرات الموالية لعبد الناصر ، ورأى البعض أنها كانت مخططاً سياسياً مدبراً وأخيراً مسرحياً واثارة للمشاعر .. ولكن لم يظهر حتى الآن أي دليل مقنع يؤكد هذا التلميح .. ولا يمكن إنكار أنه في تلك اللحظات من الجهالة كانت شعبية عبد الناصر قد بلغت ذروتها لدى الجموع .

وما إن استقر للرئيس عبد الناصر مركز السيطرة والسلطة حتى شرع في القضاء على أية معارضة ممكنة من جانب القوات المسلحة المهزومة الموجودة والتي قد توجه إليه اللوم على هذه الكارثة وتحاول اقضاءه عن السلطة . وفي الحادي عشر من يونيو انقلب على كبار الضباط الذين كانوا نصحوه قبل أربعة أيام بالاستقالة ، وفصل ثمانية منهم بما فيهم الفريق محسن مرتجي القائد السابق للقوات المصرية في سيناء وأمير البحار سليمان عزت ، قائد البحرية ، أما الآخرون فهم بعض اللواتي في المراكز الرئيسية ، كما أنه فصل أيضاً أحمد سعيد المدير بالإذاعة .

وعين الفريق محمد فوزي ، رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة ، في منصب القائد العام للقوات المسلحة خلفاً للمشير عامر .

وكان عبد الناصر يعتبره كفواً ولكن ليس على قدر كبير من الدهاء السياسي .. وبهذا التعيين ألقى منصب المشير السابق كئيباً للقائد الأعلى .. وعاد الفريق عبد المنعم رياض لقواء بعد هزيمته في الأردن ليصبح رئيساً لهيئة أركان حرب القوات المسلحة ، كما عين أمير البحر فؤاد زكي قائداً للبحرية .. وهم جميعاً من أوفى المؤيدين لعبد الناصر كانوا قادرين على إحباط أي عصيان مسلح محتمل من جانب الضباط المتدربين . واستهدفت عمليات الفصل داخل القوات المسلحة ، ومعاينة من أخفقوا في المعركة .

وفي التاسع عشر من يونيو ، شكل الرئيس عبد الناصر حكومة جديدة برئاسة برناسته ، كما تولى في نفس الوقت منصب السكرتير العام للاتحاد الاشتراكي العربي .. وهكذا أمسك إلى جانب الرئاسة المراكز الثلاثة الكبرى في مصر ، وأصبحت السلطات السياسية والعسكرية والتنفيذية في قبضة يده .. ومن المؤكد أن عبد الناصر قد كتب له البقاء سياسياً . وعين محمد عبد الوهاب البشري وزيراً للدفاع والانتاج الحربي ، ولكنه استبدل بعد شهر أي في الحادي والعشرين من بولية بأمين هويدي وكان سفيراً وضابطاً سابقاً بالجيش .

ومن ناحية أخرى كان الموقف العسكري من أسوأ ما يكون . لقد تحطم الجزء الرئيسي من القوات المسلحة المصرية ، بما في ذلك خسارة ثلثي طائراتها المقاتلة التي كانت تقدر بأربعمئة وخمسين طائرة ، وحوالي الثمانمائة من دباباتها التي كانت تبلغ ألف دبابة ، وكل المهمات التي كانت قد نقلتها إلى سيناء ، وبددت فرقتان مدرعتان وخمس فرق مشاة واثنتان عشرة وحدة مدفعية ، ولم تعد ذات فاعلية وأصبح كل ما تبقى لمصر فرقة مدرعة تحت التكوين ، واثنتي عشرة وحدة كوماندو صغيرة ، وبضعة مراكز تدريب ، وفصائل إدارية . والوحدة العسكرية المنظمة الوحيدة كانت هي القوة المصرية الصغيرة الموجودة بعيداً في اليمن ، وقد انخفض تعدادها إلى ما يقرب من خمسة عشر ألف رجل ، حيث أعيد لواءان منها إلى مصر ويقدران بخمسة آلاف جندي ، فقد تم استدعاؤهما عندما نشبت حرب يونيو .. لقد كانت لإسرائيل السيطرة التامة في الجو ، وكانت مصر على حافة انهيار عسكري ، ولم يكن هناك ما يحول دون عبور الإسرائيليين لقناة السويس والزحف إلى القاهرة وقد قال عبد الناصر فيما بعد « لم يكن لدينا دفاع على الضفة الغربية من القناة ولم يقف جندي واحد بين العدو والعاصمة .. فقد كان الطريق إلى القاهرة مفتوحاً .. وكان المأزق المصري شبيهاً بالمأزق البريطاني في دنكرك » .

ولما كانت مصر قد خسرت تلك الكميات الضخمة من السلاح والمهمات السوفيتية ، فقد ساور الحكومة المصرية الشك فيما إذا كان السوفييت في صرامتهم قد يبعثون إلى مصر بأي معدات أخرى .



ونظرا لما كان هناك من نفور سابق من مصر ازاء حكومات أمريكا وبريطانيا وفرنسا ، كان هناك يأس من هذه الحكومات ، ولو أنه لم يستمر طويلا . . . ومع ذلك فليس في هذه النقطة ما يدعو الى القلق . ففي الثامن عشر من يونية صرح وزير خارجية الكويت في اجتماع وزراء الخارجية العرب في الكويت أن الحكومة السوفيتية وعدت بومدين خلال زيارته الاخيرة لموسكو بتعويض كل خسائر العرب في حرب يونيه . . . وكان من دواعي الدهشة لدى الجميع ما تأكد من صدق هذا الوعد . ففي العشرين من يونية ، أي بعد أكثر من أسبوع منذ انتهاء حرب يونيه ، ظهر في القاهرة المارشال زخاروف ، رئيس أركان حرب الاتحاد السوفيتي ، وفي صحبته بعثة عسكرية سوفيتية كبيرة . . . والى جانب زبارتين قصيرتين لسوريا ، مكث في القاهرة أسبوعين .

ولكن الأمر الذي كان أكثر إثارة هو أن بودجورني ، رئيس الاتحاد السوفيتي وصل الى القاهرة في اليوم التالي ، أي في الحادي والعشرين من يونية ، حيث قضى ثلاثة أيام في محادثات مع عبد الناصر .

وبالرغم من أن بودجورني كان يشعر بالقلق ازاء ما خسرت مصر من عتاد في حرب يونيه ، والاستخفاف الصارخ من جانب المصريين ازاء نصائح السوفييت فيما يتعلق بالاستراتيجية والتدريب والتكتيك ، فإن بودجورني اختار مساندة عبد الناصر أكثر من مساندته لأي زعيم عربي آخر ، حيث أن الاتحاد السوفيتي كان يسعى الى التغلغل ومد نفوذه في الشرق الاوسط وأفريقيا .

وأكد بودجورني علانية تأييده لمصر ضد إسرائيل ، وذلك بموافقته على تقديم المساعدات المالية والاقتصادية والعسكرية ، ولكنه في هذه المرة اتجهت نية الاتحاد السوفيتي لأن يكون له اشراف أكثر دقة وتحكما على الاسلحة التي يبعث بها الى مصر . ونسب بعد ذلك الى بودجورني قوله : « سنحتفظ في أيدينا وفي كل مكان بمفتاح الاسلحة التي سنعطئها لهم (١) » . وفي العاشر من يولييه ألق أسطول سوفيتي الى مينائي بور سعيد والاسكندرية تأكيدا لمساندة السوفييت لعبد الناصر ، وللمساعدة في ردع الاسرائيليين اذا كان هناك ما يفريهم بالتقدم غربا .

كانت مهمة المارشال زخاروف تحديد كمية العتاد اللازم للدفاع المباشر عن مصر وتدريب شحنه اليها ، ووجود بعثة عسكرية سوفيتية مقيمة تساعد المصريين على استيعاب هذا العتاد والاشراف على استخدامه .

وفي الخامس والعشرين من يونية وصلت الى مطار غربى القاهرة أول شحنة من الاسلحة عن طريق الجو ، وتلتها شحنات أخرى على فترات قصيرة ومستمرة . وخلال أسبوعين مبطت مصر مائتا طائرة نقل سوفيتية حيث أفرغت المهمات التي كانت في صناديقها ، ومعظمها ذات طابع دفاعي ، مثل مدافع الهاون وبنادق الميدان والطائرات المقاتلة . . . وكان من ضمن هذا العتاد عدد قليل من قاذفات القنابل والمدافع البعيدة المدى .

واستعادت مصر المعدات الحربية التي كانت لا تزال مغلقة في الصناديق والتي كانت قد سارعت بتخزينها في اليمن خلال حرب يونية حتى تكون في مأمن (٢) . وخلال أشهر الصيف وصلت الى الموانئ المصرية أسبوعيا على الأقل سفينتا شحن سوفيتية لتفريغ مهمات عسكرية . . . ومن المسلم به عامة أنه حتى منتصف أكتوبر كان قد تم استعواض ستين في المائة من خسائر مصر في حرب يونية .

وقد أثار قرار إعادة تسليح مصر دهشة الكثيرين ، ولكنه فزع الاسرائيليين خاصة ، حيث لاحظت مدى السرعة والفاعلية التي تم بها ذلك .

وهكذا أخذ يسير برنامج إعادة التسليح ، وأصبح عبد الناصر واثقا من نفسه ، فأخذ يلهو بشن الهجوم المضلل في اليمن . ففي أثناء حرب يونية ألح الملكيون ، الذين كانوا يحاربون الجمهوريين الذين تساندتهم مصر ، أن يسحب عبد الناصر قوة جيشه الصغيرة ليستخدمها في حربه ضد الاسرائيليين بدلا من استخدامها ضد الملكيين ، مؤكدين أنه لو فعل ذلك فانهم لن يهاجموا الجمهوريين في غيبة هذه القوات . . . ولكن عبد الناصر لم يرد عليهم ، بل قامت الطائرات المصرية في الخامس والسادس من يونية ، أي في اليومين الاولين من حرب يونية ، بقصف الملكيين تحذيرا لهم كي يلزموا حدودهم . . . وشعر الملكيون الذين يتمتعون بمساندة السعودية بجرح كبريائهم فبدؤوا هجوما حقق بعض النجاح . وما أن انتهت حرب يونية ، وأفاق عبد الناصر من خوفه ، وعادت الاسلحة السوفيتية تتدفق على مصر من جديد ، حتى تم تعزيز الحامية المصرية الى أن بلغ تعدادها خمسة وعشرين ألف رجل ، تساندتهم الطائرات والمدفعية والمصفحات وتساعدت العمليات ، ونجحت في استعادة معظم الاراضي التي كان الملكيون قد استولوا عليها .

كانت قناة السويس عاملا له أهميته الاستراتيجية الكبيرة . وبسبب التدخل المزعوم من جانب أمريكا وانجلترا في حرب يونية ، أغلق عبد الناصر القناة رسميا في وجه سفن هاتين الدولتين وتلك التي تتعامل معهما .

والواقع أنها كانت غير صالحة للملاحة بالنسبة للجميع خلال حرب يونيه بسبب تفوق الطيران الاسرائيلي ونشاطه . وفي الحادي عشر أعلن رئيس هيئة قناة السويس أن القناة قد أغلقت حيث أن الاسرائيليين أغرقوا عدة مراكب فيها ولكنه رفض الافصاح عن أسماء هذه المراكب وجنسياتها . وواقع الأمر أن القناة أغلقت عمدا بناء على أوامر عبد الناصر ، حيث كانت هناك سفينتان « شبه غارقين » ، وهما من سفن الحجاج المصرية ، حمولة الواحدة منها ثمانية آلاف طن ، وذلك جنوبى بور سعيد ، كذلك كان هناك حوضان عائمان « نصف غارقين » وكانا مملوئين بالأسمنت بين الاسماعيلية والبحيرات المرة الكبرى ، ومركب صهريج مصرية حمولة خمسة آلاف طن ، وكانت تسد مدخل القناة جزئيا بالقرب من ميناء السويس (٢) . . . والى جانب ذلك ، كانت هناك خمس عشرة سفينة أجنبية ، منها أربعة بريطانية ،



وأصبحت « حبيسة » في البحيرات المرة الكبرى ، ولكن تم اجلاء معظم ملاحيتها على يد المصريين بمجرد انتهاء حرب يونية ولم يبق على ظهرها سوى عدد قليل من طاقمها .

وكان البترول أيضا عاملا استراتيجيا ذا أهمية كبرى . ففي السادس من يونية فرضت دول البترول العربية حظرا على كل مبيعات البترول الى بريطانيا وأمريكا ، وظل هذا الحظر قائما حتى بعد حرب يونية ، ولكن ما كادت تمر بضعة أيام حتى بدأت تلك الدول تشعر بالضيق الاقتصادي . . . وكانت السعودية أول من أبدى تذمره ، وكان ذلك في الثلاثين من يولية عندما سلم وزير البترول السعودي في مؤتمر صحفي بأن الحظر قد أثر باقتصاد بلاده التي خسرت أحد عشر مليون جنيه في أربعة وعشرين يوما . . . وفي نفس اليوم قالت إحدى الصحف الكويتية ان الالتزامات بتنفيذ هذا الحظر قد تسبب في هبوط داخل الحكومة بنسبة أربعين في المائة . . . وفي السابع من يولية صدر بيان للحكومة السعودية أعلنت فيه أنه لم يعد هناك داع للاستمرار في حظر توريد البترول الى أمريكا وبريطانيا حيث قد ثبت الآن أنه لم يكن لهما دخل في حرب يونية . . . وأضاف البيان بطريقة لاذعة أن الدول العربية ليس هي المصدر الوحيد للبترول في العالم . . . ومع ذلك استمر الحظر قائما ، ويرجع ذلك بوجه خاص الى الضغط من جانب سوريا والجزائر .

في الثاني عشر من يونية ، عندما أعلنت تونس تضامنها مع مصر وعرضت ارسال قوات تونسية لمحاربة الاسرائيليين ، استؤنفت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين بعد أن ظلت مقطوعة منذ أكتوبر عام ١٩٦٦ . وفي الخامس عشر من يونية طار الرئيس السوري الاتاسي الى القاهرة لمقابلة عبد الناصر ، وفي اليوم التالي سافر عبد الناصر الى الجزائر لاجراء محادثات مع بومدين .

وفي العاشر من يولية كان في القاهرة كل من بومدين وحسين ملك الاردن لاجراء محادثات مع عبد الناصر ، وفي الحادي عشر لحق بهم عارف رئيس العراق . وفي الثالث عشر وصل الى القاهرة رئيس وزراء سوريا لمقابلة عبد الناصر ، ولحق بهما اسماعيل الازهرى ، رئيس السودان .

وعاد جمال عبد الناصر ليتبوأ مركزه كسياسي رائد للشرق الاوسط .

وانتهت هذه الجولة الأخيرة من محادثات القمة العربية في السادس عشر من يولية ، واقتصر البيان على القول بأن رؤساء مصر وسوريا والعراق والجزائر والسودان اتفقوا على « الخطوات لازالة آثار العدوان الاسرائيلي ضد البلاد العربية » . . . ولكن اتخذت الخطوات لعقد المزيد من الاجتماعات ، واقترح عقد اجتماع لوزراء الخارجية العرب بالخرطوم في القريب العاجل . . . وفي نفس الوقت كان المنتصرون ينتظرون عبثا أن يأتي المهزومون الى مائدة

المفاوضات لمناقشة تسوية ما بعد الحرب . . . وكان رئيس وزراء اسرائيل ، اشكول ، قد صرح بأنه « مستعد لمقابلة الرئيس عبد الناصر والملك حسين والزعماء العرب الآخرين ، في أي مكان وأي زمان ، من أجل اجراء محادثات السلام » ولكنهم لم يستجيبوا له ، بل أثروا أن يجتمعوا فيما بينهم . . . كذلك كان موسى ديان ، وزير الدفاع الاسرائيلي ، ينتظر في أمل ، وقد نسب اليه فيما بعد قوله « كنت أترقب أن يدق جرس التليفون في أي وقت خلال الصيف ليحمل لي شروط الصلح من العرب » .

عقد وزراء الخارجية العرب اجتماعاتهم السرية في الخرطوم من أول أغسطس الى السادس منه ، واختتموا اجتماعهم ببيان مقتضب أكدوا فيه تصميمهم على « استئصال كل آثار الامبريالية الصهيونية على الأرض العربية » . . . وأكدت التقارير الصحفية معارضتهم لاية صورة من التفاوض مع اسرائيل ، ولكنهم لم يكونوا على مثل هذا الاتفاق بالنسبة للموضوعات الأخرى ، فقد كان معظمهم يعارضون المقترحات الجزائرية والسورية الخاصة بشن حرب عصابات ثورية ضد اسرائيل على غرار حرب فيتنام . بينما اعترضت السعودية والكويت وليبيا على تشديد الحظر ضد أمريكا وبريطانيا والمانيا الغربية ، وطالبت تونس بمزيد من المحاولات الدبلوماسية الفعالة والدعاية والاقبال من قحقة السيوف والثروة . . . وظل البترول عامل تفرقة بين العرب ، وسعيت الدول « الفقيرة » الى فرض وجهات نظرها على « الدول الغنية » . . . وللتوصل الى سياسة مشتركة اجتمع وزراء المالية والبترول العرب في بغداد من الخامس عشر الى العشرين من أغسطس ، ولكن يبدو أنهم لم يصلوا الى أي حل ، وكل ما جاء في بيانهم دعواهم بأنهم « قد حققوا روح تضامن عربي » . . . وظل البترول مقطوعا من الدول العربية عن الغرب .

وكان هناك موضوع آخر محل شيء من النزاع ، وهو استمرار اشتراك مصر ، ولو بصورة مصغرة ، في اليمن لتأييد حكومة الجمهوريين ضد الملكيين الذين تساندتهم السعودية ، فهي حرب دفعت اثنتين من أهم الدول العربية لأن تقف احدهما في وجه الأخرى ، بل جعلتهما أيضا تتحاربان بصورة غير مباشرة . . . وأخذ محجوب ، رئيس وزراء السودان ، على عاتقه دور رجل السلام ، فقام بزيارة كل من الرئيس عبد الناصر والملك فيصل ، وأعلن في الرابع والعشرين من أغسطس أن كلا الزعيمين قد وافق على العمل من أجل تسوية على أساس « المشروع السوداني » ، ولكنه لم يكشف عن أية تفاصيل . . . وقد فهم بوجه عام أن المشروع السوداني ينص على انسحاب مرحلي للقوات المصرية ، وانتهاء المساندة المالية وغيرها للملكيين من جانب السعودية ، واجراء استفتاء لتقرير الصورة المستقبلية للحكم في اليمن .

وبعد اجتماع تمهيدى لوزراء الخارجية لاعداد جدول الاعمال ، عقد بالخرطوم في الثلاثين من أغسطس مؤتمر لمعظم الرؤساء العرب أو ممثلهم ،



وتخلف عن الحضور رئيس مهم ، هو بومدين .. كما ان رئيس وزراء سوريا حضر الى الخرطوم ممثلا بلاده ، ولكنه لم يشترك في الجلسة الافتتاحية بل طار عائدا الى بلاده في نفس اليوم .. لقد كانت كل من الجزائر وسوريا تناديان بحرب عصابات على غرار حرب فيتنام الامر الذي عارضه المعتدلون ..

ولما عاد رئيس الوزراء السوري الى بلاده عقد حزب البعث الحاكم اجتماعا طارئا وأصدر قرارا أعلن فيه « ان حرب التحرير الشعبية هي الوسيلة الوحيدة لطرد القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة » .

انتهى مؤتمر الخرطوم في الثالث من سبتمبر .. وكانت القرارات الأساسية هي ضرورة استئناف تدفق البترول الى الغرب ، وأن على دول البترول الغنية تقديم المعونة الى مصر والاردن نظير خسائرها في حرب يونيو ، وإلى مصر نظير الخسائر في دخلها بسبب اغلاق قناة السويس .. كما يجب اتخاذ جميع الخطوات لتعزيز القوة العسكرية العربية . وعلى سبيل المثال ، بلغت قيمة العائد من قناة السويس في عام ١٩٦٦ أربعة وسبعين مليوناً من الجنيهات ، وثلاثة أرباع هذا المبلغ هي من رسوم مرور البترول .. وما يقرب من الثمانية والعشرين مليوناً مقابل الخدمات والمساعدات . وبلغ عدد السفن التي مرت بالقناة خلال هذا العام .

ولكن لعل ما كان أكثر أهمية وأبعد أثراً هي المبادئ الثلاثة التي أعلنت ، وهي « لا اعتراف » ، ولا مفاوضات ، ولا صلح مع اسرائيل » .

ولم يذكر أي شيء رسمي عن اليمن ، ولكن المعتقد أن عبد الناصر قد وافق على سياسة الانسحاب التام حيث فقد فجأة اهتمامه بهذه البلاد بعد مؤتمر الخرطوم ..

وفي الثالث من الشهر أعلنت اذاعة القاهرة أن قناة السويس ستظل مغلقة ، طالما أن مصر ستتلقى من السعودية والكويت وليبيا المساعدة التي وعدت بها . وقد سبق للجنرال أود بول ، رئيس لجنة الأمم المتحدة للإشراف على الهدنة أن أعلن في السادس والعشرين من أغسطس أن كلا من اسرائيل ومصر قد وافقت على عقد اتفاق بالامتناع عن الملاحة عبر القناة ، وذلك الى أجل غير محدود ، ويستثنى من ذلك مرور الزوارق المصرية لنقل الامدادات الى السفن الاجنبية الجائحة في البحيرات المرة الكبرى .

وفي الثالث من سبتمبر ، أصدر رئيس وزراء اسرائيل ، أشكول ، بياناً يبدى فيه أسفه لقرارات مؤتمر الخرطوم التي أثبتت أنه وإن كان عبد الناصر قد خسر الحرب فإن سرعان ما كسب السلام . ان الموقف العنيد الذي يتمثل في المبادئ الثلاثة ، أي « لا اعتراف » ، ولا مفاوضات ، ولا صلح ، قد أقنع الاسرائيليين بأن عليهم أن يتخذوا تدابير أكثر شدة لاجبار العرب على احترام وقف اطلاق النار ، وهذا يعنى التخلي من جانب

اسرائيل عن سياسة السكوت وعدم التحرك التي حاولت أن تنتهجها وتتبع سياسة الأخذ بالتار والانتقام . وظهر موقف أشد صرامة عندما صرح أبا ايابان ، وزير خارجية اسرائيل ، في الرابع عشر من سبتمبر بأن خريطة الشرق الأوسط لما قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧ قد مزقت بلا رجعة ، وإن البديل الوحيد لخطوط وقف اطلاق النار الحالية هو حدود جديدة يتم التفاوض حولها بحرية ، تضمن السلام والأمن في المنطقة . ولكن العرب لا يزالون ممتنعين عن الاستجابة لذلك . وفي العاشر من الشهر أعلنت الحكومة الاسرائيلية أنه ما لم تنشأ محادثات مباشرة للسلام خلال اجتماع الأمم المتحدة ( المقرر بدؤه في الثاني والعشرين ) فإن اسرائيل ستبقى في المواقع التي احتلتها منذ وقف اطلاق النار بانتهاء حرب يونيو .

وعلى أية حال ، فإن عبد الناصر لم ينته بعد من إعادة التنظيم الداخلي ، وتبين له أن حلقة من الساخطين الخطرين بدأت تحسوم وتلتف من حول المشير عامر ، حيث قام بعض الضباط المفصولين بزيارته في داره التي تقع باحدى ضواحي القاهرة ، أما الضباط في القوات المسلحة فكانوا بوجه عام يشعرون بالألم من جراء هزيمتهم ، وسرعان ما انهارت هيبتهم وكان الكثيرون منهم يخجلون من ارتداء زيهم العسكري علانية في العاصمة .. كان معظم الضباط يكونون الاحترام العميق للمشير عامر الذي كان على سبيل المثال ، قد قاد حملة رمضان الرائعة في اليمن في مستهل عام ٦٣ والتي أدت الى وضع ما يزيد على نصف هذه البلاد تحت سيطرة الجمهوريين . وفي الرابع من سبتمبر أعلن فجأة في صحيفة الاهرام أنه قد تم اعتقال المشير عامر ونحو الخمسين من الضباط والمدنيين ، ومن بينهم شمس بدران وزير الدفاع السابق ، وذلك لتأمرهم للسيطرة على القوات المسلحة والاهرام صحيفة قاهرية ، يرأس تحريرها محمد حسنين هيكل ، وهو صديق لعبد الناصر وموضع ثقته ، وكان يسود الاعتقاد أن وجهات النظر والآراء التي تنشرها الصحيفة تعكس وجهات نظر وآراء الرئيس ، الأمر الذي جعل الاهرام تبدو وكأنها صحيفة شبه رسمية .

وفي الخامس من الشهر فصل الكولونيل « صلاح نصر » ، مدير المخابرات ، وتولى وزير الدفاع ، أمين هويدي ، المسؤولية اثناء التحقيق مع الادارة وبدأت تفاصيل أخرى تتوالى تدريجياً في الاعداد الملاحقة من الاهرام .. ففي الثالث عشر من الشهر اذاعت أنه قد تم أيضاً اعتقال نصر وعباس رضوان الذي كان وزيراً للداخلية عند نشوب حرب يونيو .. وقيل بأنهما مع المشير عامر وشمس الدين بدران كانا يحاولان تشكيل « مجلس شورى » بهدف تعيين بدران رئيساً للوزراء وإعادة عامر الى منصبه الأول ، فإذا ما رفض عبد الناصر هذه المطالب كان على المشير عامر أن يزحف بلواء مدرع الى القاهرة .. ولكن تم اعتقاله في اليوم السابق على تنفيذ هذا المخطط الذي كان مقرراً تنفيذه كما قالت الاهرام - في السادس والعشرين من أغسطس .



وفي الخامس عشر ، أعلنت اذاعة القاهرة أن المشير عامر قد انتحر في اليوم السابق ، وأوضحت أنه عندما قام الفريق محمد فوزي وعبد المنعم رياض بزيارة المشير عامر في منزله في الثالث عشر من الشهر ، استاذنهما ودخلا إلى الحمام ، وتناول سما لم ينج منه . وسرعان ما قامت الشكوك أنه قد أجبر على قتل نفسه ، ولكن الحكومة والأهرام وصفتا بالتفصيل تسلسل الحادث وطريقته . . . وفي التاسع عشر ، ذكرت الأهرام أن مائة وتسعة وأربعين شخصا قد اعتقلوا بتهمة اشتراكهم في مؤامرة عامر للسيطرة على القوات المسلحة . . .

والى جانب ذلك ، أخذ عبد الناصر يتصرف مع المسؤولين عن الهزيمة المصرية في الميدان وأعلن في الخامس والعشرين من سبتمبر أنه مستم محاكمتهم بعد التحقيق معهم أمام لجنة خاصة ، وكان أربعة منهم قد مثلوا أمام محكمة عسكرية في الثلاثين من أكتوبر . وكان جميعهم من كبار ضباط سلاح الطيران ، وهم محمد محمود صدقي ، القائد السابق للسلاح جمال عفيفي ، رئيس هيئة أركان حرب السابق ، عبد الحميد الدغدي ، القائد السابق للمنطقة الشرقية ، واسماعيل لبيب ، المدير السابق للدفاع الجوي . . . ولم تعلن جوانب الاتهام حيث أن المعلومات التي تتضمنها - كما قيل وقتئذ - قد تقييد العدو ، وتمت الموافقة على طلب جعل المحاكمات سرية .

وأصبحت قنصة السويس هي الحاجز الواضح بين القوات البرية المتقاتلة وذلك باستثناء مثلث من المستنقعات والبحيرات الملحة حول بور فؤاد عند الطرف الشمالي على الضفة الشرقية ، والتي كانت في قبضة المصريين ، ولو أن التحرك كان مقيدا إلى أقصى حد بسبب طبيعة الأرض . . . كان الاسرائيليون موجودين بالضفة الشرقية ، والمصريون على الضفة الغربية بطولها . ولم يمض غير قليل حتى بدأ الاحتكاك المسلح . . . ووقع أول صدام في اليوم الأول من يولييه ، غير أن التفاصيل لم تكن دقيقة حيث تضاربت الروايات من كلا الجانبين ، فقد ادعى الاسرائيليون أن قرابة المائة والعشرين من المصريين قد عبروا بالزوارق قناة السويس بالقرب من رأس العش بين القنطرة وبورفؤاد وأطلقوا النار على المواقع الاسرائيلية بطول شاطئ القنصة قاصبوا عدة جنود بجراح . وقال المصريون : أن الاسرائيليين قد حاولوا الزحف شطر بور فؤاد ، أي إلى المثلث الذي يربط به المصريون ، ولكن المصريين صدوهم ودمروا لهم ست دبابات وفي الثالث من يولييه سلم الاسرائيليون بوقوع أول عمل تخريبي في سيناء حيث خرج فيه قطار عن خطه الحديدي . وفي الخامس منه قتل ضابطان اسراييليان نتيجة قصف بمدافع الهاون من الضفة الأخرى للقناة ، وفي الثامن من يولييه ، عندما قصف المصريون المواقع الاسرائيلية بالقرب من القنطرة اعترف الاسرائيليون بمقتل خمسة وجرح واحد وثلاثين ، وكان على سلاح الطيران الاسرائيلي أن يتدخل ضد المدافع المصرية .

أما البحرية الاسرائيلية التي لم تتح لها فرص كثيرة لإثبات مجدها في حرب يولييه ، فقد أثبتت وجودها في الثاني عشر من يولييه ، فقد حدث أن هاجم اثنان من زوارق طوربيد المصرية زورقي طوربيد اسراييليين بالقرب من خليج روماني عند الشاطئ الشمالي لسيناء ، وعندئذ تحركت المدرعة الاسرائيلية ايلات التي كانت على مقربة من المكان ، وأغرقت الزورقين المصريين . ولم تصب السفينة الاسرائيلية بأضرار ، ولكن الاسرائيليين اعترفوا بأن ثمانية من البحارة قد أصيبوا بجراح . . . والتزم المصريون الصمت حول هذا الحادث .

لقد تولد الاحتكاك نتيجة قيام كلا الطرفين باحضار أسلحته إلى حافة القناة ليصف الطرف الآخر الذي كان على مرمى قريب منه . . . ووقع أعنف قتال منذ حرب يولييه في الرابع عشر من يولييه عندما فتحت المدافع الهاون نيرانها عبر الممر المائي في عدة مواقع وخاصة بالقرب من القنطرة والفردان والاسماعيلية وميناء السويس . . . واتهم كل منهما الآخر بأنه هو الذي بدأ الضرب ، وأخذت الادعاءات تتضارب . . . وقال المصريون أنه بالرغم من أن الاسرائيليين قتلوا اثنين من المدنيين وجرحوا آخرين بالاسماعيلية ، فإن المصريون دمروا لهم ست عشرة دبابة وخمس عشرة عربة مصفحة . . . وقال الاسرائيليون أن المصريين قتلوا خمسة من جنودهم وأصابوا عشرين آخرين بجراح ، وأن الطائرات الاسرائيلية اسكتت المدافع المصرية عند بور ابراهيم جنوبي ميناء السويس ، وفند الاسرائيليون ما ادعاه المصريون من أنهم أسقطوا خمس طائرات اسرائيلية . . . وإلى جانب ذلك احتدمت حرب البيانات والبلاغات . . .

ونظرا للشكاوى التي قدمتها كل من مصر واسرائيل إلى الأمم المتحدة عن الاحداث بطول قناة السويس ، أصدر مجلس الأمن تعليماته إلى الجنرال أود بول ، رئيس لجنة مراقبة الهدنة ، كي يتخذ الترتيبات اللازمة مع كلا البلدين لتمكين مراقبي الأمم المتحدة من أن يربطوا في نقاط بطول القناة . . . وفي العاشر من يولييه ، وافقت مصر ، وكذلك فعلت اسرائيل في اليوم التالي . . . وتمت الموافقة على أن يبدأ تنفيذ وقف إطلاق النار في الساعة ٢١٠٠ بالتوقيت المحلي من الخامس عشر من يولييه ، أي في اليوم التالي لليوم الذي شهد القصف العنيف . . . كما اتفق أيضا على أن يحتل مراقبوا الأمم المتحدة مواقعهم في اليوم التالي ، ولكن كان هناك تأخير لفترة قصيرة والواقع أن إطلاق النار كان توقف بالفعل ، وكان هناك هدوء مؤقت نسبيا لبعض الوقت . . . وكان سبب التأخير هو مشكلة الاتصالات بين مراقبي الأمم المتحدة على كلتا الضفتين ، حيث كان الاسرائيليون يريدون أن يتم ذلك عن طريق اللاسلكي العادي للميدان ، ولكن مصر اعترضت على الاتصال المباشر وطالبت بالعودة إلى الطرق المعتادة - الأمم المتحدة - أي أن يتم التبليغ عن طريق نيويورك وتم الاتفاق على أن يقوم مراقبوا الأمم المتحدة بالتبليغات إلى مقر قيادة الجنرال أود بول في القدس .



وفي السابع عشر من يولية هذا اربعة مراقبين مهمتهم على كلتا الضفتين، ثلاثة في مواقع على الضفة الغربية والرابع على الضفة الامامية للسيادة في الاسماعيلية بالنسبة للجانب المصري، وانقطة بالنسبة للجانب الاسرائيلي . . . واخذ هذا العدد يتزايد ببطء في الاسابيع اللاحقة . . . وظلت مشكلته الخلاصة بالقناة بدون حل . ولو ان مصر قد وافقت في الثالث من اغسطس على ان يمتنع الطرفان عن استخدام القناة ، وهو اقتراح كانت اسرائيل قد وافقت عليه من قبل وذلك باستثناء القوارب التي تحصل المئون للسفن الاجنبية المحترجة في البحيرات المرة الكبرى . . . وازدادت اسرائيل ان يكون وسط القناة هو خط وقف اطلاق النار ، ولكن مصر تمسكت بملكيتهما للقناة باكملها .

وبالرغم من وجود مراقبي الأمم المتحدة ، تعدد اطلاق النار عبر القناة خلال شهر سبتمبر ، وكان يتوقف عادة عندما كان مراقبوا الأمم المتحدة يتجشعون في وقف اطلاق النار محليا . . . وعلى سبيل المثال ، أعلنت اذاعة القاهرة في العشرين من سبتمبر ان أحد المدنيين المصريين قتل وأصيب ثمانية بجراح عندما قصفت الاسرائيليون ميناء السويس وبورتوفيق ، بذلك أصبح عدد القتلى اربعة وأربعين والمصابين مائة وسبعين في منطقة القناة منذ حرب يونيه . . . وانكر الاسرائيليون انهم قصفوا هذه المواقع وقالوا ان مدافعهم أطلقت نيرانها فقط على الزوارق المصرية ناهية الجنود عندما حاولت استخدام القناة . ووافق الاسرائيليون على قيام المصريين باختيار الجزء الجنوبي من القناة للتأكد من اذا كان من الممكن إبحار الخمس عشرة سفينة الاجنبية ، ولكن عندما بدأ المصريون يتحركون شمالي الاسماعيلية فتح الاسرائيليون نيرانهم وتسببوا في اصابة اثني عشر شخصا . وفي اليوم التالي حدث اطلاق النيران من المدفعية عبر الممر المائي عند القنطرة وسلم الاسرائيليون بمقتل اربعة جنود واصابة ستة آخرين بجراح ، ولكنهم ادعوا انهم احدثوا بالمصريين اصابات . وفي السابع والعشرين تجدد القصف بشاطئ جنوبي بالقنطرة حتى مدينة السويس ، ولم يستطع مراقبو الأمم المتحدة من فرض وقف اطلاق النار الا بعد عدة ساعات . . . وبادل الطرفان الاتهام ببدء الاحداث ، وادعى كل منهما بأنه أوقع بالآخر الخسائر .

وكررت الادعاءات التي لم يكن هناك دائما دليل على صحتها ، وذلك كلما ازدادت حرب الدفاع . . . وعلى سبيل المثال ، ادعى الاسرائيليون في الرابع من سبتمبر انهم اغرقوا أحد زوارق الطوربيد المصرية بعد تبساده اطلاق النار بالقرب من بورتوفيق ، ولكن لم يكن هناك ما يؤيد ذلك . . . كذلك لم يكن هناك ما يؤيد ادعاءات المصريين بأنهم دمروا عدة دبابات اسرائيلية وعربة مصفحة في اليوم التالي . . . ومن وقت لآخر كان الطيران المصري يقوم بطعنات متواضعة قصيرة . . . وفي السادس والعشرين من اغسطس ادعى الاسرائيليون ان مدفيعتهم المضادة للطائرات سقطت احدى الطائرات بالقرب من بير جفجافة على أربعين ميلا تقريبا شرقي القناة ، بينما

قامت المقاتلات الاسرائيلية في الحادي عشر من اكتوبر باسقاط طائرة مصرية « ميج - ٢١ » على مسافة عشرة أميال تقريبا شرقي البحيرات المرة الكبرى وباستمرار هذه الاحداث عين عبد الناصر في اول اكتوبر على صبرى وهو أحد النواب الأربعة لرئيس الوزراء ، وزيرا مقيما بمنطقة قناة السويس وكانت مهمته هي ان « يتولى الخط الامامي » وخولت له سلطة الاشراف على الامالى وعلى الموارد بالمنطقة .

وطوال معظم نهار الحادي والعشرين من اكتوبر ظلت المدمرة الاسرائيلية ايلات تقوم بمناورات في منطقة خليج روماني وكأنها تتحدى في ازدياد استعدادات الدفاع في بورتوفيق ، ولكن الرادار المصري كان يتتبعها طوال هذا الوقت ، وفي المساء هاجمتها سفينتا صواريخ من طراز « كوماز » واغرقناها بصواريخ « ستايكس » . . . وبلغ عدد المفقودين سبعة وأربعين من طاقمها البالغ عدده مائتين واثنين ، وبلغ عدد الجرحى واحدا وتسعين . . . واخذت طائرات الهليكوبتر الاسرائيلية تحاول انقاذ البحارة وانتشالهم من الماء مستعينة في ذلك بأضواء المشاعل . . . وتضاربت التقارير حول غرق المدمرة . . . فقد أعلن القبطان أيرول ، من البحرية الاسرائيلية ، أمام مؤتمر صحفي أن أربعة صواريخ أطلقت على ايلات في الساعة ١٧:٣٠ عندما كانت على بعد ثلاثة عشر ميلا من الشواطئ المصرية ، أصاب اثنان منها السفينة مما جعلها تميل على جانبها ، ولكن عندما روى بعد ساعتين أن السفينة لم تغرق بل انها مالت فقط أطلق عليها صاروخان آخران من طراز ستايكس اصاب أحدهما السفينة واغرقها ، بينما انفجر الآخر بين الذين كانوا على قيد الحياة وسط الماء . . . أما الرواية المصرية كما صرح بها اللواء مصطفى كمال ، من هيئة أركان حرب القيادة العامة ، فتقول ان ايلات كانت على مسافة عشرة أميال فقط من بورتوفيق ( والمياه الإقليمية المصرية تمتد الى اثني عشر ميلا ) وأنها غرقت في نفس المكان الذي وجهت اليها فيه أول ضربة بالصواريخ وهي داخل المياه المصرية . . . ورفض أن يذكر المدى الذي أطلقت عليه الصواريخ ، ولكنه صرح بأنه لا يوجد أحزاب في القوات المسلحة المصرية ويعنى بذلك أنه لم يكن هناك سوفيت على السفينة المصرية . . . وكانت ايلات هي المدمرة البريطانية « زيلوس » حمولة ١٧١٠ من الاطنان واستخدمت خلال الحرب العالمية الثانية قبل أن تباع للاسرائيليين في عام ١٩٥٦ . أما سفن الصواريخ حمولة مائة طن ، والسوفيتية الصنع ( طراز طومار ) فتبلغ سرعتها نحو أربعين عقدة ، وتحمل زوجا من قاذفات الصواريخ ، ويبلغ مدى « ستايكس » نحو العشرين ميلا .

وجاء انتقام الاسرائيليين في الرابع والعشرين . . . فبدءوا بقليل من القصف على مدينة السويس والميناء ، ثم تحول القصف الى ستار من الهاون الثقيل لم يخطئ أهدافه ، ووجه القصف أولا الى معامل تكرير البترول التي تبعد نحو الميلى من الشاطئ ثم الى العمل الثاني ويبعد عن الاول نحو الميل الى الداخل ، وبعد ذلك الى مصنع للسجاد بالقرب منه ، وتجاهل







وكان رد الفعل الاسرائيلي ازاء قرار نوفمبر وخطاب عبد الناصر يتسم بالفرع ، فقد بدأت تتلاشى ثمار النصر العسكري ، ولكن الموقف الاسرائيلي كان أيضا عنيدا متصليا .. وطلب الاسرائيليون بمفاوضات مباشرة مع العرب .. وكان رئيس الوزراء أشكول قد صرح أمام الكنيست في الثاني عشر من يونيو وفي الثلاثين من أكتوبر ١٩٦٧ . أنه لن تكون هناك عودة الى الاحوال التي كانت قائمة قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، وأنه لن تتم التسوية السلمية الا بالمفاوضات المباشرة مع الدول العربية المعينة وأنها يجب أن تتضمن بعض الموضوعات مثل حرية مرور السفن الاسرائيلية عبر مضائق تيران وقناة السويس . وتمسك الاسرائيليون بأن الحدود الآمنة لا يمكن أن تتحقق الا في طار تسوية سلمية .. لقد كانت اسرائيل ومصر على حافة الاصطدام ، وكانت كلتاهما تعتمد على قواتها المسلحة التي كانت تجهزها .

وبانتهاء عام ١٩٦٧ استطاعت مصر إعادة بناء تشكيلاتها العسكرية المعزقة وأعدت تزويدها على نطاق واسع بالأسلحة والمعدات السوفيتية الحديثة .. ووفقا لأصح تقدير ، استعوضت مصر ستين في المئة من خسائرها في حرب يونيو ، والتي قدرت ( في فبراير ١٩٦٨ ) اربعمائة وخمسين دبابة متوسطة ، ومائتين وخمسين مدفعا ثقيلًا ، وثلاثمائة مدفع ميدان وهاون .. وبحساب تقريبي ، أصبح لدى مصر ما يقرب من خمسمائة وخمسين دبابة معظمها من طراز « ت ٥٥ » وثلاثمائة مدفع ثقيل ، واربعمائة مدفع ميدان ، ومائتي هاون من مختلف الأنواع وحوالي الثمانمائة عربة مصفحة من بينها عربات مصفحة لنقل القوات .. وكان هذا كافيا لأن يوفر للمصريين المقدرة والثقة في الحفاظ على خط قناة السويس وأن يقاوموا أية محاولة اسرائيلية للعبور ، ولكن لم يكن كافيا لأن يسمح للمصريين بأن يشقوا طريقهم ثانيا الى سيناء .

وأعيد تشكيل عنصر المشاة في ست فرق ، احتلت ثلاث منها مواقع متقدمة على طول القناة ، وكذلك معظم المدفعية ، وتم كذلك إعادة تكوين البطاريات فور وصول المدافع السوفيتية ، أما الفرق المدرعة الثلاث والتي تضم كل منها وقتئذ لوائين مدرعين فقط في هذه المرحلة ، فكانت ترابط وراء الضفة الغربية للقناة من خلف الفرق المشاة المدرعة .. واتجه الميل الى ادماج فرق المظلات والصاعقة معا ليطلق عليها بعد ذلك « القوات الخاصة » وكانت خمس عشرة وحدة كومانندو صغيرة عند بدء حرب يونيو .

يبلغ تعداد المصريين زهاء الثلاثين مليونًا ، ويزيد هذا العدد بمعدل ثلاثة أرباع المليون سنويا ، ومدة التجنيد الإلزامي ثلاث سنوات .. لذلك لم تكن لدى عبد الناصر مشكلة فيما يتعلق باليد العاملة وعندما بدأت حرب يونيو بلغ عدد القوات المسلحة المصرية مائة وتسعين ألفًا ، ولكن هذا الرقم يتضمن نسبة - قد تصل الى الثلث - من الاحتياطي وكان تعداد

الجيش مائة وستين ألفًا ، من بينهم عشرون ألفًا كانوا لا يزالون باليمن أو عائدین من اليمن ، وأرسل تسعون ألفًا عبر القناة الى سيناء ، ولم يبق بمصر سوى خمسين ألف جندي تقريبا .

وبعد حرب يونيو مباشرة كانت مصر بلا دفاع . وكان من وراء القوات المسلحة ستون ألفًا من الحرس الوطني لمهام الامن الداخلي ، ولذلك فان اجمالي عدد من كانوا يعملون طوال الوقت في أداء الواجبات العسكرية لم يكونوا يزيدون عن المائتين وخمسين ألفًا ، وهذا عدد بسيط بالنسبة لدولة تعدادها ثلاثون مليون نسمة .

لم تكن الخسائر في حرب يونيو حسيمة ، ووفقا لتصريحات عبد الناصر كانت خسارة مصر عشرة آلاف جندي وألف وخمسمائة ضابط .. وبلغ عدد الأسرى خمسة آلاف جندي وخمسمائة ضابط .. وتميل أرقام الخسائر الى الاختلاف والتعدد ، ويبدو أنها ظلت غامضة وبهمة عن عمد .. كانت المعنويات هي العامل المجهول في هذه اللحظة واحتجزت القوات العائدة في معسكرات بالصحراء الى أن تم « تكييفها » قبل عودتهم الى وحداتهم أو إلحاقهم بوحدات جديدة .. وبعد حرب يونيو تم استدعاء الكثيرين الاحتياطيين ، كما تم أيضا تجنيد الكثيرين حتى بلغ اجمالي عدد القوات بالجيش مائة وتسعين ألفًا بل قد يزيد .

وحاول الجيش المصري تركيز التفكير على إعادة تنظيم نفسه ، ولكن حالت دون ذلك ، الى حد ما ، عمليات التطهير ، حيث تم فصل أو اعتقال ما يزيد على الثمانمائة ضابط ، معظمهم من الضباط العظام ، الى جانب الألفي ضابط الذين فقدتهم مصر في حرب يونيو .

كما حدث تباطؤ في الافراج عن الأسرى وتبادلهم .. وأخذت تساعد الجيش المصري بعثة عسكرية سوفيتية موسعة بلغ تعدادها مع مستهل عام ١٩٦٨ الجديد ما يزيد على الألفي شخص .. وانتشر المستشارون السوفييت داخل الجيش حتى مستوى الوحدات .. ووجد المدربون السوفييتيون صعوبة في التعامل مع المصريين الذين لم يكن لديهم من الصبر ما يمكنهم معه تقدير الاساليب السوفيتية التي كانت بطيئة ومنهجية وتتطلب الكثير من الجهد .. كان دور السوفييت في بداية الامر استشاريا فقط .. وعندما لاحظ عبد الناصر الاسترخاء والتقاعد بين صفوف الضباط طلب الى السوفييت أن يقوموا بدور أكبر في إعادة التنظيم والتدريب ، ثم أمر جميع الضباط المصريين باطاعة المستشارين السوفييت ولو كانوا دونهم في الرتبة .. وقد شكوا بعض هؤلاء الضباط ، ولكنهم رضخوا تحت الحاح عبد الناصر .. وقد أثار ذلك احتكاكا بين المصريين والروس .. فقد تمسك الضباط السوفييت بتدريب أقصى وأطول وأكثر تنوعا وبالتطوير المطرد من مجرد التدريب الفردي لأطقم الأسلحة الى جعله متلاحما في وحدات متماسكة التي تسود كل منهما روح التضامن والجماعة



.. ومن وقت لآخر كان بعض كبار الضباط السوفييت يزورون القسوات المسلحة المصرية ، كما كان بعض كبار الضباط المصريين يوفدون الى الاتحاد السوفيتى لتقديم التقارير او للالتحاق بدراسات تدريبية .. وعلى سبيل المثال ، حضر الى مصر فى مارس ١٩٦٨ د.المرشال جريتشكو ، رئيس هيئة اركان حرب الجيش السوفيتى ، فى زيارة لتقصى الحقائق استغرقت خمسة ايام .

لقد كان كل من الفريق فوزى ، القائد العام ، والفريق رياض رئيس اركان الحرب ، يتسم بالكفاءة والواقعية .. وعندما قاما بعملية اعادة توزيع مناصب القيادات والمراكز كانا موفقين فى الاختيار . انه وان لم يكن الضابط المصرى ، وخاصة ضابط الفرقة ، بنفس الكفاءة وتكريس الذات كنظيره الاسرائيلى ، الا انه لم يكن سيئا كما حاولت ان تصوره الدعاية الغربية والاسرائيلية المعادية . وقبل حرب يونيه كان الضباط يتمتعون بمكانة كبيرة ، ومن ثم كثر عدد من ارادوا الالتحاق بالجيش ، ولم يكن يحظى بذلك الا من هم افضلهم . وبعد الحرب جردوا من كثير من المزايا ، وكان عليهم ان يقضوا وقتهم مع فرقهم ويعملون بكل جهد ، فلم تعد هناك عطلات نهاية الاسبوع الطويلة فى القاهرة . وكانت تلك من العادات التى كادت ان تصبح تقليدا .. لقد أحسوا بشعور الالم القاسى والندم ، وسرعان ما تلاشى ليحل محله العزم على اثبات جدارتهم . كما استجاب الضباط المصريون لالحاح السوفييت فى العمل والتدريب القاسى ، كذلك استجاب الجنود لضباطهم ، واكتشف كثيرون من الضباط المصريين لأول مرة كيف يمكن ان يصبح الفلاح المصرى جنديا صالحا متى أحسن توجيهه وتشجيعه . وبناء على الحاح السوفييت أقصى عن الجيش بعض الضباط الذين ينحدرون من أسر ثرية او من كانت لهم خلفية من الرخاء واليسر ، واستبدل بهم ضباط أصغر سنا وأكثر تعاطفا مع المثل والاساليب السوفيتية . وبناء على الحاح السوفييت أيضا أعيد الى الجيش عدد من كبار الضباط الذين كان قد فصلهم عبد الناصر ، ولكنهم أبدوا تفوقا فى الفصول الدراسية بالاتحاد السوفيتى ، او ممن لاحظت الهيئة العسكرية السوفيتية ما هم عليه من كفاءة .. وقد انطبق هذا على كبار الضباط حيث كان الجيش المصرى يفتقر الى الأكفاء ذوى الخبرة فى القادة وضباط اركان حرب .

لقد كان الجندى المصرى صلب العود لا يعرف الاستسلام .. ومع توافر اليد العاملة كان من الممكن اختيار احسن العناصر . وفى الحقيقة فان الكثيرين من الجنود المصريين حاربوا فى حرب يونيه وكانوا فى قتالهم ممتازين الى اقصى الحدود كما تشهد بذلك خسائرهم الجسيمة ، وذلك الى ان صدرت اليهم الاوامر بالانسحاب . وكانت هناك فكرة خاطئة شائعة ان المستوى الجسمانى فيهم كان هابطا ، والمعروف ان الجيش المصرى كان يركز على اللياقة البدنية وذلك بالنسبة للجنود ولم يكن هذا متبعيا دائما بالنسبة للضباط ..

وبينما كان الضباط يتمتعون بالنفوذ والاحترام فان هذا لم يكن من نصيب الجنود ، وكان الفلاحون الذين هم عادة مبعدون عن الحرب ، مقتنعين بأنه لا علاقة لهم بالجيش ، وما لم يتصادف التحاق اولادهم به فانهم يحاولون تجاهله .

وبعد مؤتمر الخرطوم ، طرح الجيش المصرى جانبا ما كان له من قبل من قابلية مزدوجة للزحف على اسرائيل وان يقوم فى نفس الوقت بدور ارسال الحملات ، واضطر لان يختار دورا جديدا ، هو الدفاع عن مصر . وكان عبد الناصر من انصار القدرة على ارسال الحملات ، وهذا ما مارسه فعلا فى اليمن تعزيزا لسياسته ، وكان يلقي دائما المعارضة فى ذلك من جانب المشير عامر الذى كان ينصح باستمرار بان يكون للجيش المصرى هدف واحد وهو الزحف شرقا لتدمير اسرائيل .. وتغير الموقف الان بصورة عنيفة ، وبالرغم من ان الملكى والولاء الكلامى الكاذب كانا يركزان على تنمية القدرة على الزحف فى سيناء ومهاجمة اسرائيل ، الامر الذى كانت البعثة العسكرية السوفيتية تشجعه بكل قوة فقد تحولت كل الجهود الى الدفاع ، وأخذ المصريون يشبهون انفسهم فى الايام التالية لحرب يونية بالبريطانيين بعد دنكرك ، ويضربون الامثلة والمقارنات لتدعيم معنوياتهم وثباتهم وجلدهم .

كان من هدف السياسة السوفيتية بوجود اسطول سوفيتى فى البحر المتوسط لتعارض به الاسطول الأمريكى ، ان اتاح لمصر ان تكون لها بحرية اكثر اتساعا مما يسمح به خطها الساحلى ومواردها . وعلى سبيل المثال ، بنى السوفييت ترسانة بحرية فسيحة بالاسكندرية وبديهي أنها ستستخدم فى اصلاح سفن الاسطول السوفيتى ، كما أقاموا مرافق بحرية فى الموانئ المصرية الأخرى ، وطبيعى ان البحرية المصرية ستستفيد منها أيضا . وارتفعت أسهم البحرية المصرية تصادفيا على نحو لم يكن متوقعا وذلك عندما أغرقت « ايلات » .. وارتفعت معنوياتها بذلك . والبحرية المصرية ، شأن البحرية الاسرائيلية ، لم يكن لها حظ كبير لتحقيق المجد أثناء حرب يونية ، والواقع أنه كان عليها أن تنسحب على عجل من بور سعيد الى الاسكندرية حتى تغلب من الطيران الاسرائيلى . ويبلغ تعداد البحرية المصرية اثنى عشر رجل تقريبا ، وتتألف أساسا من ست مدمرات ، واحد عشر غواصة ، وستة وأربعين من زوارق الطوربيد ، واثنين وثلاثين سفينة دوريات وحراسة ، واحد عشرين سفينة انزال وثمانى كاسحات الغام . وكانت أحدث وأقوى وحداتها البحرية ثمانى عشرة صواريخ سوفيتية عشرة منها من طراز « أوزا » وثمان من طراز « كومار » وكلها تحمل صواريخ « ستايكس » سطح / سطح ، وهو السلاح القياسى على سفن الراوريات السريعة . وكان لطراز « أوزا » حمولة مائة وستين طنا زوجان من قاذفات الصواريخ ، أما طراز « كومار » فكان له زوج واحد فقط ، وتبلغ سرعة كليهما أربعين عقدة .



أن الاقتصاد القومي المصري الذي لم يكن أبدا متينا قد أصيب بكبوة قاسية بعد حرب يونيه . فقد كانت قناة السويس مغلقة مما خسرت معه البلاد قرابة الأربعة والسبعين مليون جنيه سنويا . وكانت آبار البترول الصغيرة على الشاطئ الغربي جنوبى سيناء فى أيدي الاسرائيليين ، كما نضب المعين السياحي ، كما أن محصول القطن الذى يعتبر دعامة أساسية فى الاقتصاد لم يكن بالحصول الناجح فى عام ١٩٦٧ ، حيث أصابت الدودة جانبا منه ، كما أن معظمه على أى حال كان مرهونا للاتحاد السوفيتى مقابل ما قدمه لمصر من عتاد وفى ميزانية يوليه زيدت الضرائب ، وازدادت الادخارات العمالية الاجبارية بنسبة خمسين فى المائة ، وفرضت رسوم اضافية على السلع الكمالية المستوردة . وبشجعون المصريين الآن ، على سبيل المثال ، على تناول « المكرونة » بدلا من الارز الذى كان من المنتظر أن يزيد من النقد والارصدة لقد كانت تصرفات الاتحاد السوفيتى متناقضة ظاهريا : فقد عالج الهزيمة بقبض من الأسلحة الحديثة التى أخذت تتدفق على مصر ، وفى نفس الوقت بدأ اغلاق قناة السويس ، ولو لفترة معينة ، الأمر الذى يعنى أن مساعدته العسكرية لفيتنام يجب أن يتم شحنها الى هناك عن طريق رأس الرجاء الصالح الى هايفونج ، وهي رحلة بحرية طوالها أربعة عشر ألف ميل بدلا من سبعة آلاف ، حيث أن الحكومة الصينية لم تكن لتسمح بإرسال العتاد السوفيتى عبر أراضيها . وظل الاتحاد السوفيتى لعدة شهور يظهر القليل من الاهتمام بتسوية الشرق الأوسط ، وبالرغم من أنه لم يكن بحاجة الى البترول فى الشرق الأوسط الا أنه كان مهتما بحرمان الدول الغربية منه . وازداد الوجود البحرى السوفيتى فى البحر المتوسط بدرجة أنه كان فيه للسوفييت فى يناير ١٩٦٨ قرابة الخمسين سفينة سوفيتية تغطى على قطع الأسطول السادس الأمريكى .

كانت اسرائيل دولة أصغر بكثير من مصر سواء فى الحجم أم فى تعداد السكان ، إذ تتكون من ٧٩٩٢ ميلا مربعا قبل حرب يونيه ، وكان تعدادها يقدر نحو ٢.٣ مليون يهودى ( بالإضافة الى حوالى الثلاثمائة ألف عربى يقيمون باسرائيل ) . وعلى النقيض من الشعب المصرى ، تم اعداد وتكييف الشعب الاسرائيلى للحرب ، وظل على ذلك لعدة سنوات . وكان من الممكن تعبئة قرابة المائتين وأربعة وستين ألفا فى القوات المسلحة خلال اثنين وسبعين ساعة ، وكانت نسبة النساء من بينهم ثلاثين فى المائة لقد ولدت اسرائيل وسط العناء والمتاعب ، وظهرت الى عالم الوجود كدولة فى عام ١٩٤٨ . وهزمت جنود العرب مرة ثانية فى عام ١٩٥٦ . كذلك هزمت اسرائيل الجنود المصريين فى سيناء . ولما كانت اسرائيل أصغر وأضيق من أن تستطيع أى دفاع فى العمق ، كانت سياستها الدفاعية تقوم على الهجوم ونقل الحرب الى الدولة العادية ، وهذا ما نجحت فيه كثيرا . وكانت قابلية التحرك والسرعة والضربة المسلحة هي العوامل الأساسية فى الاستراتيجية الحربية الاسرائيلية

التي كانت قد خططتها وأشرفت على توجيهها هيئة أركان الحرب الاسرائيلية الناشئة ولكنها أيضا على كفاءة ودراية وسلامة تفكير . لقد أضافت حرب يونيه الى اسرائيل ستة وعشرين ألف ميل مربع من الاراضى ، كما أضافت اليها مليون عربى تحت ادارتها . أصبح لاسرائيل الآن مجال أفسح لتقوم فيه بمناورتها ، وكانت سيناء ذات قيمة خاصة بالنسبة لها . كذلك كانت خطوط وقف النار أقصر عدة أميال عن حدود ما قبل حرب يونيه ، وأضيق وأكثر امكانية فى الدفاع . والمثال على ذلك قناة السويس .

وأحتفظت اسرائيل بنظام الأولوية كشكيل ميدانى أساسى ، وكان هناك واحد وثلاثون لواء فى حالة تعبته كاملة ، من بينها اثنان وعشرون لواء مشاة ( منها اثنان لهما مقدرة فرق المظلات ) وثمانية ألوية مدرعة ، ولواء مظلات . وكانت مهمات الجيش الاسرائيلى متنوعة ، والكثير منها قديم حيث انه قد تم جمعها حيثما أمكن ، لأهواء واتجاهات الموقف السياسى العالمى الراهن وقبل حرب يونيه كانت اسرائيل تمتلك حوالى الثمانمائة دبابة ومائتين وخمسين مدفع ذاتى الحركة وثلاثمائة عربة من الطراز الأمريكى « م - ٣ » .

أما العتاد الذى خسرت فى حرب يونيه فكان قليلا جدا ، وتم لها تعويض معظمه بما استولت عليه من عتاد مصرى أو بذلك الذى تركه المصريون وراءهم .

ويرجع كثير من الفضل فى نجاح اسرائيل فى حرب يونيه الى الجنرال رابين ، رئيس هيئة أركان الحرب ، وإلى أسلافه وإلى هيئة أركان الحرب الذين جعلوا من قوات الدفاع الاسرائيلية تلك الأداة الرائعة التى أثبتت كفاءتها . وكانت لهيئة أركان الحرب سيطرتها على القوات الجوية وكذلك على كل من البحرية والجيش . أما وزير الدفاع ، موسى ديان ، والذى كان من قبل رئيسا لهيئة أركان حرب ، والذى يعتبر شخصية لامعة ، فإنه لم يظهر من جديد على المسرح الحربى الا عشية قيام الحرب . ولكن قيادته ونزغته للمعركة عرسستا فى الاسرائيليين الجراءة والثقة سواء منهم العسكريين أم المدنيين ، وذلك فى الوقت المناسب . وأما رئيس الوزراء ، ليفى اشكول ، فقد حجبه الظلال ، وكان موضوع اللوم والاستخفاف ، لأنه وإن كانت تعوزه القدرة على البت فى الأمور عندما كانت الطوارئ تتطلب مثل هذا البت ، بل كان يشجع اجماع الرأى قبل أى شىء ، فقد كان داهية كرجل دولة وكسياسى عمل الكثير من أجل اسرائيل وخاصة عندما كان وزيرا للمالية .

وفى الثالث من ديسمبر تخلى الجنرال رابين عن منصبه كرئيس لهيئة أركان حرب بعد أن أدى رسالته فيها لفترة طويلة ، وعين سفيرا لاسرائيل فى أمريكا . وحل محله الجنرال حاييم بارليف ، نائب رئيس هيئة أركان حرب ولما كان سنه وقتئذ ثلاثة وأربعين عاما ، فقد اعتبر تعيينه استمرارا لتولى الشباب مثل هذا المنصب . والجنرال بارليف مولود فى النمسا ، وتلقى



تعليمه في يوجوسلافيا ، وجاء في فلسطين في عام ١٩٣٩ ، وخلم في ( الهاجانا ) قبل أن ينضم الى قوات الدفاع الاسرائيلي بعد أن تكونت لأول مرة في حرب ١٩٤٨ . وكان يتولى قيادة لواء مدرع في حرب ١٩٥٦ ، كما كان ايضا مديرا للعمليات ، وهذا يعنى اشتراكه لعدة أعوام في فريق التخطيط وبذلك كان هناك استمرار لسياسة الاستراتيجية الاسرائيلية والتخطيط . وفي اول يولييه ١٩٦٨ عين ايجال الون نائبا لرئيس الوزراء ، وكان من قبل قائدا للواء بالمناخ المعروف في عام ١٩٤٨ ، وكان لهذا التعيين مغزاه لدى كل من الروس والعرب ، حيث كانوا يشعرون بأنه على المرعى الطويل يعتبر الون أشد خطورة عليهم من موسى ديان رغم أن آلون يمتاز عن زميله بالهدوء والحرص على مشاعر الغير .

وفي فبراير ١٩٦٨ أعلنت في مصر احكام المحكمة العسكرية التي كانت تحاكم ضباط الطيران الأربعة ، وفيها صدر الحكم على محمد محمود صدقي القائد السابق ، بالسجن خمس عشرة سنة ، وعلى زميله اسماعيل لبيب بالسجن عشر سنوات ، بينما حكمت ببراءة جمال عفيفي ، الرئيس السابق لهيئة اركان الحرب الطيران ، وعبد الحميد دغيدى قائد المنطقة انشورية السابق .

وفي اذهان الشعب لم يعد عبد الناصر مرتبطا مباشرة بالهزيمة العسكرية وأصبح الشعور السائد الآن في مصر أن القوات المسلحة قد أغرقت البلاد . وبعد ايام قليلة ، أي في الحادي والعشرين ، تظاهر عمال المصانع بحلوان ( على بعد ١٥ ميلا جنوبى القاهرة ) . . . وحدث بعد ذلك في عطلة الأسبوع في يومى ٢٤ ، ٢٥ فبراير أن وقعت اضطرابات في القاهرة ، ومعظمها من جانب الطلبة ، احتجاجا على ما ظهر من تساهل من جانب المحكمة العسكرية وانتهاز بعض الطلبة هذه الفرصة ليطالبوا بالعودة الى الحكم البرلماني ، وحرية الكرامة ، وبالمزيد من المشروعات الخاصة . وكان لايزال هناك كثيرون في مصر يريدون إعادة توجيه السياسة المصرية بعيدا عن الوحدة العربية الى وحدة لوادي النيل . وقد أصيب ستون من رجال الشرطة وعشرون من الطلبة ، واعتقل - الكثيرون من الطلبة ، وأغلقت بعض الجامعات . . . ولم يرد الا النذر اليسير من أنباء هذه الاضطرابات في الصحافة المصرية الخاضعة للرقابة . . .

أثارت هذه المظاهرات قلق الحكومة . وبعد اجتماع لمجلس الوزراء في السادس والعشرين من فبراير ، قرر الفريق فوزى ، الذى تولى وزارة الدفاع خلفا لأمين هويدى ، عدم التصديق على الأحكام ، بل أمر بإعادة المحاكمة ، وبديهي أن هذا القرار قد جاء نتيجة لضغط الرأي العام .

وفي الثالث من مارس ، خطب عبد الناصر في اجتماع للعمال بحلوان وقال أن المظاهرات الاخيرة إنما ترجع الى الكثير من سوء الفهم . وقال أيضا أن هناك حزبا مناهضا للثورة ومنظما يترقب الفرصة للوصول الى السلطة . . .

ولما كان مصنع خلصان يعد نموذجا للمجموعات الصناعية لذلك كانت المظاهرات أو القلاقل فيه مدعاة لمضاعفة قلق الحكومة . . .

وفي العشرين من مارس أعاد عبد الناصر تشكيل الحكومة ، مستبعدا منها عدة ضباط من بينهم زكريا محيى الدين الذى كانت له آراؤه اليمينية المتطرفة ، وعلى صبرى المعروف بأرائه اليسارية المتطرفة ، وادخل في الوزارة أربعة عشرة من المدنيين من بينهم مهندسون ومثقفون ورجال بنوك ومهنيون وهكذا أصبح للوزارة الجديدة طابع تغلب فيه « التكنولوجيا » على « العسكرية » . . .

وفي السادس والعشرين من أغسطس فقط أعلنت مرة أخرى بعض احكام المحكمة العسكرية ، ونصبت السجن المؤبد لخمس أشخاص والسجن لأشخاص عديدين ، وتبرئة خمسة عشر شخصا . أما عن كبار ضباط الطيران الأربعة ، فقد زيدت مدة السجن - بالنسبة الى صدقي ولبيب ، وأعيدت تبرئة كل من عفيفي ودغيدى . وفي هذا الوقت كانت قد انقشع الاحتجاج عن الموقف ، ولم يقابل اعلان الاحكام باحتجاج عام او بأى رد فعل آخر .

وجه عبد الناصر اهتمامه الى الاتحاد الاشتراكي العربى . وهو الحزب السياسى الوحيد المسموح به في مصر . وفي الثلاثين من مارس ١٩٦٨ أعلن أنه يتعين إعادة تشكيله بحيث تكون جذوره قائمة على أساس اقتراع شعبى ، وأن يجرى استفتاء حول مقترحاته في مايو . وعهد الى على صبرى بإعادة التنظيم ، وكان الهدف منه رسميا حشد جميع القوى العسكرية والاقتصادية والأيدولوجية ضد العدو ، ولتعبئة جموع الشعب وامكانياته وطاقاته . وفي الثانى من مايو كانت نتيجة الاستفتاء ٩٩.٩ فى المائة من الأصوات المؤيدة . ولكن كان القول الذى يتردد هو أنه لن تجرى انتخابات الا بعد هزيمة الاسرائيليين .

ظلت مصر دولة ذات حزب واحد ، وأخذ عبد الناصر يحشد العرب ضد اسرائيل ، وفي الثلاثين من أبريل أعيد اللواء طلعب حسن رئيسا لهيئة اركان حرب القيادة العليا العربية الموحدة ، وهي هيئة عليا تهدف الى تعبئة وتوجيه الجهود الحربية لمائة وعشرة مليون عربى ضد اسرائيل . وقد ظل هذا المنصب شاغرا منذ حرب يونيه .

وبالرغم من وصول بعض شحنات من صواريخ « سام ٢٨ » الى مصر ، فان تدفق الاسلحة السوفيتية قد تباطأ الى حد كاد يكون توقف ، مما دعا عبد الناصر للقيام بزيارة للاتحاد السوفيتى في يولييه حيث أجرى محادثات مع الزعماء - السوفييت ، وطلب مزيدا من الاسلحة الثقيلة بالقدر الذى ينفل له التفوق على الاسرائيليين ، ولكن الروس رفضوا بحجة أنه لم يكن قد استوعب بعد ما سبق ارساله اليه من أسلحة . . . وبعد عودته بوقت قليل الى مصر طار ثانية الى الاتحاد السوفيتى الى جورجيا - للعلاج الطبى حيث



مكث هناك أسبوعين . لقد ساند الزعماء السوفييت بالكلام ، وأن كانوا ترددوا في إرسال الأسلحة اليه . ولكن ما لبثوا أن رقت قلوبهم ولكن الى حد ما . . وفي أكتوبر قيل أن بعض صواريخ سام قد أرسلت الى مصر مع بعض المشرفين الفنيين ، وبعض المدافع المضادة للطائرات عيار ٥٧ مم يتم توجيهها بالرادار ، وبعض مدافع للطائرات وبعض الصواريخ أرض أرض .

وخلال النصف الأول من العام ١٩٦٨ كانت جبهة قناة السويس بكامل طولها هادئة رغم ما يكتنفها من جو التوتر ، فلم يكن هناك سوى القليل من العمليات الى جانب القصف المتقطع . ولكن القصف الثقيل في يوليه وسبتمبر وأكتوبر أدى الى أعمال النار . ففي الثامن من يوليه وقعت أول معركة بالمدفعية بمنطقة مدينة السويس ، وأدعى المصريون أن ثلاثة وأربعين من المدنيين لقوا مصرعهم وأن سبعين أصيبوا بجراح الى جانب تدمير مائة وخمسين منزلا . وأدعى الاسرائيليون أن المصريين هم الذين بدءوا بإطلاق النار وأنهم اضطروا للرد عليهم ، غير أن المصريين نفوا ذلك .

ووقع تبادل القصف الثقيل الثاني في الثامن من سبتمبر واستمر حوالي أربع ساعات وامتد بطول معظم الجزء الجنوبي من القناة ، وغالبا ما كانت القذائف تصيب أهدافها في مواقع كلا الجانبين ، وكان القذف قد بدأ على أثر كمين نصبه « الكوماندو » المصريون لدوريه اسرائيلية ، وبلغ عدد القذائف التي أطلقت ( وفقا للتقديرات - الاسرائيلية ) اثنتى عشرة ألف قذيفة على جبهة طولها عشرون ميلا على الجانبين . وفي هذه المرة أدعى المصريون أن خسائرهم كانت عشرة قتلى منهم خمسة جنود من المدنيين ، الى جانب ثلاثين من الجرحى ، بينما وقف أضرار جسيمة للمنازل والمنشآت بميناء السويس وبور توفيق . وقالوا أنهم الحقوا أضرار بالمواقع والمهمات الاسرائيلية ودمروا أربعة عشر دبابة وعربة مصفحة . واعترف الاسرائيليون بأن قتل من رجالهم عشرة وأصيب ثمانية عشر بجراح . وفي العاشر من الشهر قيل ( وفقا لتقديرات اسرائيل أن المصريين أطلقوا عشرة آلاف قذيفة على المواقع الاسرائيلية بطول الضفة الشرقية . وشعر الاسرائيليون بالذعر ( ازاء كمية الذخيرة التي أطلقت عليهم من حيث كونها بمثابة مقدمة للعبور بالقوة ، ومن ثم استدعت اسرائيل المزيد من الاحتياطي ودفعت بلواء آخر الى منطقة متلا .

وخلال الصيف حاول المصريون بعض العمليات القليلة لعبور القناة ، وتم معظمها ليلا وبمجموعات صغيرة ، وكان هدفها الأساسي بث الألفام والعودة فورا الى مواقعها على الجانب الآخر من الممر المائي على طريقة الفدائيين الذين كانوا يقيمون بتكتيك مماثل في اسرائيل عن طريق الاردن . وبعد ذلك حاول المصريون نصب كمائن صغيرة ادعوا أنهم حققوا فيها بعض النجاح ولكن كان من الصعب تقدير مدى هذا النجاح وظل الاسرائيليون يلتزمون الصمت لعدة أسابيع حول هذه الناحية رغبة منهم في عدم إثارة القلق بين قوتهم الامامية . وعلى أية حال ، اعترفوا في السادس والعشرين من أغسطس

بحدوث كمين وقع في الجانب الذي يحتلونه من الضفة الأخرى بالقناة على مقربة ثلاثة أميال جنوبى البحيرات المرة الكبرى ، حيث نصب المصريون كميناً لأحدى سيارات الجيب أسفر عن مقتل جنديين و « اختطاف جندي آخر » .

وفي ساعة متأخرة من بعد ظهر السادس والعشرين من أكتوبر بدأ تبادل القصف بالمدفعية من جديد عبر القناة ، وكان أعنف ما شهدته المنطقة ، وامتد القصف كاندلاع النيران بين القنطرة وميناء السويس واستخدمت أيضا في هذه المناسبة صواريخ « كانيوشا » . وأخذ الاسرائيليون على غرة ، وقتل بعض الجنود بينما كانوا يلعبون كرة القدم وراء مواقعهم . وكان الاسرائيليون هم الذين بدءوا وقف إطلاق النار بعد أن خسروا ثلاثة عشرة قتيلا وأربعة وثلاثون جريحا . وتلك هي أفدح خسارة لحقت بهم منذ اغراق المدمرة ايلات وقال المصريون أنهم فقدوا اثني عشر قتيلا ، وأن الكثير من المنازل قد دمر وأصيب بالاضرار ، ولكنهم ادعوا أن خسائر اسرائيل تضمنت عشر دبابات ، وأربعة عشر عربة ، وعشر مواقع للصواريخ وثمانية وعشرين موقعا للمدافع الرشاشة ، وستة عشر مركزا للمراقبة ، وثلاثة مواقع قيادة ، وستة مستودعات للوقود والذخيرة ، وثلاثة مدافع ١٠٦ مم . واشتعلت النيران في ثلاث مستودعات لتخزين البترول في السويس حيث سبق أن اشتعلت النيران في أكتوبر ١٩٦٧ في إحدى معمل التكرير وقام الروس باعادة بنائه . وحتى هذه اللحظة لم يحاول الاسرائيليون إطلاق قذائف عليه خشية أن يلحقوا بالسوفييت أية خسائر . وجاء بعد ذلك في تقرير للأمم المتحدة ( بتاريخ ٢٨ أكتوبر ) أن المصريين هم الذين بدءوا الهجوم وأنهم رفضوا ثلاث مرات الاستجابة لطلب الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار .

وتحت ستار إطلاق النار الذي استمر عدة ساعات عبرت مجموعة صغيرة من المصريين القناة بالقرب من الاسماعيلية وتغلغلوا على طول الطريق الى متلاحيث قاموا قرب منتصف الليل بنصيب كمين لعربيتى جيب اسرائيليتين وأصابوا أحد الجنود بجراح قبل انسحابهم ليعبروا القناة عائدين الى مواقعهم قبل الفجر . وشعر المصريون بالزهو وهم يشيرون الى هذا الحادث ويسمونه « عملية ممر متلا » ، وشعرو بأنهم قادرون على كشف القصف بالمدفعية وبأنهم - وهذا هو الأهم - قادرون أيضا على أن يعودوا الى عبور القناة . وهذا عمل هجومى استشعروا به صلاحيتهم ، كما أنه رفع من معنويتهم . .

وهنا كانت الغلبة للمصريين الذين أخذوا الاسرائيليين على غرة وأصابوهم بهزة وقدرت هيئة أركان الحرب الاسرائيلية أن المصريين استخدموا في هذه العملية ستمائة مدفع وبعض الصواريخ . ولم يستخدم الاسرائيليون سوى لوائين من المشاة تعدادها حوالي عشرة آلاف موزعين على جبهة طولها مائة وعشرة من الأميال . تتخللها مواقع دفاعية بطول الضفة ، وكانت الدوريات هي التي تتولى الخفارة ، بين راجل وراكب ، مع الاعتماد على مجموعات - صغيرة متنقلة من اللوائين المدرعين المرابطين على بعد يتراوح بين



مضاعفة المحصول في أربعة ملايين أخرى . وفي الثالث من نوفمبر أعلن أنه سيتم تكوين جيش دفاع شعبي على غرار الحرس الوطني الذي كان قد أنشئ في بريطانيا خلال الحرب ، وذلك لحماية المنشآت والمرافق ..

وبعد غارة نجع حمادى ، خفت وطأة المصريين على جبهة قناة السويس ، ومرت خمسة أشهر قبل وقوع قصف جديد بالمدفعية بالغ العنف ..

وبالرغم من كفاءة المخابرات الاسرائيلية فقد صدمت أيضا كل من هيئة أركان حرب الاسرائيلية والحكومة عندما أصبح واضحا لها أن - المصريين قد تلقوا وحشدوا على طول القناة مزيدا من المدافع ومعظمها من عيار ثقيل ، بل وأكثر بكثير مما كانوا يتوقعون ، ومن ثم أخذ الاسرائيليون يعملون في همة ونشاط « لتقوية » دفاعهم الأمامية في القناة . لقد أظهرت غارة نجع حمادى المدى الذى يمكن للاسرائيليين أن يصلوا اليه ، وفي الوقت نفسه جعلت هيئة أركان الحرب المصرية أقل اقدا . ولو أنها على العكس ، سلكت موقفا أكثر جرأة وبسالة وواصلت قصفها للاسرائيليين الذين لم تكن لديهم الوقاية الكافية على الضفة الشرقية وأمطرتهم وابلا بالقصف المستمر بالمدافع لكان من المحتمل جدا أن تجبر الاسرائيليين على الانسحاب بعيدا عن مرمى المدفعية المصرية . ولو كان حدث ذلك لأصبح هناك حزام عرضه حوالى العشرين ميلا على طول الضفة الشرقية من القناة ، وكان من المجازفة أن يتبقى به القوات الاسرائيلية لفترة طويلة وبأى عدد كان . وبذلك يكون من السهل جدا على الكوماندوز المصريين القيام بعمليات الانزال أو الهجوم . لقد أخفق المصريون فى استغلال مثل هذه الميزة التكتيكية ، وبالتالي أضاعوا إحدى فرصهم الكبرى فى هذه الحرب عبر قناة السويس عندما كانت فى مراحلها الأولى .

كان الاتحاد السوفيتى قد عوض وقتئذ ما يقرب من الثمانين فى المائة من العتاد الذى خسره مصر فى حرب يونيو . وبتوزيع الأسلحة الجديدة وبإعادة تشكيل الوحدات وتدريبها بدأت تسرى فى الجيش روح جديدة من الثقة التى أخذت تخول الى روح عدوانية .

وبينما كان من المسلم به ضمنا أن المصريين قد لا يكونوا مستعدين لمواجهة الاسرائيليين فوق ميدان المعركة قبل عام ١٩٧٠ ، اذا بالجيش الذى كان قد منى بهزيمة ساحقة قبل ذلك بستة عشر شهرا فقط قد أصبح الآن يتحدى الجيش الاسرائيلى طلقة بطلقة ، وأصبحت له الغلبة وأخذ يستشعر الزهو والفخار من جديد ..

وكل هذا القتال عبر قناة السويس يتعين علينا أن ننظر اليه من منطلق أكثر اتساعا فى الشرق الأوسط . لقد أخذ الفدائيون يصعدون من جديد حيث بدأ نشاطهم فى حرب العصابات ومن ورائهم المساندة والمؤازرة السورية . لقد فشلت أول محاولة لهم للتسلل الى الضفة الشرقية التى

العشرين والثلاثين ميلا على حافة التلال المنخفضة ، وذلك لصد أية عمليات انزال للعدو . وعندما تطلب الموقف تدخل المدفعية المضادة دفعت اسرائيل الى القناة بمدافعها التى كانت معظمها « هويتزر » ذاتي الحركة . عيار ١٥٥ سم مثبتة على شاسيها شيرمان « م - ٤ » الأمريكية ودبابات « أ - م - اكس » المزودة بمدافع هويتزر عيار ١٠٥ . وكانت كلها تغير مواقعها باستمرار بعد اطلاق النار ، حتى اذا انتهت من عملها أعيدت الى مسافة عدة اميال حيث تظل مغطاة فى انتظار القيام بمهمة أخرى .

وكان الرد الاسرائيلى فى الثلاثين من أكتوبر ليلا بغارة عميقة داخل مصر بقوات تنقلها طائرات الهليكوبتر تستهدف تعطيل المنشآت فى نجع حمادى وبالقرب منها ، ( ويبلغ تعداد سكانها حول العشرين ألفا ) وتقع على نهر النيل على مسافة ١٤٠ ميلا من البحر الأحمر ، حيث نسفوا محطة المحولات التى تتحكم فى كابلات الضغط العالى بين القاهرة وأسوان . وكان من الأهداف الأخرى قناطر نجع حمادى وقناطر قنا ( ويبلغ تعدادها حول الأربعين ألفا ) وأهوسة الرى المجاورة ، وتم تدمير معظمها تدميرا جزئيا . وتقع مدينة قنا على مفترق الطرق الممتدة من منطقة البحر الأحمر والممتدة من الشمال الى الجنوب بوادى النيل . وأعلنت اسرائيل أن جميع قواتها عادت سالمة ، ونشرت صورة للأضرار التى أحدثتها ، وأكد أن الهدف من الغارة كان « اظهار قدرة القوات الاسرائيلية على الرد على العدوان المصرى وردعه » . واعترف الاسرائيليون بعد ذلك أنه قد استخدمت فى هذه العملية السفن وطائرات الهليكوبتر وسيارات الجيب .

وكان من المعروف أن لدى اسرائيل على الأقل ثلاث طائرات - هليكوبتر فرنسية « سوبر فريلون » فى مقدرتها حمل ما يقرب من الثلاثين جنديا مدججين بكامل سلاحهم وتصل الى مدى ٣٠٠ ميل تقريبا ، وعدد قليل من طائرات سيكورسكى « يو - ٥ - ٣٤ » التى يمكنها أن تحمل ثمانية عشر جنديا بكامل مهماتهم الى مدى ١٤٠ ميلا . وقد استخدمت فى الغارة طائرات « سوبر فريلون » وكانت كل واحدة تحمل مجموعة من الكوماندوز الاسرائيليين ممن تم اختيارهم ليتعاملوا كل مع واحد من الأهداف ..

وصدمت هيئة أركان حرب المصرية من جراء هذه الغارة التى تغلغت الى العمق ، وأبى التسليم بأن القوات الاسرائيلية نزلت داخل البلاد ، وأصرت على أن الأضرار وقعت نتيجة لقصف جوى ونيران الصواريخ ومن بواعث القلق أيضا أن الأهداف كانت على خط المواصلات من الشمال الى الجنوب بين القاهرة وأسوان ، والمسافة بينهما تقرب من الخمسمائة والستين ميلا على طول وادى النيل . وكثيرا ما يتحدث المصريون عن السد العالى بقولهم « أنه مستقبلا » . وهو السد الذى تعتمد عليه مصر كثيرا والذى قد تم أنجازه ستة وتسعين فى المائة منه . وكان من المتوقع بانجازه زيادة الرقعة الخصبة فى أعالي وادى النيل بما يقرب من مليون ونصف المليون هكتار مع



أصبحت الآن تحت الاحتلال الاسرائيلي والتي كان الاسرائيليون قد استأصلوا فيها الفدائيين الفلسطينيين منذ أواخر عام ١٩٦٧ . وكان في ذلك ما اضطر معه الفدائيون الى القيام باغارات فدائية والتسلل داخل اسرائيل عن طريق الاردن مما أثار عمليات الانتقام من جانب اسرائيل وقام الاسرائيليون بغارة انتقامية كبيرة على « الكرامة » ، وهي قرية أردنية بالقرب من خط وقف إطلاق النار الاسرائيلي ، وكان قد استقر بها في مارس ١٩٦٨ قرابة الثلاثة آلاف من الفدائيين معظمهم تحت التدريب ، غير أن هذه الغارة الانتقامية لم تحقق سوى نجاحا جزئيا ، فهي إذ أجبرت الفدائيين على الانسحاب الى بضعة أميال بعيدا عن متناول الاسرائيليين ليتجنبوا انتقامهم ، كانت في الوقت نفسه بمثابة نصر للفدائيين عن طريق الدعاية لهم .

وخلال بقية عام ١٩٦٨ اجتاحت العالم العربي موجة من الحماس للنشاط الفدائي وبانتهاء هذا العام كانت « فتح » وهي أكبر منظمة فدائية، تضم ما يربو على العشرين ألف فدائي ، بينما تدفقت عليها الأموال والأسلحة من كافة المصادر ، لقد كانت فترة سجلت توسعا سريعا للمنظمات الفدائية التي تضاعفت عددها فأصبح حول العشرين منظمة ، كل مستقلة عن أخرى، وكانت لمعظمها أهداف وايدولوجيات متباينة ، ولكنها كرست نفسها جميعا لهدف واحد هو إسقاط اسرائيل .

كانت الحدود الاسرائيلية مع لبنان هادئة ، كذلك كانت حدودها مع سوريا التي رفضت أن تسمح لنفسها بأن تكون قاعدة انطلاق للعمليات الفدائية ضد اسرائيل حتى تنفاد انتقامها ، ولكن حدود اسرائيل مع الاردن كانت تتسم بالتوتر حيث استغل الفدائيون ما كان عليه الموقف في الاردن من ضعف ، عسكريا وسياسيا ، وسرعان ما اصطدم الفدائيون في الاردن بجنود الملك حسين في شوارع عمان ، حيث كان الفدائيون يسيرون بملابسهم الرسمية وحاملين أسلحتهم ، لقد اعتقد الفدائيون أنهم محررون من أية قيود وطنية ، وطالبوا بحرية الحركة وبالمساعدات، وبعد الاصطدامات التي وقعت بينهم وبين قوات الأمن الاردنية وقف الرأي العام العربي الى جانب الفدائيين ، مؤيدا لأفكارهم ، مما حدا بالملك حسين لأن يعقد معهم « اتفاق نوفمبر » ، والواقع أنه كان اتفاق يتمثل في مبدأ « أن تعيش وتترك غيرك يعيش كما أنه لم يكن ليمنحهم أي شيء الا ما وجد نفسه مجبرا على منحه ، وذلك بدلا من استخدام القوة لاضاعتهم . وفي مصر سعى الرئيس عبد الناصر الى جمع الزعامات الفدائية المختلفة والسيطرة عليها ، والى أن يجعل من القاهرة مركزا للقيادات العامة لمناورات الفدائيين ، ولكنه ما كان ليسمح لهم بأن يقوموا بعملياتهم من الارض المصرية أو أن يمنحهم ذلك النوع من الحرية التي كانوا يحاولون الحصول عليها عنوة في البلاد العربية الأخرى .

### ٣ - البحث عن الأسلحة

« الحرب هي الفرصة الوحيدة الباقية » .

محمد حسنين هيكل - رئيس تحرير الاهرام

بعد الغارة على نجع حمادى في أكتوبر ١٩٦٨ ، خمد الاحتكاك بطول خط قناة السويس لعدة أسابيع ، مما أتاح لكل من مصر واسرائيل مواصلة الاستعدادات الحربية ومحاولة الحصول على مزيد من الأسلحة .

ولكن كانت لدى كل من البلدين مشاكله السياسية التي كان عليه أن يعمل للتغلب عليها ، ففي مصر تفجرت في الحادى والعشرين من نوفمبر أعمال الشغب من جانب الطلاب في المنصورة بالدلتا . . . وقد بدأها طلبة المدارس العليا وسرعان ما انضم اليهم طلبة الجامعة وكان على الشرطة أن تتدخل بالقوة ، وانتهى اليوم بمقتل أربعة أشخاص واصابة ما يزيد على الأربعين . . . وطالب المتظاهرون باصلاح التعليم ، والغاء « البوليس السرى » والرقابة ، وبمزيد من الديمقراطية البرلمانية . . . وامتد رد الفعل سريعا الى جامعة الاسكندرية حيث تم استدعاء الشرطة للتعامل مع الطلبة الذين « اعتصموا » بالجامعة ومع غيرهم من المتظاهرين . . . وفي الرابع والعشرين أغلقت كل الجامعات في مصر وكذلك المعاهد الدراسية العليا وعددها أربعة عشر ، وذلك الى حين صدور تعليمات أخرى ، وفي الخامس والعشرين انتقلت الاضطرابات من جامعة الاسكندرية الى الشوارع ، حيث انضم العمال الى الطلبة ، وقبل أن يهدأ الموقف كان عدد الضحايا قد بلغ ستة عشر قتيلا وما يزيد على المائة جريح .

وفي اليوم التالى ، أى فى السادس والعشرين ، أخذت الطائرات الحربية وطائرات الهيليكوبتر تحلق على ارتفاع منخفض فوق القاهرة فى استعراض للقوة لارهاب من تحدته نفسه بالشغب ، كما فرضت الرقابة على الأنباء الصحفية المرسلة الى الخارج . . . وصرح محمود رياض ، وزير الخارجية ، فى حديث صحفى بأن اضطرابات المنصورة والاسكندرية إنما هى جزء من وباء عالمى لم يؤثر فى بقية أنحاء مصر ، بينما قام هيكل رئيس تحرير الاهرام فحذر المصريين فى صحيفته من الاستخفاف أكثر من اللازم بهذه الاضطرابات . واجتمعت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربى لبحث ما تنطوى عليه .

وفى الثانى من ديسمبر ألقى الرئيس عبد الناصر خطابا أمام مؤتمر الاتحاد الاشتراكي العربى فى اجتماعه الذى عقده خصيصا لذلك ، وفيه أعرب عن دهشته لتصرفات الطلبة وألقى باللائمة على الانتهازيين والعناصر



غير الوطنية ، وعلى « العميل الاسرائيلي » الذي تسلل الى صفوف الطلبة . . وبعد يومين صرح امام نفس المؤتمر أن التسوية السياسية تعني أن اسرائيل لن تبقى على شبر واحد من الارض في أي قطر عربي . وفي الثامن من الشهر أعلن أن مصر قد تكون مستعدة للموافقة على وجود قوات أخرى من الأمم المتحدة في اطار تسوية عامة في الشرق الاوسط .

لم يكن المصريون قلقين كثيرا ازاء موقف روسيا ، ولكنهم كانوا في حيرة أمام موقف أمريكا فيما يتعلق بالشرق الاوسط . وان الذي أمكن استخلاصه على ضوء مقالات الصحفي هيكل ، والتي كانت تعتبر بوجه عام أنها تعكس أفكار عبد الناصر الخاصة ، هو أن النفوذ السياسي الأمريكي في الشرق الاوسط قد أخذ يتضاءل ، وأن الوجود السوفيتي المتزايد قد أخذ يحقق بحلف الاطلنطي في وقت أدرك فيه الغرب مدى ضعفه بعد غزو السوفيت لتشيكوسلوفاكيا في الصيف . . وكتب هيكل ، وهو يستخلص استحالة تسوية سياسية مع اسرائيل ، وضرورة أن تكون الاولوية المطلقة لاعادة بناء القوات المسلحة المصرية ، فقال « في مارس ١٩٦٨ ، كانت مواجهة العسكرية مع اسرائيل لتحرير الاراضي واحدا من العديد من الحلول البديلة . . وفي سبتمبر ١٩٦٨ كانت هي الامكانية الوحيدة الباقية » .

وكان عبد الناصر وقتئذ مؤمنا بأن ضغطا مشتركا من جانب كل من السوفيت والعرب قد اقنع أمريكا باعادة النظر في برنامج مساعدتها لاسرائيل وهو رأى شجعه رفض الرئيس جونسون امداد اسرائيل بطائرات الفانتوم .

وفي أكتوبر ، جرت في الاتحاد الاشتراكي العربي الانتخابات على مستوى لجنة عليا ، وذلك كمرحلة تالية فيما قام به عبد الناصر من اعادة التنظيم السياسي للاتحاد ، وتم انتخاب أنور السادات سكرتيرا سياسيا فقط ، بينما انتخب على صبرى مجرد سكرتير لاحدى اللجان التنظيمية الفرعية . . ورغم أن السادات ، وبالتأكيد أيضا صبرى ، من الأوفياء لعبد الناصر ، فإن ذلك لم يكن تماما ما كان يريده ، ولذلك عمل على تأجيل الانتخابات التنفيذية الاخرى ، الأمر الذي أبقى على السلطة في يد على صبرى . . غير أن صبرى تعرض بعد ذلك بقليل لأزمة قلبية مما اضطره لأن يتوارى لفترة عن المسرح السياسي .

وفي الثامن من يناير ١٩٦٩ توجه المصريون الى صناديق الانتخابات لمجلس أمة جديد وتلك هي المرحلة الختامية فيما وعد به عبد الناصر من اصلاح سياسى . . وفي العشرين من الشهر ، ألقى خطابا أمام الأعضاء الجدد قال فيه ان الحل السياسى للنزاع العربى الاسرائيلى مستحيل ما لم يدرك العدو أن فى امكان العرب اجباره على الانسحاب بالقتال وكان عبد الناصر يعتقد بأن أى زعيم عربى قد يحاول فى هذه المرحلة عقد صلح مع اسرائيل سيلقى لا محالة نفس المصير الذى لاقاه عبد الله ملك الاردن ، الذى قتل فى عام ١٩٥١ عندما نسب اليه انه حاول التوصل الى اتفاق مع

اسرائيل . . ان عبد الناصر يتمسكه بهذا الموقف الصلب استطاع أن يقنع الشعب المصرى بأنه ليست لدى الاسرائيليين النية فى الجلاء عن الاراضى المحتلة . وتناول عبد الناصر فى خطابه أمام مجلس الامة الجديد « الجبهة الداخلية » فقال ان التقدم مستمر فى الزراعة والصناعة ، واكد ما سيحققه السد العالى من فوائد ، وأشار الى ضرورة تنمية الصناعة البترولية فى مصر وكانت احدى الشركات الامريكية قد استأجرت حقل بترول أمام شاطئ خليج السويس يقدر احتياطيه بـ ١٥٠٠ برميل ، بينما كانت احدى الشركات الاخرى تقوم فعلا بضخ ما يقرب من أربعين ألف برميل يوميا من الآبار قرب العلمين . . وقيل ان انتاج البترول فى مصر سيصل فى عام ١٩٧٠ الى حوالى الاربعمئة وخمسين ألف برميل فى اليوم .

وفي الثامن من أكتوبر ، قدم الاسرائيليون الى هيئة الأمم المتحدة مشروعهم للسلام ، ولكنه قوبل بالنفور من جانب العرب لا بسبب المضمون بقدر ما هو بسبب ما فيه من حذف أو اغفال ، وذلك الى جانب أن الاسرائيليين لم يحددوا نواياهم المستقبلية . . وفى اليوم التالى رفضه وزير الخارجية رياض رستميا ، وطالب من جديد بانسحاب الاسرائيليين أولا من الاراضى المحتلة . ولكن فى الرابع عشر من نوفمبر علق موسى ديان بقوله : ان الاسرائيليين مستعدون لأن يدفعوا ثمنا غاليا للسلام الذى قد يتضمن عودة الاراضى المحتلة . . وهنا ظن العرب أنهم لو ثبتوا على موقفهم فإن من المحتمل أن يتراجع الاسرائيليون وكان من نتيجة الشكاوى من كلا الجانبين تعددت المناقشات فى الأمم المتحدة طوال عام ١٩٦٨ ، ولكن لم يتم حل أى شئ وأخذ جوناو بارنج يتنقل بين عاصمة وأخرى ولكن دون جدوى .

وفي نفس الوقت ، أخذ نشاط الفدائيين يهز الشرق الاوسط .

ففى السادس والعشرين من ديسمبر ١٩٦٨ هاجم اثنان من الفدائيين الفلسطينيين احدى طائرات ( المال ) فى مطار أثينا ، فقتل أحد ركبائها وأصيبت مضيئة جوية . . وادعى الفدائيون أن الطائرة كانت تقل طيارين اسرائيليين عائدین الى بلادهم بعد أن تلقوا تدريبا على قيادة طائرات الفانتوم فى أمريكا . . وفى الثامن والعشرين من ديسمبر قام « الكوماندوز » الاسرائيليون بحملهم طائرات الهيليكوبتر بالاغارة على مطار بيروت حيث دمروا فى خمس وأربعين دقيقة اثني عشرة طائرة عربية كانت رابضة بالمطار وألحقوا أضرارا تقدر بأربعين مليون جنيه . . وعللوا ذلك بأن الفدائيين الفلسطينيين كانوا يتخذون من لبنان مقرا لقيادتهم العامة ، كما أنهم يتلقون تدريبهم هناك . .

كان عبد الناصر يعطى دائما للفدائيين « تأييدا شفويا » رغم أنه كان يقيد فى حزم أى نشاط لهم فى مصر ، وظلت القاهرة مكانا لاجتماع منظمة التحرير الفلسطينية التى كانت ترعى جيش التحرير الفلسطينى الذى كان أربعة آلاف من رجاله موجودين بمصر فى قناة السويس ، وفى الرابع من فبراير



١٩٦٩ أصبح ياسر عرفات ، تلك الشخصية الفدائية البارزة رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية مع احتفاظه رئيساً « لفتح » . وبعد ذلك كثرت اتصالاته بعبد الناصر حيث كان كل منهما يحاول التأثير في الآخر .

وسرعان ما أخذ عرفات يجاوز الحدود ، حيث أعلن في العاشر من فبراير نقل لواء جيش تحرير فلسطين من مصر الى الاردن . . . ويغلب الظن أن هذا المشروع قد تم بالاتفاق مع عبد الناصر ، ولكن دون استشارة حسين ملك الاردن ، وبدأ الرأي العام العربي يبدى ارتياحه . . . ومن المؤكد أن الملك حسين لم يكن يريد مزيداً من الفدائيين في بلاده في ذلك الوقت ، حيث كان لديه بالفعل أكثر مما كان في وسعه التعامل معهم . . . وبعد أيام قليلة عدل عن الفكرة مع نفى النبا الأصلي ، وبقي لواء جيش تحرير فلسطين في مصر .

كانت الحكومة في اسرائيل ائتلافية منذ قيام دولتها ولما كان التمثيل فيها نسبياً تعددت فيها الأحزاب السياسية ولكل منها عدد مختلف من ممثليه في الكنيست . . . وكانت هناك محاولات كثيرة في الماضي من أجل الاندماج لاتاحة الفرصة لحزب واحد للحصول على أغلبية مؤثرة . . . وفي العشرين من يناير ١٩٦٩ عقد ميثاق تحالف بين حزب العمل الاسرائيلي والحزب اليساري « مابام » .

وكان من شأن هذا الاندماج الجديد أن أصبح لحزب العمل الاسرائيلي اثنان وستون مقعداً من مقاعد الكنيست وعددها مائة وعشرون .

وكان حزب العمل قد ظهر الى عالم الوجود في العام السابق ( ٢١ يناير ١٩٦٨ ) كنتيجة لاندماج أحزاب « مابام » و « أهدوت أفودا » و « رافى » . . . وفي العشرين من فبراير أحيط اقتراح بعدم الثقة « برئيس الوزراء أشكول في الكنيست ، وذلك على أثر النزاع حول حديث صحفي كان قد أدلى به لأحد الصحفيين قال فيه أنه لا مصلحة لاسرائيل في أية منطقة مأهولة من مناطق الضفة الغربية ، وأنه لا يهمها سوى وجود عسكري صغير بطول نهر الاردن والقدس وشم الشيخ . . . وكان في اسرائيل اتجاه قوى جداً يؤيد الاحتفاظ بجزء كبير من الاراضي المحتلة واستيطانها .

وفي السادس والعشرين من فبراير توفي رئيس الوزراء أشكول متأثراً بأزمة قلبية ، ورأس الحكومة ، نائب رئيس الوزراء ، بصفة مؤقتة الى أن انتخبت اللجنة المركزية لحزب العمل الاسرائيلي السيدة جولدا مائير لتخلفه في رئاسة الحكومة . . . وهي من مؤسسى حزب ما باى وتبلغ من العمر احدى وسبعين سنة ولدت في روسيا ، وانتقلت وهي فتاة صغيرة الى أمريكا حيث أصبحت مدرسة قبل أن تهاجر الى فلسطين عام ١٩٢١ وخلال فترة الانتداب كان لها نشاطها السياسي في الوكالة اليهودية . وعندما نشبت الحرب العربية الاسرائيلية الاولى عام ١٩٤٨ تنكرت في زى

امراة عربية ودخلت أرض الاعداء لتجربى محادثات مع عبد الله ملك شرق الاردن . . .

وكانت أول سفير لاسرائيل لدى الاتحاد السوفيتي بعد هذه الحرب ، وهناك بعض الشكوك فيما إذا كان موسى ديان - من حزب رافى قد ينضم الى حكومتها إذا طلب منه ذلك ، أم أنه سيعارضها بل قد يعمل أيضاً على اقناع حزبه بالخروج من التحالف السياسي . . . ولكنه قبل أن يبقى بالوزارة كوزير للدفاع ، وهذا يعنى الاستمرار في سياسة الدفاع . . . وفي التاسع عشر من مارس أكدت رئيسة الوزراء مائير عدم استعداد اسرائيل لقبول أية قوات للأمم المتحدة فوق أرض اسرائيل .

وكان من أهم بواعث القلق لدى اسرائيل هو أن تعرف على وجه الدقة ما الذي يريده الروس في الشرق الاوسط وعن مدى استعدادهم للسعى في تحقيق ما يريدون . . . وإلى جانب ذلك لم تكن الزعامة الاسرائيلية لتثق في عبد الناصر ، ومن ثم كان على اسرائيل أن تظل في حالة استعداد عسكري الى أقصى الحدود ، وكان هذا عبئاً ثقيلاً على البلاد يستوعب حوالى العشرين فى المائة من اجمالى انتاجها الوطنى ونحو الخمسة والعشرين من انتاجها الصناعى . كذلك كانت الضرائب على الافراد ثقيلة ، الى جانب ما كانت تأخذه من ميزانية الماهيات والأجور من أجل الدفاع . . . ومع ذلك لم يكن هناك سوى القليل من التذمر حيث كان معظم الاهالى يقدرون مدى الحاجة الى ذلك .

كانت اسرائيل مقيدة بالقيود السياسية الدولية وبالقيود المالية ومن ثم كانت لديها صعوبة مستمرة فى الحصول على كمية وأنواع الاسلحة التى كانت ترى أنها بحاجة اليها للدفاع عن نفسها على النحو الملائم . . . لقد ظلت لعدة سنوات تكافح من أجل اقامة صناعة محلية للاسلحة ، ولكن حال دون ذلك افتقارها الى المعدات والمساعدة والتشجيع من جانب الدول الكبرى التى كانت ترتاب فى أنها قد تغلب فكرة هذه الدول عن التوازن العسكرى السليم فى الشرق الاوسط . . . ولكن بالرغم من ذلك نجحت اسرائيل فى انتاج كثير من أنواع الاسلحة من بينها الاسلحة الصغيرة والهاون والذخيرة وقطع الغيار والمهمات الشخصية ، وفى تجميع سيارات النقل والجيب . . . وظل المدفع الرشاش « أوزى » مستخدماً فى قوات الدفاع الاسرائيلية لعدة سنوات ، وهو سلاح تم تصميمه وانتاجه بمعرفة الاسرائيليين ، واشترت بعض الجيوش الاخرى كميات صغيرة منه ، وكان من شأن الحظر الذى فرضته فرنسا على الاسلحة فى حرب يونيه أن خشيت اسرائيل من أن يوصد فى وجهها مصدرها الوحيد لتزويدها بالاسلحة الحديثة ، لذلك جددوا محاولاتهم لتطوير صناعة أسلحتهم المحلية .

ويشير أول تقرير عن التقدم فى هذا المضمار فى يناير ١٩٦٩ الى أن ما يزيد على العشرين مصنعاً تضم زهاء الخمسة آلاف شخص كانت تنتج



والعشرين من مارس ، عندما نادى الرئيس السوري حافظ الأسد بوحدة فيدرالية بين سوريا ومصر والعراق لم يرد أى ذكر أو تفكير فى أى اتصال أو تحالف مع حلف وارسو .. وهكذا لم تحقق الفكرة السوفيتية .

وفى السادس عشر من نوفمبر ١٩٦٨ انشأت الحكومة المصرية مجلس دفاع وطنى برئاسة عبد الناصر ، لاعداد البلاد للحرب . وفى اليوم التالى للغارات الاسرائيلية الثقيلة على مخيمات الفدائيين فى سوريا فى الرابع والعشرين من فبراير ١٩٦٩ ، أعلنت حالة الطوارئ فى مصر وكان ذلك يعنى اعلان أقصى حالات الاستعداد بين جيش الدفاع الشعبى والشرطة وعناصر الدفاع المدنى بما فى ذلك فرق المطافئ والمستشفيات وبعض الخدمات البلدية وأخذ يبدو للاسرائيليين أن سحب الحرب أخذت تتجمع ، وشعروا بأن المصريين قد يكونون مستعدين لشن هجوم أكبر ضدهم فى خريف ١٩٦٩ .. لذلك أعاد الاسرائيليون النظر فى استراتيجيتهم وتكتيكهم ووجدوا على سبيل المثال فى حرب يونيه كيف كان باهظا ظاهريا مهاجمة المواقع الدفاعية الثابتة على النمط السوفيتى ، وتحول الاهتمام الى اغارات الكوماندوز بدلا من الهجمات التى تعززها الاسلحة الثقيلة .. وبهذه العقيلة أنشئ فى القوات الدفاعية الاسرائيلية منصب جديد ، هو مدير قوات المظلات والمشاة ، واختير لتوليته البريجادير رافول الذى كان قد أصيب بجراح اثناء قيادته لوحدة من المظليين فى الجزء الشمالى من سيناء خلال حرب يونيه .

وكانت مهمته تدريب المشاة وخاصة المظليين على تكتيكات اغارات الكوماندوز . وفى أواخر عام ١٩٦٨ كان لايزال شعور السخط يسود مصر وكذلك الشعور بخيبة الامل بين قطاعات من الاهالى . ولما كان عبد الناصر قد اتخذ مقعده فى السلطة السياسية كسكرتير عام للاتحاد الاشتراكي العربى فلا بد أنه شعر كيف أنه أخذ يتأرجح من جانب الى جانب ، يشده الشمال الذى كان يشعر بأن الاشتراكية لم تطبق على النحو الكافى ، كما يشده اليمين الذى كان يرى أن الاشتراكية قد تجاوزت حدودها .

ولكن كان النقيضان يفضلان أن يريا عبد الناصر فى السلطة وهذا أهون الشر - عن أن يتولاها أى فرد من المعارضين .

وأصبحت مصر كدولة وقد بدت متبلدة الحس أكثر منها مرهقة أنهكتها الحرب وبدت القاهرة كثيبة حيث أصبحت الكماليات فيها محظورة لتوفير النقد الاجنبى وحيث مكث الاهالى لعدة شهور وهم ممنوعون من اللحم لثلاثة أيام فى الاسبوع .. وكانت الطبقة الوسطى والمتعلمة تميل من قبل الى توجيه اللوم الى عبد الناصر على التورط فى حرب اليمن ، وما وقعت حرب يونيه الا واتفقوا على أن اسرائيل هى العدو الحقيقى وأن عبد الناصر قد يكون مصيبا فى موقفه .. لقد كان عشرة آلاف مهنى بهاجرون سنويا ، ولكن الحكومة لم تكن قلقة جدا اذ كانت هجرتهم تعنى توفير العمل للطلبة

من المعدات ما تقدر قيمته بأثنين وأربعين مليون جنيه سنويا ، وتنضم من الذخيرة للمدافع والمدافع الطائرات ومهمات الكترونية ومهمات للمواصلات ومجموعة كبيرة من قطع الغيار للأسلحة والعربات ، كما أخذوا فى تطوير دبابة سريعة ذات تصميم متقدم ويبلغ مداها ثلاثمائة ميل وتعرق باسم « شوت كول » مأخوذة عن الطراز الأمريكى « م - ٤٨ » ومزودة بمحرك ديزل ومدفع ١٠٥ مم . وكانوا ينتجون أيضا صاروخا موجه بالتليفزيون جو / أرض ، ومدفع ٩٠ مم مضاد للدبابات يثبت على عربة نصف نقل ( وهو الطراز الأمريكى القديم م - ٣ ) وبندقية جديدة .. وكانت البحرية الاسرائيلية تستخدم الصاروخ « جبريل » سطح سطح . وأحرزت اسرائيل تقدما أيضا فى ميدان الاجهزة الحاسبة التى يوجد منها بالبلاد حوالى المائة نوع ومنذ ذلك الوقت لم يعرف سوى القليل من التفاصيل ولكن اذا أخذنا فى الاعتبار ما تلقته اسرائيل مؤخرا من مساعدات فنية أمريكية فإنه من المعتقد أن القاعدة الصناعية للأسلحة الاسرائيلية لابد أن تكون قد اتسعت بصورة كبيرة .

والان وقد عاد الاتحاد السوفيتى الى مصر فإنه كان شديد الاهتمام بإيجاد الوسائل التى يتحكم بها فى الكميات الضخمة من الاسلحة التى كان يبعث بها الى مصر ، وبلاطمشان الى أن المدافع كانت مصوبة الى هدفها الصحيح أى ضد الامبريالية الغربية . وفى أوائل أكتوبر من عام ١٩٦٨ قام المارشال ياكوبوفسكى رئيس أركان حرب السوفيتى بزيارة لمصر والتفتيش على المواقع فى منطقة قناة السويس وبعث بتقريره الى اجتماع لوزراء الدفاع لدول حلف وارسو الذى عقد فى موسكو فى التاسع والعشرين من أكتوبر . وعاد المارشال ياكوبوفسكى الى مصر فى الثانى من نوفمبر ، وكان مجيئه هذه المرة لمراقبة التمرينات العسكرية .

وفى الخامس من الشهر اقترح الاتحاد السوفيتى صورة من الاتحاد العربى المشترك بين مصر وسوريا والعراق ، وهى البلاد التى كان الاتحاد السوفيتى يمدّها بالاسلحة وبين منظمة حلف وارسو ، غير أن العرب تلقوا هذا الاقتراح وهم متشككون فيه .

وفى الحادى والعشرين وصل وزير الخارجية السوفيتى الى القاهرة فى زيارة تستغرق ثلاثة أيام يجرى خلالها محادثات مع الرئيس عبد الناصر ووزير الخارجية رياض .

وكان الرئيس الأمريكى جونسون يميل الى أن يترك كلا الجانبين يسويان خلافتهما فيما بينهما ، وسحب نفسه قسرا الامكان من مشاكل الشرق الاوسط الامر الذى أتاح للاتحاد السوفيتى أن يبدو وكأنه أصبح مطلق الميدين فى الدول العربية . ولما تولت حكومة نيكسون السلطة فى يناير ١٩٦٩ سلكت موقفا مغايرا ، وحثت على اجراء حلقة من المحادثات التى شجعت على احياء اهتمام الدول الاربع الكبرى . وفى السادس



قياس تسليحهم قياسا حديثا .. والواقع أنهم وفقا لهذه السياسة أرسلوا الى الاردن ما كان متبقيا لديهم من دبابات سنتوريون البريطانية .

كان هناك عجز شديد في قطع الغيار لكل شيء بينما كانت امدادات الذخيرة باستثناء ذخيرة المدفعية المرابطة بالقرب من القنصاة محدودة هي الاخرى وكان المصريون على سبيل المثال بحاجة خاصة الى سيارات الجيب، وكانوا يحاولون شراءها عن طريق الغير في البلاد العربية من المصادر التجارية وكان الأمر يبدو كما لو كان الروس يريدون عامدين كبج جماع القوات المسلحة المصرية التي كان من المؤكد أنها في حالة لا تسمح لها بالقتال لأكثر من يومين أو ثلاثة الا في حالة الدفاع ، الامر الذي لابد أنه كان يدعو الى شعور عبد الناصر بالارتياح ويتيح له في أمان أن يواصل الضرب على نغمة الاهداف السياسية .

أخذ صفار المجندين المصريين يالفون التدريب السوفيتي الخشن ، واخذت تزداد ثقتهم وترتفع معنوياتهم ، وكذلك كان الحال بالنسبة الى الكثيرين من صفار الضباط الذين كانوا تواقين الى اثبات جدارتهم . وكان عدد من الوحدات صالحا تقريبا للمعركة ، أو كان يشعر بذلك ، ولكن كان الرجحان للنصائح والآراء الواقعية من جانب الفريق رياض وهيئة أركان حرب تؤازرها البعثة العسكرية السوفيتية وبالتالي لم يجد عبد الناصر معارضة لسياسته السرية .. وكان الجيش عامة ، و صفار الضباط خاصة ، يشعرون بالفيرة من السمعة التي اكتسبها الفدائيون وودوا لو أنهم استطاعوا أن يغطوا عليها وأن يبرزوهم . وكم كان يود كثير من الضباط لو أنهم احتلوا ذلك المثلث الصغير من الأرض على الضفة الشرقية من القناة وفي طرفها الشمالي والتي لم يكن للمصريين فيها سوى وجود رمزي في تلك القبة الصغيرة من المستنقعات ، وتمنوا لو أنهم احتلوه بتكرار داوريات الكوماندوز ولكن ذلك قد يتطلب ساترا من قوات دفاعية أمامية تجتاز المستنقعات الى سفوح تلال سيناء والتي ستكون مفتوحة على مصراعها للهجمات الاسرائيلية المدرعة .. ولكن هيئة أركان حرب قد لا تفكر في أن توصي عبد الناصر بمثل هذه العملية ، فهي تتردد أساسا لأن الاتحاد السوفيتي لم يتعهد بأي عمل عسكري لمؤازرة المصريين في حالة وقوع حرب .. وبوجه عام ظلت البعثة العسكرية السوفيتية والمستشارون السوفيت بمعزل عن المصريين ولا يحسنون الظن بهم .

كان في ظهور اللواء الجزائري الذي أرسل الى القطاع الاوسط للقناة عند فايد ما شدد من عزيمة المصريين الذين كانوا يأملون أن تحذو الدول العربية الأخرى حذو الجزائر فتبعث هي الأخرى بفصائل من جيوشها ، ولكنها كانت أبطأ من أن تفعل ذلك والقوة العربية الأخرى الوحيدة كانت قوة ليبية .. وبكامل طول القناة من الجانب المصري . أخذ يسود جو الواقع القاسي للحرب ، فالقرى والمدن التي تم اجلاء الاهالي عنها بدت خالية

بعد تخرجهم .. وفيما يتعلق بالفلاحين الذين يشكلون أغلبية الشعب ، ظل الخطر الاسرائيلي وكأنه بعيد عنهم وغير واقع ، كما أن الحرب لم تكن لتعنى سوى القليل بالنسبة لذلك الرجل الذي كان عليه أن يعمل طويلا وبنفس المشقة كما كان من قبل .

لقد كان الرئيس عبد الناصر ، والذي يعرفه رجل الشارع عادة بكلمة « ريس » في مازق يجعله يتحدث دائما عن الحرب ، ويحاول اظهار أنه على وشك القيام بعمل ضد اسرائيل ، حتى يحصل بذلك على ثقة شعبه ويحتفظ بها ، وكذلك ثقة القوات المسلحة والاتحاد الاشتراكي وبقية الدول العربية الأخرى والفدائيين وكثيرا ما كان يصرح علانية أن التاريخ لن يأخذ عليه أنه الزعيم العربي الذي عقد صلحا مع اسرائيل .. لقد تولى المسؤولية الشخصية والقيادة منذ حرب يونيو وكان يشك فيما إذا كان سيحتل هزيمة أخرى سياسية كما أنه لم يكن في عجلة لبدء القتال وأن كان لم يكن ليجرؤ على التصريح بذلك . وقد وصف استراتيجيته ضد اسرائيل بأنها ذات مراحل ثلاث : الصمود ويعنى بها عدم التسليم بالهزيمة ، والردع ويعنى بها الفار والانتقام ، والتحرير ويعنى بها النصر مع تحرير الاراضى المحتلة .

وبحلول عام ١٩٦٩ كان قد تم إعادة تنظيم الهيكل القيادي الكامل للقوات المسلحة على النظام السوفيتي ، وأصبح العنصر القتالي للجيش مجمعا في ثلاثة « جيوش » اثنان منهما - وكل واحد منهما يضم خمسين ألف رجل - وهما الجيش السادس والسابع ، يتكون كل منهما أساسا من فرقتي مشاة وفرقة مدرعة ويرابطان في مواقع بمنطقة القناة ، أحدهما على المرتفعات بين القاهرة والدلتا ويغطي المنطقة المتجهة شمالا من الاسماعيلية بوحدات مشاة أمامية ومن ورائها وحدات مدرعة على مسيرة بضعة أميال . أما الجيش الآخر فقد كان في وضع مماثل الى جنوبي الاسماعيلية حتى منطقة ميناء السويس ، وكان مقر القيادة العامة للتنسيق في الاسماعيلية .

وسرعان ما تم استيعاب المهمات السوفيتية ، ولكن كان التعليم هذه المرة باللغة الانجليزية ، وهي اللغة التي يفهمها كل الضباط المصريين .. وسرعان ما اعترف صفار الضباط في تذر بأن المدربين السوفيت معلمون ممتازون رغم أنهم يرهقون بتعليمهم .

ولما كان مزيد من المصريين قد تعلموا كيف يستخدمون الاسلحة السوفيتية الجديدة ، فقد هبط عدد العسكريين السوفيت في مصر الى اقل من الالفين وكادت امدادات الاسلحة السوفيتية الحديثة تصل الى درجة الصفر . وكان الروس لا يزالون على استعداد لارسال نماذج أقدم مثل الدبابة « ت - ٣٤ » وغيرها من المهمات التي عفا عليها الزمن حتى في الجيش السوفيتي الذي أعيد تجهيزه بالحديث من السلاح ، ولكن المصريين لم يعودوا يرغبون في هذا السلاح القديم ، فقد كانوا يريدون فقط أن يكون



مهجورة وقد تهدم الكثير من المباني وأصيب بأضرار بالغة ، وفي الرابع عشر من فبراير عام ١٩٦٩ قيل أن مصر مستعدة لأن تسمح بعملية مسح للجزء الجنوبي من القناة للنظر في إمكان اخراج السفن المحجوزة في البحيرات المرة الكبرى ، على أن يتم ذلك على نفقة أصحاب هذه السفن . وقال الاسرائيليون أنه لن يكون لديهم مانع بشرط أن توافق أولا على التفاصيل ولكن لم يحدث شيء من ذلك .

وبقيت آثار السخط تخيم على القوات المسلحة سواء لدى كبار الضباط الذين كانوا يشعرون بالألم من معاملتهم بعد حرب يونيو أم صغار الضباط الذين كانوا يشعرون بالقلق والضيق ازاء تردد الحكومة في أن تدفع بهم الى المعركة وكان بعض صغار الضباط ، وهم يتهايمون فيما بينهم لا يسمعون الا أن يتذكروا أن عبد الناصر نفسه قد وصل الى السلطة عن طريق الجيش وسخط الجيش .

وعلى أية حال كان السبب الرئيسي للاستياء هو الاحتكاك بين الضباط المصريين والمستشارين السوفيت الذي وصل الى الدرجة التي جعلت عبد الناصر يقوم بزيارة لمنطقة القناة في السابع والعشرين من فبراير ليقتف بنفسه على الموقف الحقيقي وعلى الشعور الحقيقي هناك وقد قوبل هناك وفي عدة أماكن بدرجة غير مألوفة من البرود بينما أبدى صغار الضباط بشكل واضح مدى ما يشعرون به من ضيق ونفاد صبر وكانوا أحيانا يسألون صراحة متى سيقومون بمحاربة الاسرائيليين .

## ٤ - حرب الاستنزاف

( لسوف ترد اسرائيل على كل ضربة تطلقها

بسبعة أمثالها )

« جولدا مائير رئيسة الوزراء »

ولكى يتسنى للرئيس عبد الناصر أن يرفع الروح المعنوية عند عودته في شهر فبراير من زيارته للخطوط الامامية لقواته ، فقد أعطى تصريحاً باطلاق سدود من نيران المدفعية توجه عبر القناة الى الاسرائيليين في الجهة المقابلة ، وذلك من أجل تهدئة حالة التذمر السائدة بين صغار الضباط تجاه حالة الركود المستمرة من جهة ، ولكي يظهر أمام المصريين والعرب والعالم بوجه عام على أنه يقود الحرب ضد اسرائيل . وكانت كتابات مدفعية قد زادت لتبلغ ١٤ كتيبة الى جانب اثنتين أخريين كانتا تحت التشكيل كما كان ثلثا هذه الكتيبات على طول قناة السويس مزودة بما هو بين ٦٠٠ الى ٧٠٠ من مدافع الميدان والمورتار .

ولقد كان عبد الناصر يعلم بأنه يتفوق على اسرائيل في المدفعية التي لم يكن سوى خط رقيق من مواقع الملاحظة يمكن أن يطلق عليها بالكاد على أنها خطوط دفاعية ، أحدها كان في الضفة الشرقية يعمل على ادارتها لواءان من ألوية المدفعية يدعمها من الخلف لواء من المدرعات بالإضافة الى ما يقرب من ٤٥٠ من المدفعية الميكانيكية .

ولقد كانت منطقة القناة هادئة نسبياً منذ السدود من نيران المدفعية التي تمت في ٢٦ أكتوبر ، ومنذ ذلك التاريخ قامت اسرائيل « بدعم » خطوطها الدفاعية الدقيقة لكي تصبح ما عرف فيما بعد بخط بارليف نسبة الى الجنرال بارليف رئيس أركان حرب القوات المسلحة الاسرائيلية . ولقد تكون هذا الخط من مجموعة من الخنادق ذات الطوابق المتعددة جرى تغطية سقوفها « بمواد خاصة » عبارة عن تركيبة من قضبان أخذت من سكك حديد سيناء ، وكتل من الخشب وأسمنت ورمال ، تستطيع أن تتحمل الضرب المباشر من المدفعية عيار ١٣٠ مم ، وهي أكبر المدافع التي كانت تمتلكها مصر .

وهذا الادعاء بالنسبة لخط بارليف قد جرى اثبات صحته على نطاق واسع كما أنه كان السبب في أن خسائر اسرائيل في الأفراد كانت ضئيلة خلال كافة السدود الكثيفة من النيران التي تمت عام ١٩٦٩ .



وكان من السهل أن يشم المرء رائحة الحرب على كلا الجانبين ففي ٤ مارس ٦٩ أطلق موسى ديان تحذيرات حول خطورة زرع الألغام وعمليات القناصة من جانب المصريين على طول القناة ولم ينقض بعد ذلك سوى يومين حتى كان المصريون قد أطلقوا في السادس من مارس سدا كثيفا من نيران مدفعيتهم عبر الممر المائى موجها نحو خط بارليف الذى لم يكن قد استكمل بناؤه الا منذ أسبوعين بين القنطرة والسويس ، هذه النيران التى دامت خمس ساعات قبل أن يصل مراقبو الأمم المتحدة ويعملوا على وقف إطلاق النار وكانت هذه المرة بداية إطلاق غللات من سدود النيران كانت تستمر لفترات على طول ما تبقى من هذا العام . ولقد قرر مراقبو الأمم المتحدة بعد ذلك ( فى ٨ مارس ) بأن المصريين هم الطرف البادى بإطلاق النيران . وبعد يوم من الهدوء النسبى نشب سد آخر من سدود النيران عبر القناة فى اليوم الثامن من مارس اشتركت فيه مئات المدافع والمورتار ، ومرة أخرى تأكدت الأمم المتحدة أن هذه النيران بدأت من جانب المصريين . ورد الاسرائيليون بالمثل ، وفى هذه المرة أطلقوا نيرانهم على معمل لتكرير البترول فى السويس مشعلين النار فى مستودعات البترول ، وكان من السهل رؤية حلقات الدخان الأسود على مسافة أميال .

وفى الساعات الاولى من يوم التاسع من مارس بدأت معركة مدفعية أخرى حيث تمكنت إحدى القذائف من قتل الجنرال رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية والذى كان فى زيارة فى مركز متقدم من مراكز الملاحظة بالقرب من الاسماعيلية وفى اليوم التالى تم اقامة جنازة له على مستوى الدولة فى القاهرة وخلفه فى منصبه الفريق أول أحمد اسماعيل على . وفى تبادل اطلاق النار الذى تم فى هذه المرة بالذات أعلن المصريون أنهم قد تمكنوا من تدمير خمسة بطاريات مدفعية ومورتار وانهم أسكتوا ٢٦ ، كما أسقطوا ثلاث طائرات اسرائيلية ، غير أنهم اعترفوا بدمار معمل تكرير البترول وبفقد أربعة جنود لقو حتفهم بالإضافة الى ٣٩ جريح الى جانب مصرع ٧٢ فردا من المدنيين . وفى الحقيقة ، فان خسارة كبيرة قد لحقت بأربعة عشر مستودعا من مستودعات البترول . أما الاسرائيليون فقد اعترفوا بمقتل خمسة منهم ، واصابة ٢٦ ، وتدمير مركبتين وسقوط طائرة من طراز « بايبر كلوب » أسقطها أحد صواريخ سام - ٢ وقد صمد خط بارليف صمودا كبيرا أمام ثقل هذه السدود من النيران .

وفى اليوم التاسع من مارس صدر قرار « باظلام » شامل على مستوى الدولة فى مصر ، وكان هذا أول القرارات من هذا القبيل منذ حرب يونيو ، غير أن تنفيذ هذا القرار كان بطيئا كما أنه لم يطبق الا جزئيا . بادئا بإطفاء أنوار النيون الضخمة فى المدينة الى نوافذ المنازل ، ثم بعد ذلك كشافات السيارات . غير أنه من الناحية الفنية ، فان مثل هذا الاظلام قد عفا عليه الزمن فى عصر وجود أجهزة الكشف الالكترونى من أمثال الطائرات الاسرائيلية المحمولة والتى كان فى إمكانها جلب الحرب الى رجل

الشارع . هذا الى جانب أنه قد جرى حماية كبارى النيل ، ومداخل المباني الحكومية ، ومكاتب البريد ومحطات السكك الحديدية باكياس من الرمل كما تم بناء جدران مضادة للانفجارات فى كثير من الاماكن وبدأ واضحا أن القاهرة تعد اعدادا جددا للحرب ، وفى حين أنه لم يكن هناك حماس حربى ظاهر كتلك الحالة التى كانت سائدة قبل حرب يونيو مباشرة ، فان معظم المصريين بدأ عليهم أنهم أعدوا أنفسهم « اجولة رابعة » .

وفى العاشر من مارس كانت المدفعية المصرية صامتة فى معظمها وكان ذلك هو يوم جنازة الفريق رياض ، غير أنه فى اليوم التالى انطلقت هذه المدافع مرة أخرى فى نفس الوقت الذى كان الاسرائيليون يكملون اخلاء من تبقى من السكان فى مدينة القنطرة العربية ليعودوا بهم الى العريش . وتم تدمير سفينة أجنبية فى ميناء السويس فى هذا القصف . وفى اليوم الثانى عشر من مارس وأثالث عشر منه وخلال معارك مدفعية أخرى تم اشعال النار فى مستودعات أخرى فى معمل تكرير السويس . وخلال ما تبقى من مارس تم تبادل اطلاق النار عبر القناة بصفة يومية .

وفى الحقيقة فان هذه الحالة استمرت خلال شهر ابريل أيضا ، وكانت هذه السدود الكبرى من النيران قد حدثت فى يومى الثامن عشر والرابع والعشرين من مارس ، وفى الرابع والثامن والحادى عشر والثالث عشر والرابع عشر ، ومن السادس عشر الى العشرين من شهر ابريل . وفى معظم الحالات حاول مراقبو الأمم المتحدة بذل كل جهودهم لوقف إطلاق النيران فى خلال ساعات قلائل ، وكان كل من الجانبين بصفة دائمة يتهم الطرف الآخر ببدء إطلاق النار ، غير أن رجال الأمم المتحدة قرروا أخيرا أن مصر كانت هى البادئة عادة بإطلاق النار . وفى شهر مارس حذر الاسرائيليون من أنه اذا استمر المصريون فى القصف فان الاسرائيليين ليست لديهم انية فى البقاء فى خنادقهم الى مالا نهاية ، وأنه على الرغم من أن كثيرا من الأهداف الانتقامية ليست فى نطاق مدفعيتهم ، فانها مع ذلك تدخل فى نطاق سلاحهم الجوى . وفى الثامن من ابريل بدأ المصريون فى اخلاء بور سعيد وهى المكان الاخير ذو الحجم الواضح على الجانب المصرى الذىبقى فيه عدد من السكان المدنيين .

وهكذا بدأ الآن الرئيس عبد الناصر حرب الاستنزاف والذى قصد بها سحق الاسرائيليين ببطء وتفتيتهم قطعاً . فقد شرح للمؤتمر الثانى للاتحاد الاشتراكى العربى فى السابع والعشرين من مارس بأن القوات المصرية تعد العدة « للانطلاق فى معركة التحرير » ضد الاسرائيليين . وقد كان يشعر بوضوح أنه قد نجح فى مرحلة الردع أو مرحلة الانتقام ، كما أنه حذر اسرائيل من أنه سوف يأتى الوقت الذى تستطيع فيه مصر ضرب المراكز المدنية الاسرائيلية ردا على الهجمات الاسرائيلية على المدن الواقعة على طول القناة وفضلا عن ذلك فقد كرر القول للاتحاد الاشتراكى العربى بأن السلام



لا يمكن أن يفرضه أحد على المنطقة من خارجها ، وأن العرب سوف لا يتخلون عن مبادئ مؤتمر الخرطوم ، تلك المبادئ التي جرى تنفيذ أحكامها منذ سنتين . ولقد كرر كثيرا ما قاله في خطاب آخر ألقاه في أول أبريل . ولقد كان بعض المطلعين يعتقدون أن مرحلة حرب الاستنزاف التي يقودها قد بدأت بالفعل في هذا التاريخ ، حيث أنه أعلن أن اتفاق وقف إطلاق النار الذي تم في التاسع من يونيو يعتبر غير ساري المفعول .

وفي التاسع من شهر أبريل أعلن أوثانت أن مبعوثه الخاص في الشرق الأوسط جونار يارنج قد استأنف مهام منصبه كسفير للسويد لدى الاتحاد السوفيتي ، غير أنه سوف يكون جاهزا فور طلبه في الوقت الذي تستدعي فيه التطورات الحاجة إلى خدماته مرة أخرى . وفي نفس الوقت بدأت سلسلة من محادثات ( الأربعة الكبار ) وفي العاشر من أبريل قام الملك حسين ملك الأردن بزيارة لأمريكا ، وحين إقامته هناك قام بإلقاء خطاب إلى نادي الصحافة في واشنطن طارحا خطة سلام مكونة من ست نقاط ربطها باسم الرئيس عبد الناصر . وكانت المقترحات الأساسية فيها أن يعترف العرب بإسرائيل مع السماح بمرور سفنها في قناة السويس ومضائق تيران مقابل انسحابها من الأراضي المحتلة . غير أن هذه المقترحات لم تقابل بالاستحسان من جانب الإسرائيليين ، الذين كانوا لا يزالون يصرون على مفاوضات مباشرة كما أنه كانت هناك شكوك فيما يتعلق بدقة ومدى قيام الملك حسين يأخذ رأي عبد الناصر في هذا الخصوص . وفي الثاني والعشرين من أبريل قال أوثانت أن هناك حالة حرب حقيقية على امتداد قناة السويس ، وأن جهود الأمم المتحدة غير مؤثرة كلية تقريبا ، وأن هناك انتهاكات كبرى لوقف إطلاق النار تمت خلال كل من الاثنى عشر يوما الماضية على التوالي ، وأن هذه الانتهاكات كانت تمتد أحيانا على طول هذا الممر المائي بأكمله ، وأن الأسلحة التي يجري استخدامها كانت تتضمن المدفعية الثقيلة ومدفعية المورتار الثقيلة ، إلى جانب الدبابات والصواريخ ، وأن ٥٨٦ واقعة قد تم تسجيلها خلال شهر أبريل على امتداد القناة وكان قد توافر لدى مصر في ذلك التاريخ ١٨ وحدة قوية ومدربة تدريباً جيداً من وحدات الكوماندوز إلى جانب لواءين من المظليين وكلهم من المتطوعين المختارين الذين كانوا على شغل لاثبات قدراتهم .

ولكى يرفع عبد الناصر روحهم المعنوية هم وصغار الضباط الذين كانوا يتحرقون شوقاً إلى العمل ، فقد رخص إلى جانب القصف المدفعي في شهر أبريل تصعيد غارات الكوماندوز عبر قناة السويس .

وفي اليوم التاسع عشر عبر الكوماندوز المصريون الممر المائي تحت سد كثيف من النيران لمهاجمة المواقع الإسرائيلية في الشاطئ الشرقي لبحيرة التمساح وأعلنوا عن خسارة في الجانب الإسرائيلي قدرها ثلاثون إصابة غير أن الإسرائيليين قالوا أن الجانب المغير تكون من خمسة عشر مصريا فقط

تم صده بعد معركة قصيرة بالبنادق ، وأنه لم تحدث أية إصابات في جانبهم سوى جرح إسرائيلي واحد . وأثناء الليلة التالية في اليوم العشرين كانت هناك غارة أخرى لرجال الكوماندوز المصريين عبر القناة في مكان يبعد ٢٠ ميلا شمال القنطرة ، حيث ادعى الطرفان ادعاءات متضاربة . وفي اليوم الثاني والعشرين من أبريل وأثناء غارة مصرية تم قتل ثلاثة من الجنود الإسرائيليين وأسر جندي آخر أثناء ساعات الظلام . وبعد هذه الاغارات من جانب رجال الكوماندوز المصريين والتي كانت تحدث عمليا كل ليلة ، وفي بعض الأحيان كانت تحدث أكثر من غارة في الليلة الواحدة ، كانت هناك مشاعر الابتهاج حين أفرج صمام الأمن هذا شيئا من التوتر العسكري ، غير أنه كان يلوح في الأفق بعض مشاعر الخوف إذا ما صعدت إسرائيل هجماتها الانتقامية في بور سعيد مثلا . وقام هيكل رئيس تحرير الأهرام في السادس والعشرين من أبريل بالتحذير من أنه سوف يكون على المصريين أن يعدوا أنفسهم لخسائر كبيرة من رد الفعل الإسرائيلي .

غير أن كثيرين من الضباط المصريين كانوا لازالوا يعتقدون أنه لم يتم انجاز الشيء الكثير ، وأنه على الرغم مما يحيط بسدود نيران المدفعية من هالة فإنها لم تكن تؤدي إلى نتائج إيجابية وأن غارات الكوماندوز هي الأخرى على الرغم من استغلالها بشكل درامي في النواحي الدعائية فإنها لم تكن شيئا مذكورا .

وكان هناك شعورا قويا بأن هجوما يجب تصعيده ليخترق خط بارليف ويدفع الإسرائيليين إلى الخلف لعدة أميال ويوقع بهم أضرار تصل إلى ٢٠٠٠ إصابة ليكون وقع حدوثها عظيما بالنسبة لبلد أصغر حجما من مصر وأن أية إصابات تحدث لمصر يجب أن تساوى النتيجة النهائية لهذه العملية . وعملت البعثة العسكرية السوفيتية أقصى ما في وسعها لمنع وتعطيل مثل هذه الفكرة التي تنطوي على المغامرة ، في حين ترددت القيادة العامة حيث كانت تعتقد أن التفوق الجوي الإسرائيلي سوف يبدو أي هجوم من هذا القبيل ، لا سيما وأن السلاح الجوي المصري الجديد لم يكن قد استكمل استعداداته بعد لكي يشعر بقوته الكافية ، ويأخذ الفرصة المعقولة لأحراز النجاح .

ومن ثم فإن أي فشل بهذا القدر سوف يكون نكسة خطيرة وعلى الرغم من قيام هؤلاء الضباط الكثرين واستمرار ضغطهم نحو « مواجهة صيفية » وإن كان أحدهم قد صرح أخيرا بقوله لي :

« إن قناة السويس ربما صارت المحيط الأطلسي - إنها صارت حاجزا له هذا القدر من الضخامة » .

ومن الناحية الفعلية ، فإن الضباط المصريين يعتقدون « الآن » على وجه اليقين أنه إذا كان المستر عامر قد سمح له أن ينفذ خطته بأن يشن



هجومًا وقائياً على إسرائيل في الأيام الأولى من شهر يونيو ١٩٦٧ لكان الجيش المصري في سيناء قد حقق الانتصار .

وفي مساء يوم ٢٩ أبريل دبر الإسرائيليون اختراقهم الثاني في العمق باغاراتهم في وادي النيل الأعلى، مدعين أن ذلك كان انتقاماً من «الاستفزازات التي لاتنقطع» من جانب المصريين على طول قناة السويس وذلك ليلقنونيهم أن أعمال اعدوان لا يمكن أن تستمر دون «رد مناسب» . وبذا فقد تم حمل رجال الكوماندوز الاسرائيليين الى مصر بواسطة طائرات هيليوكوبتر الى اهدافهم المحددة في كوبرى ادو وسد ادفو الذى يبعد نحو ٦٠ ميلاً شمالى مدينة أسوان وكذلك المحول الموجود في نجع حمادى ( الذى جرى مهاجمته في أكتوبر الماضى ) . وتم الاعلان عن تدمير هذه المنشآت ، وأن الجميع عادوا الى قواعدهم سالمين . وعلى كل فان المصريين قالوا بأنه لم يكن هناك انزال جوى قد تم على الارض المصرية من جانب طائرات الهيليوكوبتر في تلك الليلة، وأن طائرة اسرائيلية واحدة قد اقتربت من الاهداف المذكورة غير أن هذه الطائرة قد تمت مطاردتها بواسطة النيران المضادة للطائرات ، وتم اجبارها على تفريغ حمولتها من القنابل دون احداث اضرار جسيمة . وتم اصطحاب رجال الصحافة الاجانب الى نجع حمادى في اليوم التالى حيث لم يكن هناك أى حطام يمكن رؤيته . وكان ذلك واحداً من الأمثلة القليلة التي تم فيها النظر الى الادعاءات الاسرائيلية على أنها مبالغ فيها .

ولقد تفاخر الرئيس عبد الناصر وهو يوجه خطاباً الى العمال في حلوان في أول مايو بأن هذه الغارة الاسرائيلية قد حققت فشلاً تاماً .

واستمر نفس النمط ، سدود من لهب المدفعية بالنهار عبر القناة يحل محله أثناء الليل غارات لرجال الكوماندوز المصريين ، وظل ذلك طوال شهر مايو وحدث بوجه الخصوص قصف شديد على طول الممر المائى بأكمله في يومى ١١ ، ١٢ من هذا الشهر . وفي مستهل الشهر وللمرة الاولى وجه الاسرائيليون نيران مدافعهم الى بور سعيد التي كانت حينذاك قد أخلت تماماً من المدنيين . وتم احداث اصابات عسكرية ، غير ان ادعاءات المصريين المضادة كانت تقول بأنهم حين ردوا النار بالمثل قتلت مدفعيتهم سبعة من الجنود الاسرائيليين ، واثنين من سائقي الجرارات المدنيين .

وقام الاسرائيليين كذلك ببعض الغارات القليلة من جانب رجالهم من الكوماندوز ولكنها لم تكن بالكثرة التي قام بها المصريون الذين أعلنوا في الرابع عشر من الشهر أنهم أحبطوا محاولة اسرائيلية لعبور القناة بقوارب من المطاط . وقال موسى دبان أنه يشك بأن تبقى إسرائيل في موقف الدفاع إذا استمرت حرب الاستنزاف ، وعلق في اليوم الثانى عشر من الشهر بأن : « أى جيش في العالم يمكن اجباره على القيام بالهجوم حتى ولو لم يكن يريد ذلك » . ثم بعد ذلك ، في اليوم الثامن والعشرين من الشهر حذر الطلبة الاسرائيليين من أن نظام التجنيد الحالى والذي تبلغ مدته ٣٠ شهراً من

الخدمة ربما يجرى النظر في زيادة مدته ومن جهة أخرى تم لمراقبى الامم المتحدة تسجيل ما يقل قليلاً عن ٤٠٠ راقعة على طول القناة خلال شهر مايو . وعلى سبيل المثال ، فقد جرح أربعة جنود اسرائيليين في السادس والعشرين من الشهر حين اصطدمت سيارتهم بلغم شمالى القنطرة مباشرة .

وبدأت البعثة العسكرية السوفيتية تبدي عدم استحسانها للقصف المصري عبر القناة بهذه الدرجة واثقوا الرئيس عبد الناصر على أن يأمر قواته المسلحة باحترام وقف اطلاق النار ، غير أنه على الرغم من الكلمات الشجاعة ، ومحاولة استمرار الاستقلال العسكرى فقد كان هناك شعور بالتردد وعدم اليقين في الأوساط المصرية . ولقد علم السوفيت أنه على الرغم من التحسن الكبير الذى حدث في الجيش المصري في مجال التدريب والروح المعنوية ، وقدرته على استيعاب الاجهزة السوفيتية ، فانه لم تكن لديه القدرة على مباشرة هجوم عبر قناة السويس أمام المواجهة الاسرائيلية ، وأنه لم تكن لديه القدرة كذلك على منافسة الاسرائيليين في مجال الحرب المتحركة وعلى الرغم من أن الاتحاد السوفيتى قد بدأ عليه أنه على استعداد لارسال امدادات لاتنتهى من ذخائر المدفعية والمورتار ، واربعاً كان ذلك لادراكهم سر سماح الرئيس عبد الناصر باطلاق سدود من النيران ، وعمليات الكوماندوز ، الا أنه كان متباطئاً في ارسال بعض البنود الاخرى ، مثل سيارات الجيب وسيارات الشحن من ذات الاربع عجلات ، والمركبات البرمائية وكلها من البنود الأساسية للهجوم .

أما بالنسبة للضباط المصريين فكانت شكواهم الدائمة من أن الروس كانوا يعلمونهم الاساليب الدفاعية فقط ولا يعلمونهم شيئاً يتعلق بالحرب المتحركة أو الهجوم المكون من أطقم متكاملة .

لقد كان عبد الناصر على علم بأن جيشه لايتسنى له التحرك شرقاً ، وعلى ذلك فقد بقى ظاهرياً في مرحلة الردع أو الانتقام ، كجزء من استراتيجيته ضد إسرائيل . واستيحاء من فكرة السوفيت الدفاعية عن طريق الاستنزاف ، فقد أعلن أنه كان يحارب حرب « بوصة ببوصة » ولقد ردد صدى هذا الرأى هيكل رئيس التحرير الذى كتب في جريدة الاهرام أنه اذا أراد الاسرائيليون أن يستولوا على القاهرة فسوف يجرى امتصاصهم ببساطة ، ذلك أنهم قد انتشروا أكثر من اللازم ، وأنه اذا قدر أن هناك «جولة رابعة» من القتال فلسوف تكون حرباً ذات سنوات وليست حرباً بستة أيام . وقد شعرت القيادة العامة المصرية قبل نهاية مايو ١٩٦٩ بأن أى هجوم يتضمن ضربة وقائية من جانب إسرائيل سوف لا يكتب له النجاح ، وأنه حتى لو حاول الاسرائيليون عبور القناة بالقوة فان الصحراء في الجانب الغربى سوف تبطلهم عن طريق المقاومة طويلة النفس من جانب القوات المسلحة واشعب . وكانت البعثة العسكرية السوفيتية مرتاحة لقبول هذا الرأى .



وبدا الامر وكان عبد الناصر قد أصبح معتدلا أو أنه يرغب أن يكون كذلك ، غير أنه كان أسيرا لدعايته الشخصية . وبدأ أيضا أنه كان يبحث عن وسيلة تجنبه « جولة رابعة » وأن يجد مخرجا من موقف « شبه الحرب » الذي وجد نفسه فيه .

وكان هناك اعتقاد بأنه قد بدأ في تغيير اتجاهه نحو حل وسط في هذا الصدد وحين أجريت معه مقابلة (١) كان جوابه على سؤال عما إذا كان على استعداد لقبول وجود إسرائيل إذا حدث انسحاب من الأراضي المحتلة وتسوية سلمية دائمة - كان جوابه : « اننى أقبل بحقيقة وجود إسرائيل وكذلك شعبى إذا ما كان هناك حل انساني اسمها إسرائيل أو أى اسم يريدون تسميتها به ، ولسوف اعترف بها » غير أن ذلك القول كان موجها للشعب الأمريكى وليس للمصريين . لقد شعر عبد الناصر بأن الروس يضغطون عليه لتقديم تنازلات واسعة من خلال جهودهم لانجاز تسوية للشرق الاوسط في محادثات الاربعة الكبار ، حتى يتسنى لموسكو وواشنطن أن يتوصلا الى اتفاق وتخف حدة الحرب الباردة . وكان المرء يستطيع أن يحس في مصر آثار التبرم من الحرب باديا ، وكذلك الضيق من تحملهم في مصر « العبء الرئيسى » للحرب العربية ضد الاسرائيليين حيث كان غالبية المصريين تحت انطباع ما يقومون بفعله ، ولا بد أنه كانت هناك أفكار لم يجر التعبير عنها بأنهم يرحبون بسلام منفرد مع إسرائيل . إذ كانت الميزانية التى تبلغ ٢٠٠ مليون جنيه استرليني قد ارتفعت بنسبة ١٥ ٪ عن العام السابق وكانت تولى لمتطلبات المعركة أولوية أولى رغم كونها عبئا ثقيلا .

أما عن محادثات الاربعة الكبار فقد كانت مستمرة ، وفى ١٠ يونيو ذهب جروميكو وزير الخارجية السوفيتى الى القاهرة ، ولكنه قوبل بفتور حيث أن المصريين قد شعروا بفتنة بأن الروس يبتعدون عنهم عن طريق عدم تشجيعهم على مهاجمة إسرائيل من ناحية ، وبعدم امدادهم بمزيد من البنادق الأساسية للهجوم . وكان هذا الوضع سببا فى قيام رئيس التحرير هيكى بال تأكيد على أن هناك حربا سيكلوجية قد جرى اعمالها فى محاولة بث الفرقة بين المصريين والروس ، ولم يعارض الاتحاد السوفيتى قيام المصريين والاسرائيليين بمحاولة تخطيط حدود جديدة لأنفسهم غير أن جروميكو قد غير سياسته الآن وطلب بحسم أن يتم انسحاب إسرائيل كامل من الأراضي المحتلة ، مع وجود مناطق منزوعة السلاح على محاذاة هذه الحدود الجديدة التى كان المصريون والاسرائيليون يقاومونها . وأقد شعر المصريون الآن بارتياح أكثر قليلا ، بينما بدأ الاكثاب على الاسرائيليين . وفى الثانى عشر من الشهر وفى يوم البحرية الاسرائيلية ، قال موسى ديان أنه لم يعد من المؤكد ما إذا كانت قناة السويس سوف تكون خط وقف اطلاق النار أو الجبهة التى سوف تبدأ منها الحرب القادمة .

ولقد كان الاسرائيليون يخشون انه اذا توصل الاربعة الكبار الى اتفاق ان يكون فى مقدورهم اجبار اسرائيل على الانسحاب من الاراضى المحتلة اذ انهم قد فقدوا بالفعل ٧٠٠ قتيل منذ حرب يونيو وكان تعليق ديان أنه « لا تمر ليلة بالمطار دون حدوث معركة » .

ولقد شعروا أنهم اذا تركهم الاربعة الكبار فسوف يكون فى استطاعتهم اجبار العرب فى نهاية الامر على أن يتفقوا معهم ولكنهم ظلوا متعنتين فيما يتعلق بعدم اقرارهم بدقة حول أى قدر من الاراضى المحتلة ينوون الاحتفاظ بها . ولقد علقت جولدا مائير رئيسة الوزراء بأن الحدود الجديدة « لا ينبغي أن تقدم ميزة طبيعية لجيراننا » وغالبية الاسرائيليين كانوا يتوقعون أن لو كان قد أطيح بعبد الناصر نظرا لعدم ثقتهم الكاملة وكان هذا يعكس شكوك حكومتهم .

وكان مما يقلق القيادة العامة الاسرائيلية أن يكون عبد لناصر قد حرق تقارير مخابراته التى تضمنت بأن نحو ٦٠ ٪ من خط بارليف قد تم تدميره ، فى الوقت الذى لم تحدث فيه هذه السدود المصرية من النيران سوى تدمير نسبى ضئيل وكان ذلك سببا فى أن يصرح موسى ديان ( فى الثامن عشر من مايو ) بأنه « لا يعتقد بأننا سوف نصل الى هذه النقطة ( كان يقصد الحرب على الارض وعلى نطاق واسع ) - ليس فى هذا الصيف » . وفى الخامس من يونيو دعا فوزى وزير الدفاع المصرى الى « الاعداد للمعركة الحاسمة » مضيفا بأن التجربة قد برهنت على أن العدو ليس بالشىء الذى لا يقهر وعلى الرغم من مشاعر الاحباط ، فإن المصريين كانوا يفكرون بأنهم يقومون على الأقل باخبار الاسرائيليين على القيام بنوعية الحرب التى يرغبون فى القيام بها ، وعلى الرغم أن المدافع الكبيرة والتشكيلات الكبرى تلعب الدور الأكبر وعلى الرغم من أنهم متخلفون نسبيا فى مجال التكنولوجيا فقد كان لديهم الامل أن يحققوا بهذا الاسلوب لأنفسهم موقع قوة وسيطرة بالقدر الذى يكفى لدفع الاسرائيليين نحو تسوية سلمية على ما تهوى نفوسهم . واستمر طلبهم على المزيد من الاسلحة ففي الخامس عشر من يونيو طارت جولدا مائير رئيسة الوزراء الى لندن لمحاولة اقناع الحكومة البريطانية بامدادهم بدبابات « شفعية الجديدة » . وفى نفس اليوم كان على صبرى قد سافر الى موسكو لمحاولة اقناع الروس بزيادة حجم الامدادات من الاسلحة ، ولم ينجح كلا الاثنين فى مساعيهم .

وورد فى تقرير يوثانت للامم المتحدة أنه قد تم الانخفاض فى درجة العنف على طول القناة فى الجزء الاخير من شهر مايو ، بانخفاض استخدام الاسلحة الثقيلة ( غير أن هناك كان مقصورا أساسا على القطاع الشمالى ) ، وأن هذا التحسن قد استمر فى الاسبوع الاول من شهر يونيو ثم بدأ فى التدهور بعد ذلك بحدوث قصف بالنيران بصفة يومية تقريبا وأن الحوادث تبدأ أساسا من جانب المصريين . وظل نفس النمط من القتال مستمرا . وعلى



سبيل المثال ، ففي اليوم الثاني والعشرين من يونيو اعترف الاسرائيليون بأن أربعة من جنودهم قد أصيبوا من جانب الكوماندوز المصريين الذين عبروا القناة بالقرب من ابجيرات المرة الكبرى .

وبعد يومين آخرين أعلن المصريون أن وحدة من وحدات الكوماندوز المصريين قد جرى انزاعها على الشاطئ الشرقي لليلة الثانية على التوالي ، وعبرت تحت غطاء القصف المدفعي على هيئة سدود من الخيران ، واشتبكت مع القوات الاسرائيلية . وهي في طريقها الى مصر متلا ، كما أعلنوا أيضا أنه في نفس هذه الليلة في الرابع والعشرين من يونيو عبرت وحدة كوماندوز أخرى وهاجمت المواقع الاسرائيلية في منطقة الشط ، وقتلت القاطنين هناك ودمرت عربتين مدرعتين مضيفين أيضا أن هذه هي المرة الخامسة لغارات الكوماندوز في مدى ثلاثة أيام ، وتم فيها قتل ٢٢ اسرائيليا وتدمير بعض المنشآت . غير أن الاسرائيليين لم يعترفوا الا باصابة جندي واحد . غير أن أحداثا أخرى جرت أثناء الشهر كانت تستدعي الانتباه بما في ذلك استيلاء الاسرائيليين في العشرين من الشهر على سفينة ذات محرك عليها طاقم مكون من ١٩ فردا في خليج السويس .

وفي اليوم السابع والعشرين من الشهر أعلن الاسرائيليون أيضا اعترافهم باصابة ثلاثة من جنودهم في مدى ٢٤ ساعة ومن ثم فقد أجبر موسى ديان على تعديل تنبؤاته السابقة ليقول « ان الحرب قد بدأت تدنو » .

على أن الاسرائيليين قد نفذوا عددا من غارات الكوماندوز في شهر يونيو لكنها لم تكن بالكثرة التي كانت عليها غارات المصريين الى ان أبرز هذه الغارات كان في مساء يوم الواحد والعشرين من الشهر حينما أغار رجال الكوماندوز البحرين على محطة حرس السواحل في رأس الادبية في خليج السويس على بعد ستة أميال جنوبى مدينة السويس وأعلنوا أنهم قد قتلوا نحو ١٥ جنديا كانوا الذين كانوا يديرون تلك المحطة ، وأنهم دمروا تجهيزات للرادار والمنشآت الأخرى . هذا ولم يعترف المصريون الا بمقتل خمسة واصابة سبعة بجراح ، وأعلنوا في مقابل ذلك قد قتلوا أربعة اسرائيليين على الأقل كما أصابوا آخرين بجراح .

وأما الاختراق الاسرائيلي الثالث في العمق في وادى النيل الاعلى فكان في مساء يوم التاسع والعشرين حين أغارت مجموعة من الكوماندوز الاسرائيلية محمولة في هليوكبتر على مدينة سوهاج التي تبعد نحو ٩٠ ميلا من البحر البحر الاحمر ، وقامت هذه المجموعة بتقطيع أسلاك الطاقة .

وقال الاسرائيليون انهم لم يقابلوا أى عدو في طريقهم ، ولم يجر إطلاق رصاصة واحدة كما أنه لم تحدث أية اصابة واحدة لدى الاسرائيليين . غير أن السهولة التي تمت بها هذه العملية قد تسببت في بث المخاوف لدى المصريين تجاه عدم المناعة الواضح لوادى النيل الاعلى .

وفي اول يولية أطلقت مائير رئيسة الوزراء تهديدا له طابع مقدس في الكنيسة حين قالت : « ان اسرائيل سوف ترد على كل ضربة تتلقاها بسبعة امثالها في حين قال أحد المتحدثين المصريين : ( نحن نعتبر أنفسنا في حالة حرب ) ، واعترف بأن هناك اعدادا أخرى من الاحتياط يجرى تعيّنهم والمج اوثانت جانب آخر الى أنه ربما كان عليه أن يسحب مراقبى الامم المتحدة البالغ عددهم ٩٢ مراقبا . وفي اليوم الثانى من شهر يوليو عبر رجال الكوماندوز الاسرائيليون قناة السويس في ثلاث مجموعات انزال ، وأعلنوا عن أنهم قد قتلوا ١٣ جنديا مصريا . وفي نفس اليوم ، وكما لو كان القصد هو تصعيد حدة التوتر أعلن المصريون أنه تم اكتشاف شبكة جاسوسية في القاهرة يرأسها يوسف حمدان وهو المانى الجنسية من اصل مصرى ، وتم القبض عليه وعلى ثلاثة آخرين كان من بينهم من يستحوذ على خريطة مبنوبة تحوى بيانات بالدفاعات المصرية في القناة .

واستمرت الدعاوى والدعاوى المضادة خلال الشهر . وفي اليوم العاشر من الشهر قال المصريون أن إحدى غاراتهم قد تمكنت من اختراق المواقع الاسرائيلية المواجهة لبور توفيق ، مسببة ٤٠ اصابة مع عدم وجود أية خسائر في جانبهم . وفي هذا المجال اعترف الاسرائيليون بأن هذه الغارة كانت ناجحة نسبيا بالنسبة للمصريين ، وقالوا ان ستة من الجنود الاسرائيليين قد قتلوا وان جنديا آخر توفى متأثرا بجراحه . وفي اليوم الثامن عشر حدثت خمسة اصابات في الجانب الاسرائيلي حينما اصطدمت مركبة على الشاطئ الشرقي باحدى الألغام ، وفي نفس اليوم تم قتل ثلاثة من الجنود الاسرائيليين وجرح خمسة آخرون في تراشق مدفعى عبر القناة . وكان عدد القتلى من الاسرائيليين حتى ذلك الوقت قد بلغ نحو ٧٠ قتيلا في الشهر ، وكان اللواء من القوات الجزائرية المتمركز بالقرب من فايد نشطا في عمليات الكوماندوز ، مستخدما قوارب من المطاط للعبور من أجل زرع الألغام والكمائن الخداعية للسيارات .

وفي مساء يوم التاسع عشر من يوليو هاجم فريق مكون من ٤٠ اسرائيليا من رجال الكوماندوز البحرين الجزيرة الخضراء وهي عبارة عن صخرة في الطريق الشمالى من خليج السويس لها أكتاف جبلية يبلغ ارتفاعها ٢٥ قدما ، مجهزة ببرج رادار وأجهزة أخرى للرادار يديرها نحو ٧٠ من المصريين . وقد بقيت الجزيرة الخضراء لفترة طويلة مصدر ضيق للاسرائيليين حيث كانت تسيطر رادارها على المدخل الجنوبي لقناة السويس ، وعلى الجزء الشمالى من خليج السويس ولقد تسلى رجال الكوماندوز هذه الاكتاف العالية وقتلوا الحرس ، ودمروا الاجهزة ثم انسحبوا بعد أن ظلوا في الجزيرة لمدة ساعة وقام المصريون الموجودون في البر الرئيسى بقصف الجزيرة ظلنا منهم أن الاسرائيليين لازالوا هناك مسببين بذلك مزيدا من الخسائر . وأعلن المصريون ان هذه المحاولة باءت بالفشل وأن الاسرائيليين قد خسروا ٣٠ قتيلا ، وأنه قد تم اسقاط احدى طائرات الميراج المقاتلة ، وذلك في مقابل ستة اصابات في الجانب المصرى . اما الاسرائيليون فقد قالوا أنهم قتلوا ٢٥ مصريا .



## ٥ - الصراع الجوى

« لسوف ينقضى جيل قبل أن تتساوى  
المهارات المصرية مع تلك التى لدى الاسرائيليين »

« بريجادير موردخاى هود قائد ان سلاح  
الجوى الاسرائيلى » .

والآن دخلت القوات الجوية لكلا الجانبين باندفاعه اكبر فى خضم  
المعركة فبعد ظهر العشرين من يوليو ١٩٦٩ (١) ، وبعد انقضاء بضع ساعات  
من غارة الاسرائيليين على الجزيرة الخضراء ، بدأت طائراتهم قصفا مكثفا  
على المدفعية المصرية على طول قناة السويس . والمدفعية المصرية على خلاف  
ما عليه الحال بالنسبة للمدفعية الاسرائيلية - تسير على هيئة مقطورة فى حين  
لا يتحرك ذاتيا منها الا نسبة ضئيلة . اذ كان التصور السوفيتى يميل الى  
أن تكون ثابتة تتمركز فى مواقع محددة . ويجرى دعمها بالكياس من الاسمنت  
والرمل على هيئة جدران ضد الانفجارات وحماية ضد القصف الاسرائيلى  
وقنابل المورتار وعلى هذا النحو فقد كان الاسرائيليون سعداء عموما بالرد على  
سدود النيران المصرية بالمثل . ولكن طالما أن المصريين قد دأبوا على زيادة اعداد  
الاصابات بين الاسرائيليين فقد عمل هذا الاستفزاز على أن يغير الاسرائيليون  
من تكتيكاتهم . ففي العشرين من شهر يوليو بدأت مرحلة من هذا النوع من  
القتال حينما تحول الثقل الرئيسى للقوات الجوية الاسرائيلية نحو أسلحة  
خط المواجهة المصرى .

وقبل الفسق مباشرة فى نفس ذلك اليوم ألقى السلاح الجو المصرى  
لتحدى القوات الجوية الاسرائيلية بجديّة للمرة الاولى منذ حرب يونيو ، فقد  
قامت ٤٠ طائرة ( عشرة منها ميج ٢١ س ، وثلاثون اس - يو ٧ س ) باختراق  
ما يزيد عن ٦٠ ميلا داخل سيناء . وقامت الطائرات الاسرائيلية بالتصدى  
لها ، وحدث قتال جوى بين الفريقين . وحين انتهى القتال أعلن المصريون  
أنهم اسقطوا ١٩ طائرة اسراييلية ، غير أنهم اعترفوا بفقد طائرتين من  
طائراتهم هذا بينما اعترف الاسرائيليون بفقد طائرتين من طائراتهم غير أنهم  
أعلنوا - أنهم اسقطوا خمس طائرات مصرية ، اثنين من طراز اس يو - ٧ س ،

(١) ذكر المصريون أن الاسرائيليون اختاروا نفس هذا اليوم الذى هبط فيه الامريكيون على  
القمر لكى يتبرهنوا دعاية ممكنة فيما وراء البحار .

واثنين من طراز ميج ١٧ س ، وواحدة ميج ٢١ . وبالرغم مما بدا أن  
الاسرائيليين قد كسبوا هذا الصراع الجوى ، فإن الحقيقة التى أذهلتهم هو  
اختراق القوات الجوية المصرية للمجال الجوى الاسرائيلى بهذه القوة .

وفى الثالث والعشرين من يوليو وصف الرئيس عبد الناصر فى خطابه  
الى الاتحاد الاشتراكي العربى فى الاحتفال السابع عشر للثورة المصرية وصف  
هذه المعركة الجوية بأنها اكبر اشتباك حدث منذ حرب يونيو ، وعبر عن  
اعتزازه الكبير ورضا الشعب للجهد الجبار والنتائج العظيمة التى تمت فى  
يوم المعارك الكبرى ، غير أنه حذر من أن ذلك يعتبر تصعيدا خطيرا فى القتال ،  
ودعا مرة أخرى الى مواصلة حرب الاستنزاف قائلا : لقد شرعنا الآن فى  
معركة طويلة لاستنزاف قوى العدو . . . لقد بدأنا الآن مرحلة حرب التحرير .  
ان حرب الايام الستة لم تنته ، ولكن حرب السنتين أو الثلاثة - أو حتى  
السنوات الست مستمرة . . . اننا لا نزال فى حرب مع الاسرائيليين .

ولقد نظر الى العمل الذى قام به السلاح الجوى المصرى فى العشرين  
من يوليو نظرة الابتهاج من جانب المصريين كعلامة من علامات اتمام اعادة  
بنائه ، كما اعتبر دليلا على مقدرة المصريين على تنفيذ عمليات قصف جوى  
على الاهداف الاسرائيلية ، وذلك على الرغم من الخسائر التى تحققت ، الا  
أن ذلك كان ضربا من المبالغة ، وأنه لازال هناك الكثير مما ينبغى عمله .  
لقد أخذت الضربة الوقائية الاسرائيلية القوات الجوية المصرية على غرة مما  
جعلها تعاني أشد المعاناة اذ فقدت نحو ٣٠٠ طائرة حربية من بين ٤٥٠  
طائرة ، وتم أغلب هذا الفقد فى الساعات الاولى من الحرب . غير أن التوسع  
السريع من جانب مصر كان يعوقه النقص المزمن للطيارين ، اذ فى حرب يونيو  
قتل على الاقل ١٠٠ طيار كما جرح ٢٥٠ منهم ولم يتبق من الصالحين  
للطيران سوى ١٠٠ طيار يكاد عددهم لا يكفى لقيادة انطائرات الحربية  
المتبقية وفوق هذا فان الاسرائيليين قد اظهروا تفوقهم فى مجال القتال  
الجوى .

وكان الفريق محمد صدقى قائد السلاح الجوى المصرى قد أقبل  
لفشله فى حرب يونيو . وفى ١١ يونيو ١٩٦٧ عين محله الفريق أول مذكور  
أبو العز ، الذى قام ومعه عدد من كبار الضباط الذى جرى ترقيةهم حديثا  
أو ممن عينوا فى مناصب جديدة بالشروع فى اعادة تنظيم واعادة بناء السلاح  
الجوى بمساعدة الاتحاد السوفيتى ، وكانت محاكمة كبار ضباط السلاح  
الجوى الاربعة ، وما تمخض عنها من موجة من الاعتراض على التساهل الذى  
ساد تلك المحاكمات قد صارت من المواضيع المثارة فى ذلك الوقت . وفى  
موجة الادانة ثم اقالة كثير من الضباط فى المراكز التنفيذية تدخلت البعثة  
العسكرية السوفيتية ومنعت ابعاد المزيد من الضباط الاكفاء . وفى الحقيقة  
فان البعثة أصرت على أن بعض من نجحوا فى الدراسات السوفيتية للتدريب ،



أو من أبقوا كفاءتهم أن يجري إعدادهم إلى مناصبهم وهذه الطريقة تم بحسب  
حسوت - الهيكل الكامل في هيكل القيادة والتنفيذ في السلاح الجوي .

وكانت واحدة من الأخطاء الرئيسية تتمثل في تركيز طائراتهم بطريقة  
مكتسوفة في عدد قليل من المطارات تقع تحت طائلة إسرائيل ، ومن ثم كانت  
الرحلة الأولى هي انتقال ما يمكن نقله من الطائرات وأية طائرة أمكن نقلها  
أو تصليحها كان يجري إرسالها إلى مطارات لا تقع تحت طائلة إسرائيل  
أسوة بباقي الطائرات الصالحة للطيران . وكذلك الحال بالنسبة للطائرات  
التي كانت قد حوت بسرعة إلى اليمن في صناديق لم تفتح في حرب يونيو  
فقد تم إعادتها إلى مصر . ووصلت إلى مطار القاهرة الأولى المتوصلات  
السوفيتية من الطائرات ومظايا من طائرات ميغ ٢١ من . وقد ذهبت  
التجهيزات الإسرائيلية إلى أنه حتى نهاية أغسطس كان ٦٠٪ من خسائر  
مصر من الطائرات في حرب يونيو قد جرى التوصل بسلامتها ، والتي تبلغ  
في عددها ٢٠٠ طائرة وحكها بالتاكيد تشمل تلك الطائرات التي وردت في  
صناديق والتي كانت قد وزعت مؤقتا إلى اليمن . وبعد ذلك هبطت أعداد  
الطائرات حتى بلغت مرحلة التوقف تقريبا ، ولربما تصور الروس أنه لا محل  
لإرسال مزيد منها حتى يتم تدريب الطيارين المصريين على الطيران بها .  
وكذلك إلى أن تتوفر الأعداد - الكافية من الطيارين .

وكان المصريون قد فقدوا خمسة مطارات حين جرى دفعهم من سيناء  
ولم يبق لديهم سوى ٢٠ مطارا في مصر يقع ثلثها تحت طائلة الإسرائيليين ،  
وتم وضع الخطط لإقامة نحو ١٥ مطارا آخر تقع أساسا في منطقة الدلتا  
وواحد في النيل - وصارت الخطة الآن هي بناء حظائر من الاسمنت لكل طائرة  
على حدة حيث تبقى كل طائرة في حظيرتها إذا لم تكن في مهمة باجو ، غير  
أن هذا قد استغرق بطبيعة الحال عدة شهور لاستكماله . وقد تم إنشاء  
خمس صرر طوارئ جديدة للطائرات ما بين القاهرة والاسكندرية وذلك  
برصف الاحتياطي المركزي للطريق المزدوج للمحولات بالاسفلت .

وحتى يتسنى معالجة النقص الشديد من الطيارين المصريين فقد جرى  
إعداد دراسات مكثفة في كل من الاتحاد السوفيتي ومصر لتدريب المزيد  
منهم . وخلال بضعة أسابيع كان قد أمكن عقد دورات تدريبية لنحو  
ثلاثمائة طيار ، غير أنه كان يلزم عدة شهور حتى يتسنى دخولهم في أية  
مهمة فعلية . وبقيت قوة السلاح الجوي حتى ما يقرب من المستوى  
٢٠٠٠ غير أن عدد الطيارين ارتفع بشان وأن كان ذلك ببطء ، وقد  
أضيف إلى الباقين من حرب يونيو الطيارون الجرحى حينما تم شفائهم  
والذين انضموا إلى الطيارين الجدد في أتمام تدريباتهم . وكان في مصر  
١٠٠ معلم / طيارين من السوفيت لهذا الغرض ، بالإضافة إلى ١٠٠ آخرين  
انضموا في السلاح الجوي في المجالات التنفيذية والإدارية ، وتدريب  
القدرات المحلية ، وفي داخل عملية التنظيم نفسها كان يوجد هناك فرد

سوفيتي على الأقل يعمل كمستشار لدى كل سرب جوي وفي أول يوليو  
١٩٦٧ كانت الطائرات المصرية نشطة مرة أخرى في سماء اليمن لمساندة  
الهجوم المصري الأخير القصير الأمد ، والذي أعقبه خمود الحرب حتى حلول  
مؤتمر الخرطوم ، حين فك المصريون اشتباكهم ، وعادت كل الطائرات  
والطيارين إلى وطنهم ليلاحقوا بالسلاح الجوي الجديد الذي كان يجري  
تشكيله ببطء .

وقد حثت البعثة العسكرية السوفيتية الطيارين على اتباع سياسة  
الحفاظ على النفس ، تلك السياسة التي كانت تتمشى مع مرحلة الصمود من  
استراتيجية عبد الناصر المتضمنة أن يقف المرء راسخا ولا يعترف بالهزيمة .  
لقد كانت مرحلة من مراحل الإصرار على البقاء ، وعلى ذلك تقرر إبقاء  
السلاح الجوي في « الخلفية » بعيدا عن العدو بقدر الامكان بينما يجري  
العمل على الحفاظ والتكديس ، وإعادة بناء سلاح جوي جديد لديه القدرة  
على هزيمة السلاح الجوي الإسرائيلي إذا حانت الموقعة .

وكان الطيارون من الندرة بحيث لا يتسنى التفريط فيهم . وتم  
إبقاؤهم بعيدا عن منطقة القنساء ومنعهم من القيام باعتراض أية طائرة  
إسرائيلية مما كان يمر أحيانا بالاجواء المصرية عقب حرب يونيو مباشرة  
لإظهار حريتهم في التجول في سماء مصر . ومن ناحية أخرى فإن الطائرات  
الإسرائيلية كانت تنقيد بالطيران فوق منطقة القنساء عموما ، وتبتعد عن  
الدلتا والقاهرة ووادي النيل . وفي مستهل شهر ديسمبر ١٩٦٧ قدم إلى  
القاهرة سرب من الطائرات السوفيتية مكونا من ١٠ طائرات قاذفة من طراز  
تي يو - ١٦ للمساندة ، وبقيت لبضعة أيام مما ألح إلى الإسرائيليين إلى  
أن القوة الجوية السوفيتية موجودة في الأفق ، وأن لديها القدرة على التدخل  
إذا اقتضى الأمر . وفي شهر إبريل من العام التالي زار القاهرة سرب سوفيتي  
آخر لنفس الغرض ثم تبع ذلك زيارات مشابهة في تواريخ لاحقة .

وعلى الرغم من الهزيمة الساحقة ، فإن الروح المعنوية لدى الطيارين  
المصريين ظلت ثابتة وشعر كثير منهم بأنهم لم تسنح أمامهم أية فرصة لإثبات  
وجودهم . وقبل حرب يونيو كانت روحهم المعنوية وثقتهم في أنفسهم عالية  
كما أن المعلمين السوفيت كانوا يمتدحون كفاءتهم ، ولم يكن ثمة سبب  
يدعوهم لقبول فكرة أنهم أدنى كفاءة عن غيرهم مما عمل على إبقاء روحهم  
المعنوية في هذا الارتفاع . بيد أن قليلا من الطيارين المصريين المغامرين  
قاموا بطلعات إلى منطقة القناة في أوقات كان يجري الظن أنها مخالفة للأوامر  
إلا أنه ينبغي الثناء على شجاعتهم هذه في مواجهة التفوق المشهور للسلاح  
الجوي الإسرائيلي . وفي الرابع من شهر يوليو ١٩٦٧ أعلن الإسرائيليون  
أنهم قد أسقطوا طائرة كانت تحلق على ارتفاع منخفض بالقرب من  
بور توفيق كما طاردوا أخرى بالنيران المضادة للطائرات . وفي اليوم الثامن  
من الشهر ظهرت أربع طائرات مصرية من طراز ميغ على الشاطئ الشرقي



للقناة ، وأعلن الاسرائيليون انهم قد اسقطوا واحدة منها حينما كانت في داخل المجال الجوي الاسرائيلي بتسعة أميال ، وبعد ذلك يبدو أن الطيارين المصريين قد جرى التشديد عليهم بعدم مبارحة أماكنهم .

وعلى العكس من ذلك ، ففي ٢٥ أكتوبر ١٩٦٧ ، في اليوم الذي أعقب اشعال النار في معامل تكرير البترول في ميناء السويس للمرة الاولى من جانب الاسرائيليين مستخدمين في ذلك مدافع المورتار الثقيلة جرى اقالة قائد السلاح الجوي المصري لعدم انقضاء طائراته على مواقع ضرب النار الاسرائيلية . كل هذا جعل الطيارين المصريين المتلهفين بشعورهم بأفضل ، ولربما كان ذلك ذا فائدة لهم ، وذلك أنه لو كانت أقلقت الطائرات المصرية فلربما وقعت في كمين ، وأنقضت عليها الطائرات الاسرائيلية التي تحلق الى أعلا وتنتظر هذه الفرصة مما يجعل النتيجة النهائية خسائر أكبر بالنسبة للمصريين . وجرى احلال الفريق أول مصطفى الحناوى محل قائد السلاح الجوي الذي أقيل . وكانت شهرة الحناوى انه منظم جيد وادارى كفء .

وكان اصرار مستشارى الاتحاد السوفيتى هو السبب بدرجة كبيرة فى ابقاء الطيارين المصريين بعيدا عن العمليات اذ كانوا يعتقدون أنه يجب على المصريين أن يتلقوا مزيدا من الدراسة والتدريب والعمل الشاق ، وأنه لكي يصبحوا مستعدين لتحدى الاسرائيليين فى الجو بنجاح فإن الأمر يستلزم سنتين أو ثلاث سنوات . وكان ذلك باعثا على التذمر بين الطيارين الذين لم يتوفر لديهم الصبر والذي بلغ ذروته فى أوائل ديسمبر ١٩٦٧ حينما تم اكتشاف ان الاسرائيليين يقومون ببناء ممر أرضى للهبوط فى سيناء بالقرب من البحيرات المرة الكبرى - اذ رغب الطيارون فى قصف هذا الممر الا أنهم لم يحصلوا على التصريح بذلك ، وعلى ذلك فقد قاموا باضرار صامت استمر أربعة أيام .

ونظرا للقلق الذى اصاب الرئيس عبد الناصر من جراء توقف الامدادات بالطائرات من جانب الاتحاد السوفيتى فقد طلب حين كان فى موسكو فى يوليو عام ١٩٦٨ - من بين بنود أخرى - مزيدا من الطائرات المقاتلة ووعدوه ببعض الطائرات من طراز اس يو - ٧ س .

وقد قدر الاسرائيليون أن نحو ٨٠٪ من خسائر مصر فى حرب يونيو ٦٧ قد تم تعويضها بالفعل ، وأن أى امدادات أخرى سوف ترفع قوة السلاح الجوي المصرى الى مستواه قبل حرب يونيو الذى كان ٤٥٠ طائرة مقاتلة .

وباشر السلاح الجوي المصرى طلعاته المعتادة ، من أجل الاغراض الاستكشافية بصفة أساسية والتي تسببت عنها اشتباكات عرضية بين الطائرات المعادية . وفى الواحد والثلاثين من شهر أكتوبر ١٩٦٨ على سبيل المثال وفى اليوم التالى للغارة الاسرائيلية على نجع حمادى اشتركت طائرتان

من طائرات الميج المصرية فى قتال جوى مع طائرتين اسرائيليتين من طراز ميج - فوق القناة ، وادعى كل من الطرفين بأنه قد اسقط واحدة من طائرات الطرف الآخر والذي قام كل بدوره بانكار حدوثه . وبعد هذا قامت طائرات الميج بطاعات تدريبية فوق القاهرة على فترات ولم تظهر أية طائرة اسرائيلية .

ولقد تسببت الغارة على نجع حمادى فى ايجاد قلق تجاه تأمين السد العالى والمدن وأعمال الري فى وادى النيل الاعلى حيث يسكن نحو ثلثي السكان ويرتبطون بمهنة الزراعة حول الشريط الضيق من الاراضى القابلة للرى على كلا جانبي النهر . وعلى ذلك فإن التدمير الشديد للقنوات وللسدود المتحركة فى المياه يمكن أن يضع حياة الافراد والممتلكات فى موضع الخطر على نطاق واسع . وقد أمكن التحقق من وجود ثغرات فى الدفاعات الجوية المصرية التى كانت هى نفسها غير معصومة كما حدث حين أمكن الطائرة الاسرائيلية من الطيران تحت مستوى الاشعاعات الرادارية الدفاعية أن تصل الى ما حققته لنفسها من أهداف . وتم بناء دفاعات حول سد أسوان تضمنت صواريخ سام - ٢ س ، ومدفعية موجهة بالرادار من عيار ٥٧ مم - مضادة للطائرات بعضها كان يقوم الروس بتشغيلها . وكان أمل المصريين أن هذا سوف يردع الاسرائيليين عن الهجوم فى حالة أن يتسبب ذلك عن اصابات بين السوفيت ومن ثم ينغمسون فى حدث عالمى . وأخيرا تم اضافة صواريخ من طراز سام - ٣ س يديرها السوفيت الى الدفاعات التى كانت موجودة حول سد أسوان ، تلك الدفاعات التى كان مفهوما أنه فى مقدورها من الناحية النظرية أن تسقط الطائرات من أنواع الميراج والفانتوم التى يقودها طيارون اسرائيليون .

وكان الرئيس عبد الناصر قد شن حرب الاستنزاف فى أوائل ربيع عام ١٩٦٩ حين صرح بالبداية باطلاق السدود الكثيفة من نيران المدفعية وبغارات رجال الكوماندوز عبر القناة مما خفف من عدم الصبر الذى كان سائدا فى القوات الجوية نوعا ما . وعلى الرغم من أن الروس لم يعتقدوا بأن القوات الجوية قد أصبحت بعد جاهزة لملاقاة الاسرائيليين فإن عددا من الطلعات كان يجرى السماح بها فى منطقة القنال ابتداء من شهر مايو مما أسفر عنه بعض الاشتباكات التى لم يكن فى المستطاع تجنبها . وفى اليوم الرابع والعشرين وعلى سبيل المثال نشبت معركة جوية قرب القنطرة وادعى كل من الفريقين ادعاءات متضاربة . فقال المصريون أن ثلاثة تشكيلات من الطائرات الاسرائيلية حاولت الدخول فى المجال الجوي المصرى الا انها ردت على اعقابها بعد أن تكبدت طائرة اسرائيلية تم تدميرها ، فى حين قال الاسرائيليون أن تشكيلين مصريين حاولا عبور القناة وأن طائرتهم تصدت للتشكيلين وأسقطت منها طائرتين أثناء القتال وأن أحد صواريخهم من طراز



هوك قد أصاب الثالثة . وان الصاروخ هوك أصاب الطائرة الميج - ٢١ التي كانت تطير على ارتفاع ٢٢٠٠٠ قدم ويكون هذا انصاروخ بدك قد أصاب طائرة من هذا النوع من الطائرات للمرة الأولى .

أما في شهر يونيو فقد كان هناك اشتباك آخر فوق خليج السويس ففي اليوم الثاني من هذا الشهر وفي معركة استمرت ٢٠ دقيقة قال الاسرائيليون ان طائراتهم تمكنت من اسقاط اربع طائرات ميج مصرية في حين ادعى المصريون بانهم اسقطوا طائرتين اسرائيليتين بينما عادت كافة طائراتهم الى قواعدهم سالمة . وفي اليوم السابع عشر من هذا الشهر ارسل الاسرائيليون بضع طائرات قليلة لتعمر فوق القاهرة بمثابة تحذير وتذكيرة للمصريين عن مدى ما يمكن أن تصل ذراعهم اليه ، وبالفعل فقد كان هذا التحذير هو الاول من نوعه منذ حرب يونيو مباشرة غير أنهم رحلوا حين تلكا المصريون في اقلاع طائراتهم الميج .

وفي أواخر الشهر ، في يوم السادس والعشرين ادعى الاسرائيليون بانهم اسقطوا اربع طائرات ميج مصرية ، في حين قال المصريون أنهم اسقطوا طائرتين اسرائيليتين ، ذلك القول الذي جرى انكاره . وفي اشتباك آخر في السابع من شهر يوليو قال الاسرائيليون أنهم تمكنوا من اسقاط طائرتين ميج - ٢١ من جنوب شرم الشيخ ، وفي حين اعترف المصريون بالمعركة فقد أنكروا حدوث أية خسائر .

وهذا يعود بنا الى المعركة الجوية في العشرين من يوليو ١٩٦٩ ، فعلى الرغم من أن الرئيس عبد الناصر قدم لأتمه صورة وردية لهذه العملية ففي اليوم الرابع والعشرين أقال كلا من الفريق مصطفى الحناوى قائد السلاح الجوى والفريق محمد على فهمى قائد السلاح للدفاع الجوى وأحل محلهما الفريق أول على بغدادى والفريق أول حسن كامل بالترتيب . وكانت التفسيرات لهذين التغيرين الكبيرين فى المناصب هو أنه فى حين كان يجرى النظر الى الحناوى وفهمى بصفة منظمين أكفاء فانهما قد أكملوا المهمة المنوطة بهما وهى فى الأساس إعادة تشكيل السلاح الجوى والدفاع الجوى وأنه قد حان الوقت لاحتلال البديل الذى بزكى روح اقتتال فى هذين السلاحين ليكونا جاهزين للمعارك التى أصبحت وشيكة . وما ان حل منتصف عام ١٩٦٩ حتى كانت مصر قد امتلكت ٣٥٠ طائرة مقاتلة . وكلها من النمط السوفيتى الجارى ، معظمها حديث جدا مما جعلها فى مصاف ما لدى اسرائيل من حيث عدد الطائرات تقريبا . وعلى الرغم من أن التقديرات تتباين قليلا ، ويرجع ذلك أساسا الى البطء فى التسليم مع ثبات المعدل بالنسبة لتسليم نوعيات معينة من الطائرات لتكون فى متناول الطيارين المصريين المدربين بالفعل لكى يطيروا بها ، واذا قسمت الى نوعياتها فربما تكونت من ١٠٠ ميج - ٢١ س ، ١٢٠ ميج - ١٧ س ، ١٩ س ٨٥ من طراز اس يو - ٧ س ، ١٥ من طراز كى يو - ١٦ س ثم ٣٠ من طراز آى ال -

٨٢ س . وليس من الضرورى أن يكون المرء مغرقا فى استيعاب خواصها التكنولوجية ، الا أن ملخصا مختصرا حول أوصافها وقدراتها الخاصة يعتبر أمرا ذا فائدة . فسلسلة طائرات الميج (١) أصبحت تطورا من طائرة الميج - ١٥ ، وهى طائرة ذات مقعد واحد نفائة مقاتلة والتى كان أول ظهورها فى الجانب الشيوعى فى حرب كوريا عام ١٩٥٠ . وطائرة الميج - ١٧ كانت نسخة معدلة ومحسنة ، جرى تزويدها بمدفعين من عيار ٢٣ مم، الا أن الطائرة ميج - ١٩ صارت أسرع حيث صار لها محركان وزودت بمدفعين من عيار ٣٧ مم وآخرين من عيار ٢٣ مم والاولى من نوعها الى أنها تطير بأعلى من سرعة الصوت فى الطيران المستوى . وكانت الميج - ٢١ هى أحدث ما لدى المصريين من مقاتلات اذ كانت تحمل بالاضافة الى المدفع صاروخين جو - جو زنة ١٥٠ رطل كما أن مداها لنحو ميلين وجهاز توجيه بأشعة تحت الحمراء يشبه الى حد ما فى الاداء نظيره الأمريكى من طراز « سايد ويندر » . وكانت الميج - ٢١ تعتبر المقابل الفنى لما لدى الاسرائيليين من طراز « سوبر ميستين » . وعلى الرغم من أن طائرات الميج سريعة ولها قدرة عالية على المناورة فانها تعتبر ذات مدى قصير جدا فالميج - ٢١ لها مدى يبلغ ٢٠٠ ميل وباقى موديلاتها الأخرى أقل من ذلك ، وهذا يعنى أن هذا النوع من الطائرات ينبغى أن يوضع قريبا من أرض المعركة وأن مدة بقائها فى الجو محدودة أيضا . وقد طالب عبد الناصر بطائرات الميج ٢١ - جى المحسنة وكذلك بآخر موديل وهو ميج - ٢٣ لكنه لم يفلح فى تحقيق طامبه .

أما طائرات اس يو - ٧ من سلسلة سوخوى (٢) وهى الطائرة الأساسية فى تكتيكات الهجوم الجوى لدى السلاح الجوى السوفيتى ، فهى طائرة ذات مقعد واحد طويلة الجناح قاذفة مقاتلة مزودة بمدفعين من عيار ٣٠ مم وسرعتها تبلغ ١٨٥ ماخ ولها القدرة على حمل كل من القنابل والصواريخ ، غير أنه الآن وقد احتلت اسرائيل سيناء فقد صارت اسرائيل بعيدة عن المتناول أما الطائرات تى يو - ١٦ من سلسلة التوبوليف (٣) . فهى طائرات متوسطة المدى للاستكشاف والقذف وهذا النوع من الطائرات يستطيع حمل قنابل زنتها ٢٠٠٠٠ رطل وطاقتها يتكون من سبعة أفراد ، ومزودة بسبعة مدافع عيار ٢٣ مم والمدفعين الموجودين بالمؤخرة يمكن التحكم فيهما اداريا ولهذه الطائرة مدى يبلغ مايزيد عن ٢٠٠٠ ميل . ونظرا لأن هذا النوع من الطائرات كان يحمل صواريخ سوفيتية جو - جو فان

(١) والاسم مركب من الحروف الاولى اسماء من مصمميها الاول وهما : ميكويان

وجيروفيتش .

(٢) سوخوى ، توبوليف ، اليوشن ، انتونوف ، وميل كلها اسماء مصممي الطائرات

السوفيتية .

(٣) انظر الحاشية رقم (٢) ص ٧٥ .



الاسرائيليين كانوا يخشونها كثيراً على احساس انها يمكن ان تصل الى اى جزء من اجزاء بلادهم . أما طائرات تى يو - ١٦ من الثلاثين التى كانت تمتلكها مصر فى عام ١٩٦٧ فكانت الهدف الاول فى حرب يونيو ، حين تم ضربها جميعا على الارض فى مطارات بنى سويف والاقصر وتدميرها .

أما طائرات آى ال - ٢٨ من سلسلة الاليوشن (١) فهى طائرات خفيفة قاذفة ذات محركين ، لها القدرة على حمل قنابل الى ما يصل الى ١٠٠٠ رطل مع نصف قطر تأثيرى داورى يبلغ ٨٥٠ ميلا . وقد جمعت الطائرات داخل مجموعات اسراب تتضمن ستة طائرات مقاتلة - اعتراضية مع طائرة الميج - ٢١ س وأربع مقاتلات من طراز الميج - ١٩ س ، واثنين من المقاتلات من طراز الميج ١٧ س ، وخمسة من طائرات المهاجمة الأرضية مع طائرات اس يو - ٧ س ، وواحدة من القاذفات الثقيلة من نوع تى يو - ١٦ س ، واثنين من القاذفات الخفيفة من نوع آى ال - ٢٨ س .

ومن الطائرات الأخرى التى امتلكتها مصر وتستحق الذكر ولم تدخل ضمن عدد ال - ٣٥٠ طائرة انحرية التى لديها نحو أربعين طائرة آى ال - ١٤ س وهى طائرات نقل خفيفة تحتوى محركاتها على مكابس وتقوم بنقل ستة أفراد أو ١٣٠٠ رطلا من البضائع ، وكذلك نحو ٢٠ طائرة أنتيونوف - ١٢ س - من سلسلة طائرات الانتيونوف ، وهى طائرة نقل تستطيع نقل ٤٤٠٠ رطل أو ١٠٠ من الجنود ولها مدى يبلغ ١٠٠٠ ميل كما يمكنها حمل المركبات ، أما بالنسبة لمجال التدريب فقد كانت هناك ١٥٠ طائرة قديمة مكونة أساسا من طائرات الميج ، وكانت هناك طائرات رسال ، ودخان من طائرات التدريب ومن الجدير بالاشارة اليه أنه من الصعب بوجه عام تقدير نصف قطر العمل أو الاثر الذى تحدثه طائرة من الطائرات وعلى الاخص القاذفات وطائرات الهيليكوبتر ذلك أن الامر يتوقف بدرجة كبيرة على حمولتها الفعلية ، وعلى تلك العوامل المتعلقة بما اذا كان هناك مستودع اضافى للوقود فوق الطائرة أو مثبتا تحت الاجنحة . غير أن المدى الذى يذكر عادة هو بالنسبة للحمولة الفعلية دون احتساب لمستودعات الوقود الاضافية محسوبة الى الهدف الواقع فى الطرف النهائى من القاعدة .

وكان لدى مصر أيضا نحو ٧٠ طائرة هليكوبتر من مختلف الانواع من سلسلة ميكال الى ميل (١) وكانت الطائرة ام آى - ١ من أولى الطائرات التى وضعت تحت الاستخدام ، كما أن الطائرة ام آى - ٤ تستطيع رفع حمل صافى ( دون استخدام مستودعات اضافية للوقود ) يبلغ ٢٨٠٠ رطل أو ١١

(١) انظر الحاشية رقم (٢) ص ٧٥ .

جنديا ولها نطاق يبلغ ١٥٠ . فى حين أن الطائرة ام آى - ٦ وهى أكبر هيليكوبتر فى العالم فتستطيع نقل حمل صافى قدره ٤٠٠٠ رطل كما تتمكن من حمل ٧٠ جنديا ، ولها طاقم مكون من خمسة أفراد ولها نطاق يبلغ ٢٠٠ ميل ، غير أن الطائرة ام آى - ٨ وهى هيليكوبتر ناقلة لها القدرة على حمل ٢٨ جنديا كما أن لها حمولة صافية تبلغ ٦٠٠٠ رطل ونطاقا يبلغ ٢٤٠ ميلا .

ولقد بنى الدفاع الجوى المصرى حول مدفعية مضادة للطائرات وبطاريات من الصواريخ سام جرى التنسيق بينها عن طريق الرادار .

أما بالنسبة للأسراب الستة من الطائرات ميج - ٢١ الاعتراضية المقاتلة منظرنا لأنه من غير الممكن أن يكون المصريون أقوياء فى كل مكان فقد عملوا على تركيز مصادرها حول القاهرة والاسكندرية والدلتا وسد أسوان . على أن يجرى التعامل مع الهجوم الجوى ذى الارتفاع المنخفض بالمدفعية المضادة للطائرات التى كانت تشمل الانواع السوفيتية الحديثة من عيار ٣٧ مم ، ٥٧ مم ، ١٠٠ مم وأكثرها يدار بالرادار وبعضها له ماسورتان وبعضها له القدرة على اطلاق النار الى معدل يبلغ ١٨٠ جولة فى الدقيقة الواحدة على مدى يبلغ ١٠٠٠ قدم .

وكانت صواريخ سام - ٢ (١) العمود الفقرى للدفاع انجوى للاتحاد السوفيتى العادى . وصممت هذه الصواريخ لمطاردة وقتال الطائرات التى تطير بعلو متوسط أو عال . وهى صواريخ من مرحلتين تحمل رؤسا عالية التفجير يبلغ زنتها ٢٨٨ رطلا ، ولها مدى يبلغ نحو ٢٨ ميلا وحد أعلى لنحو ٦٠٠٠ قدم . وكان الهدف يجرى حصره عن طريق الرادار ثم لدى هذا الصاروخ جهاز توجيه أوتوماتيكي محكوم بالراديو . ولم يكن هذا الصاروخ ذا كفاءة عالية جدا ضد الطائرات السريعة أو التى تطير على ارتفاع منخفض ذلك أن سرعته فى مغادرة قاعدة ارتكازه وسرعة عجلته بعد انطلاقه لم تكن بالدرجة التى تمكنه من ذلك . ولم يبرهن سام - ٢ على فعاليته ضد الطائرات الاسرائيلية فى حرب يونيو كما أن نتائج تشغيله فى حرب فيتنام كانت مخيبة للآمال . ومنذ حرب يونيو لم يتم توريد الكثير منها لمصر ، وعندما حل منتصف ١٩٦٩ كانت قد حصلت على ٢٠٠ منها أو أكثر قليلا . وكانت هذه الصواريخ تحت رئاسة منفصلة ، تحت الادارة السوفيتية بوجه صارم . اذ أن المستشار السوفيتى فى البطارية كان يتحكم فى الصمام الكهربائى

(١) سام تعنى أو هى مكونة من الحروف الانجليزية الدالة على صواريخ من السطح الى الهواء . والاسم أو العلاقة السوفيتية للصواريخ هى فى ٧٥٠ فى كى . اما هذا الاسم بالنسبة للنظام كله فهو فى ٧٨ اس . ام . اما الاسم الكودى بالنسبة للشاتو ( حلف شمال الاطلس ) فهو « جايد لاين » .



للاطلاق ، وذلك على الرغم من أن الطاقم يقوم بتشغيله وصيانته أفراد مصريون . وكانت صواريخ سام قد تشكلت في ٢٥ بطارية كل منها عبارة عن سر قواعد اطلاق وتم انتشارها حول القاهرة ، والاسكندرية وبعض المطارات الكبرى المعينة مثل غرب القاهرة ، وانشاص ، والسد العالي ، ومنطقة القنال ومن جهة أخرى فإن سام - ٢ يتمتع بالحركة فوق قواعد اطلاقه الا أنه لا يتسنى اطلاقه وهو في حالة حركة وكانت أفضل طريقة لتشغيله هو من قاعدة دائرية خرسانية والتي كانت بدورها معروفة بوضوح للطائرات الاسرائيلية . وقبل حرب يونيو مباشرة كان لدى مصر نحو ١٥٠ من صواريخ سام - ٢ منتشرة على نحو ثمانية عشر موقعا . وكان هناك موقع منها في سيناء وتم للاسرائيليين الاستيلاء عليه سليما لم يمس ، وطبقا لذلك صار الاسرائيليون معتادين عليه .

لقد تمكنت القوات الجوية الاسرائيلية التي بلغت مرحلة عالية من التدريب ، والتي ينظر اليها الاسرائيليون على اعتبار انها مفتاح انتصاراتهم في حرب يونيو ، تمكنت من هزيمة السلاح الجوي المصري في خلال ساعات ، ودمرت سلاح الجو الاردني في ساعة ، وأصابته تلك الاسلحة الجوية الخاصة بسوريا والعراق بالضرر ذلك أنها ابتعدت عن المعركة . وفي بداية الحرب كان لدى الاسرائيليين نحو ٤٥٠ طائرة من كافة الأنواع ، منها ٣٥٠ كانت طائرات حربية ، وفي خلال الحرب فقدت اسرائيل ٤٠ طائرة . ومنذ ظهور هذه الدولة الى الوجود فانها قد مرت بتجارب شديدة الصعوبة في محاولة الحصول على الطائرات وفي بناء سلاحها الجوي ، ولم تلق اسرائيل بغيتها الا حين وجدت في فرنسا حليفا عام ١٩٥٨ ( والتي كانت منغمسة بعمق في الاضطرابات التي عمت الجزائر ) وربما كان ذلك أيضا نظرا لأن مصر كانت تساعد مثيرى هذه الاضطرابات . وعلى ذلك أمكن لاسرائيل أن تحصل على الطائرات الفرنسية الصنع ببعض الاعداد ومن ثم أمكنها توسيع نطاق قواتها الجوية الى حجم يكفي لمتطلبات دفاعها . وفي بداية حرب يونيو كان لدى اسرائيل نحو ٢٠ طائرة سوبر ميستير وكذلك ٤٠ « ميستير مارك آي في آي ، ٧٣ طائرة ميراج مارك آي آي جي ، ٤٨ « أوراكان » ، ٦٠ فوجا ماجستير ، ٢٥ « فاتور آي آي اس » ، ٢٠ « نوراتلاس » وستراتوكروزر كحاملة للطائرات ، ونحو ٢٥ هيليكوبتر . ومعظم الطائرات كان لها مدى يبلغ ٤٠٠ ميل أو أقل وكان قد جرى تجميعها في ١٣ سربا منها أربع طائرات اعتراضية ، وخمس قاذفات مقاتلة ، واثنان للنقل واثنان هيليكوبتر .

لقد كانت الطائرة الاوربية الغربية الاولى التي تطير في مستوى أفقى بسرعة تفوق سرعة الصوت هي الطائرة « سوبر ميستير » اذ كانت أسرع وأحدث طائرة تمتلكها اسرائيل وكان يجري اعتبارها المضاهي الفني لطائرة الميج - ٢١ . ولكونها مقاتلة - قاذفة فقد زودت بالصواريخ ، وتستطيع حمل مستودعات من النابالم ومزودة أيضا بمدفعين عيار ٣٠ مم . أما الطائرة ميستير

آي في آي فكانت أقدم ( توقف انتاجها في فرنسا منذ ١٩٥٨ ) نفاثة - « تريبو » وهي مخصصة للهجوم الارضى وتحمل كلا من القنابل ومستودعات النابالم . ومزودة بمدفعين من عيار ٣٠ مم . أما الطائرة الآلية للزوال نظرا لقدم العهد بها فهي « الأراجون » وهي أقدم قاذفة مقاتلة في الخدمة الاسرائيلية وكانت مزودة بأربعة مدافع ٢٠ مم ولها القدرة على حمل شحنة من القنابل تزيد على ٢٠٠٠ رطل . أما طائرات الفاتور ذات المحركين والمقعد الواحد والتي تطير في كافة الاجواء وتعمل في مهمات متعددة ، وتعتبر مهاجمة أرضية أيضا فكانت لها القدرة على حمل شحنة من القنابل وتبلغ ٤٠٠٠ رطل وكانت أيضا عتيقة نسبيا . كما أن الميراج مارك آي آي اس ، ذات المقعد الواحد فقد كانت أول ما جرى توريده الى اسرائيل عام ١٩٦٣ . وكانت هي الطائرة الاعتراضية الاسرائيلية الوحيدة التي لها قدرة على تحدى الميج - ٢١ س . وكانت ذات أجنحة على هيئة ( دلتا ) وهي تطير أسرع من الصوت - كما انها مقاتلة متعددة المهام مزودة بمدفعين عيار ٣٠ مم . وسرعتها ٢٨١ ماخ لها قدرة على العمل من ممرات جوية قصيرة وغير ناعمة . أما ( الفوجا ماجستير ) التي جرى تجميعها في اسرائيل فلها مقعدان أحدهما خلف الآخر للمدربين ، فقد جرى تقويتها وتعديلها لتحمل القنابل ، والصواريخ ومستودعات النابالم ، وتم استخدامها في أدوار المساندات الأرضية . بالإضافة الى ذلك فقد كانت هناك صواريخ فرنسية في الخدمة لدى السلاح الجوي الاسرائيلي . أحدهما كان صاروخ ماترا آر ٥٣٠ جو - جو ، محمل برؤوس زنتها ٦٠ رطلا عالية التفجير . ولها مدى ١١ ميلا كما زودت بجهاز توجيه بالأشعة تحت الحمراء التي كانت التسليح العادي لكل من الميستير والميراج والفاتور . وكان الآخر هو فورد آي اس ٣٠ وهو صاروخ جو - أرض له رؤوس عالية التفجير نحو ٥٠٠ رطل مزود بجهاز توجيه حراري .

ومن بين الطائرات الأخرى التي جرى ذكرها ، طائرة ( النور اتلاس ) ، و ( الفونس - نورد ٢٥٠١ ) . وكانت طائرة نقل متوسطة لها القدرة على حمل ٤٥ جنديا كما يمكنها حمل مركبات من خلال باب خلفي . وكانت طائرة سترااتوكروزر الامريكية ، والبوينج ٣٧٧ قادرة أيضا على حمل الافراد أو الشاحنات . أما طائرات « السوبر فريلون » ، و « الفرش سد ٣٢١ » فكانت أيضا طائرات متوسطة الحجم ، أو طائرة هيليكوبتر للأغراض العامة مثلا ، لها القدرة على حمل حمولة صافية قدرها ٩٠٠٠ رطل ، أو ثلاثون جنديا ولها طاقم من فرد واحد أو اثنين كما أن لها مدى يبلغ أكثر من ٣٠٠ ميل .

وكانت طائرة ( سيكورسكي ) يواتس - ٣٤ نوعا محسنا من ( سيكورسكي ٥٥ ) الذي استخدم في الحرب الكورية ، وهي طائرة هيليكوبتر للخدمة لها القدرة على رفع ١٨ جنديا ولها مدى قدرة ٢٨٠ ميلا . وكانت هذه الطائرة تعرف أيضا باسم سيكورسكي - ٥٨ . والى جانب ذلك فإن الطائرة الفرنسية « فرنش آلويت » كانت طائرة هيليكوبتر صغيرة



للاستطلاع لها حمولة صافية تبلغ ١٤٠٠ رطلا ، ولها القدرة على حمل قائد الطائرة وأربعة مسافرين ولها ومدى تقل عن ٢٠٠ ميلا . ومن ثم فإنه يمكن النظر الى أن الطائرات التي يستعملها السلاح الجوي الاسرائيلي في غالبيته فرنسي الصنع . اما قوة العنصر النظامي للسلاح الجوي الاسرائيلي فكانت نحو ٨٠٠٠ زيادتها الى ٢٠٠٠٠ حين التعبئة الكاملة ، ومن هذا العدد يوجد نحو ١٢٠٠ طيار في عمل منتظم ويبلغ متوسط عمره نحو ٢٤ سنة والذي كان قد بدأ صعوده في الجو في سن ١٨ سنة . وهؤلاء قاموا بما لا يقل عن ٢٤ ساعة طيران في الشهر مقابل ما يقوم به الطيارون في أسلحة الجو الأخرى والتي تتراوح ما بين ١٢ - ١٦ ساعة في الشهر ، وبطبيعة الحال أقل من ذلك في السلاح الجوي المصري . وجرى التشديد على تدريبات الطيارين على الطيران المنخفض وعلى دقة اصابة الهدف بالمدفعية نحو الأهداف الأرضية . أما الطيارون الارضيون فقد تخصصوا في ايجاد « لفة دائرية » للطائرة ولقد أمكن تخفيض الوقت اللازم ليكون فقط نحو عشرة دقائق . هذا بينما تستغرق هذه العملية في معظم أسلحة الجو الأخرى نصف ساعة على الأقل ولقد عمل هذا على تمكين الاسرائيليين من اضافة عدد أكبر من طلعات الطيران . ومن ثم فإن معدل استخدامات الطائرات كان عاليا . وقام الاسرائيليون بعملياتهم من نحو ٢٠ مطارا في اسرائيل بما في ذلك النقب وكانوا قد حصلوا على خمسة أخرى حينما اكتسحوا سيناء . ومن ذلك الوقت كانوا قد بنوا نحو ستة ممرات أرضية للطائرات في الصحراء بهدف دعم خط بارليف .

وكان لدى الطيارين الاسرائيليين نقطة تفوق ضخامة على المصريين ذلك أنهم تمكنوا من تكوين سرب أسموه ( السرب السوفيتي ) مكون من خمس طائرات سوفيتية تتكون من واحدة من طراز اس يو - ٧ ، وثلاثة من الميج - ١٧ س وواحدة من الميج - ٢١ ، والتي كانت تستخدم في التدريب ( لتعويد ) الاسرائيليين على هذه الطائرات وقدراتها الخاصة التي سوف يلاقونها في العمليات . قائما طائرة اس يو - ٧ فكان قد جرى اسقاطها في ٢٠ يوليو ١٩٦٩ في إحدى المعارك ، وهبطت على رمال ناعمة . أما بالنسبة لطائرات الميج ١٧ س فإن اثنتين منها قد هبطتا على الأرض الاسرائيلية بطريق الخطأ من جانب طيارين عراقيين بينما أسقطت واحدة وأمكن اصلاحها . وأما بالنسبة للميج ٢١ فقد أمكن للاسرائيليين الحصول عليها حين تم حرب أحد الطيارين العراقيين بها الى اسرائيل .

وكانت اسرائيل تمتلك صواريخ هوك ( وهذا الاسم عبارة عن الحروف الاولى لما ترجمته بالعربية - موجهة لكي تقتل طول الطريق ) ، والتي كانت تحت سيطرة سلاح الجو ، وكل بطارية لديها ستة قواعد انطلاق ثلاثية . وقد كان لدى اسرائيل نحو ٥٠ قاعدة انطلاق تم وضع عدد منها على طول سلسلة تلال بير جيفجاف . وهذه الصواريخ (الهوك) التي طورها الامريكيون

في عام ١٩٦٠ لها مدى مائل يبلغ ٢٢ ميلا ولها سجل حافل على ارتفاعات من ١٠٠ قدم الى ٣٨٠٠٠ قدم ، ويمكن استخدامها أيضا ضد الأهداف الأرضية . وميزتها الكبرى كانت في أن « موجهتها للرادارية الدائمة » يمكن أن تميز الصدى النابع عن الأهداف المتحركة بسرعة من « القمعة المحيطة » العامة .

وعلى الرغم من أن الاسرائيليين قد سيطروا عقب حرب يونيو على أجواء الشرق الأوسط ، فإن الحكومة الاسرائيلية ببعد نظرها نظرت هي والقيادة العامة الاسرائيلية الى المستقبل فكان بقلتها التعويضات من خسائر الحرب ورغبة كل منهما في الحصول على مزيد من الطائرات للبقاء على وضع اسرائيل المسيطر ، غير أن المستقبل في هذا المجال بدا كئيبا . إذ أن الرئيس ديجول أثناء حرب يونيو والذي كان ينظر اليه الاسرائيليون في السابق على أنه حليفهم الحقيقي وأنه من أهم مواردهم للطائرات المتقدمة قد انحاز فجأة ودون توقع ناحية العرب وأدان الاسرائيليين لتصرفاتهم وقام بوضع حظر كامل على ارسال أية أسلحة فرنسية الى اسرائيل مما أصاب الاسرائيليين بغزع شديد . لقد طلبت اسرائيل ، ودفعت مقدما ثمن ٥٠ طائرة ميراج في اس ، وكانوا يؤملون عليها في تشكيل أسرابهم الاعتراضية في المستقبل القريب . ولكنهم في الحقيقة لم يكتب لهم أبدا تسلم هذه الطائرات كما وجدوا صعوبات في استرداد أموالهم ولم يشن الفرنسيون عن ارادتهم ، ولذلك فإنه في شهر يناير ١٩٦٨ ذهب أشكول رئيس الوزراء الى أمريكا لمحاولة اقناع الرئيس جونسون لامداد اسرائيل بالطائرات الحديثة ، وطالب - طبقا للتقارير الصحفية بامداد بلاده بخمسين طائرة فانتوم ، وهم أكبر طائرة أمريكية متقدمة في العمليات الحربية في ذلك الوقت وذلك للاحلال محل الميراج التي جرى فرض الحظر عليها من جانب فرنسا . وطلب أشكول أيضا تزويد اسرائيل بطائرات سكاي هوك التي كانت قد طلبتها عام ١٩٦٦ وأن يجري الاسراع في توريدها إذ لم يكن قد تم تسليم أي منها الى اسرائيل بعد . غير أن الرئيس الامريكي كان مترددا ، وعاد أشكول أدراجة خاوي الوفاض غير أن جونسون على أية حال كان قد أعاد النظر ، وبعد ثلاثة شهور أخرى بدأ توريد طائرات سكاي هوك الى اسرائيل .

وطائرات دوجلاس ٤١ سكاي هوك كانت طائرة من مقعد واحد مهاجمة قاذفة وكانت في الخدمة مع السلاح البحري الامريكي منذ عام ١٩٥٦ ، وقد جرى تصميمها للعمل من حاملات الاسطول البحري ومن المطارات القصيرة . وهي مزودة بمحرك نفاث ( تيربو ) ومزودة أيضا بمدفعين من عيار ٢٠ مم ، ولها مدى ١٢٠٠ ميلا وتحمل القنابل والصواريخ الأمريكية من طراز سايدويندر (جو - جو) وأما الصاروخ سايدويندر فإن له رأسا عالية الانفجار زنتها ١٠ أرطال وله مدى يبلغ ميلين وسرعة قدرها ٢٥٠ ماخ مع جهاز للتوجيه بالأشعة تحت الحمراء . أما الطائرات الأخرى الوحيدة التي حصلت عليها اسرائيل في عام ١٩٦٨ فكانت نحو ٢٠ طائرة هيليو كوبر من طراز ( آجوستا - بل ) للاستخدام العادي لها ومدى يبلغ نحو ٢٦٠ ميلا .



ثم أعاد الرئيس جونسون النظر مرة أخرى ، ففي ٩ أكتوبر أعلن في أمريكا عن أن المفاوضات سوف تبدأ لبيع طائرات الفانتوم الأمريكية لإسرائيل وهذا القرار قد جعل الرئيس عبد الناصر يستتج أن أمريكا قد قررت أن تضع عبء الدفاع مباشرة على إسرائيل وأنها بسبيلها لأن تتصل من ضمانات الأربعة الكبار لمنطقة الشرق الأوسط . غير أن الأمر لم يكن كذلك . . ان الأمر كان ببساطة أن الرئيس جونسون قد أجل التصريح ببيع الفانتوم لعدة أشهر أملا منه في أن يمتنع الاتحاد السوفيتي هو الآخر عن امداد الأسلحة لمصر وباقى دول منطقة الشرق الأوسط من العرب .

وكانت طائرة ماكدونيل اف - ٤ ب « الفانتوم » متعددة المهام ذات المحركين ، ذات المقعدين ، قد دخلت الخدمة في السلاح البحري الأمريكي في عام ١٩٦٢ . وكانت لها القدرة للطيران بسرعة ٢٤٤ ماخ ويمكنها العمل على ارتفاع ٧١٠٠٠ قدما ، وتحمل سبعة أطنان من القنابل ، أو الصواريخ أو النابالم أو مستودعات الوقود الإضافية . وبالإضافة إلى ما زودت به من مدفع عيار ٢٠ مم فإنها تحمل صاروخا من طراز سبارو « جو - جو » الذي له موجه مستمرة وجهاز توجيه « نصف نشيط » من الرادار ، مع قدرة خاصة للعمل في كل الأجواء المناخية ، وكل الارتفاعات وله مدى يبلغ ثمانية أميال وسرعة تبلغ ٢٥٠ ماخ ووزن ٦٠ رطلا . وقد أظهرت تجربة فيتنام بأن هذه الطائرة تستطيع أن تمتص الأضرار الثقيلة ومع ذلك تعود إلى قواعدها . فضلا عن ذلك فإن الفانتوم كانت تحمل صاروخا مضادا للرادار من طراز « شرايك » له محرك صلب وله مدى نحو ١٠ أميال كما أن له رؤوسا متفجرة تقليدية عالية التفجير .

ونظرا لأن الطائرات الهليكوبتر الفرنسية الصنع فقد استخدمت من جانب إسرائيل في هجومها على مطار بيروت في ٢٨ ديسمبر ١٩٦٨ حيث أمكنهم تدمير ١١ طائرة عربية ، فإن الرئيس ديجول كان قد فرض حظرا كليا على تزويد إسرائيل بالأسلحة مما أسفر عن فشل نهائي في الحصول على الخمسين طائرة ميراج أيضا وعلى ثلاثة طائرات هليكوبتر ، فضلا عن قطع غيار وتجهيزات إلكترونية كانت قد طلبتها إسرائيل بالفعل . وعلى الرغم من أنه من الناحية العملية كانت كافة الطائرات التي تستخدمها إسرائيل في سلاحها الجوي هي طائرات فرنسية الصنع فإنها لم تكن في وضع سييء كما كان مقدرا أن يكون الحال ، ذلك أنه حين هدأت حدة الحظر المفروض في حرب يونيو في سبتمبر التالي قام الإسرائيليون بالحصول على أعداد ضخمة من الطائرات وقطع الغيار ومن ثم تجمع لهم احتياطي كبير . وكانت صناعاتهم الحربية المحتلة منهكة في نفس الوقت في صنع هذه الأسلحة . وعلى أية حال فإن هذه اللطمة التي تلقوها قد خفف من آثارها التنفير الذي حل بالسياسة الأمريكية ، ففي اليوم التالي للمعملية التي قام بها رجال العصابات الفلسطينيين

في ميناء أثينا الجوي ( ٢٦ ديسمبر ١٩٦٨ ) وقبل الغارة الإسرائيلية على مطار بيروت بيوم واحد أعلنت الخارجية الأمريكية بأن اتفاقا قد تم التوصل إليه لبيع ٥٠ طائرة فانتوم لإسرائيل وأن التسليم سوف يبدأ قبل نهاية عام ١٩٦٩ ويظل قائما حتى عام ١٩٧٠ .

وكان كل من السلاحين الجويين على أهبة الاستعداد مع الآخر فعلى أحد الجانبين يوجد السلاح الجوي الإسرائيلي مزود بالخبرة وقد جرى اختباره فعليا في المعارك ، يشعر بالنجاح والثقة بالروح المعنوية العالية ، وعلى الجانب الآخر يوجد السلاح الجوي المصري أعيد بناؤه حديثا ، ولم يجر اختباره فعليا في المعارك ، يعاني نقصا في الطيارين ، تنقصه الخبرة ، وأربما وثقا أكثر من اللازم غير صبور ، يتوق طياروه إلى إثبات جدارتهم . .



## ٦ - تدخلات القوة الجوية

« لسوف يكون من الخطأ المطلق اخفاء

الساوى في الجيش المصرى »

برافدا ، عدد ١٣ سبتمبر ١٩٦٩

لقد ألقت القوات الجوية المصرية بنفسها على السلاح الجوى الاسرائيلى محاولة منازلته فى القتال على مدى اسبوع فقط . فبعد الهجوم المبدئى فى ٢٠ يوليو حدث الاستقبال التالى الكبير فوق القناة فى الرابع والعشرين من يوليو حينما اغارت الطائرات الاسرائيلية على المواقع المصرية ونشب قتال جوى حثيث . وبعد انتهاء الاشتباك اعلن الاسرائيليون انهم اسقطوا سبع طائرات مصرية فى قتال جوى منذ العشرين من الشهر دون أية خسائر فى جانبهم ، وهذا يجعل رقم الطائرات حسب ادعاءاتهم منذ حرب يونيو الى ١٩ طائرة (١) ، فى الوقت الذى اعلن فيه المصريون انهم اسقطوا ست طائرات اسرائيلية مع اعترافهم بخسارة طائرة واحدة من طراز اس . يو ٧ .

وفى اليوم التالى ، الخامس والعشرين حدث هناك اشتباك آخر بين الطائرات فوق القناة حين انطلقت الطائرات المصرية لملاقاة الطائرات الاسرائيلية التى كانت تقوم بمهاجمة الدفاعات الارضية وتطور القتال . وبعد الظهيرة قام تشكيل من الطائرات المصرية باخترق مجال سيناء الجوى حيث وجه بمقاتلات اسرائيلية وصواريخ هوك . واطلقت الدعاوى المضادة كما هو معتاد ، غير ان المصريين فكوا اشتباكهم مرة اخرى . واثناء اليومين التالين كانت هناك عدة غارات متكررة على المواقع المصرية بطول القناة ، ولم تبذل سوى محاولة واحدة جوية من جانب المصريين لاعتراض طائرات العدو وفى الثامن والعشرين من الشهر حينما قامت الطائرات الاسرائيلية بمهاجمة بور توفيق ، اعلن المصريون تمكنهم من اسقاط احدى الطائرات .

وعلى الرغم من اشتداد النشاط فى السلاح الجوى المصرى حتى الايام الاخيرة من شهر يوليو ، ثم بعد ذلك تحقق هذا السلاح أنه قد خسر الثلاث أو الاربع معارك الرئيسية التى تمت فى الجو ضد الاسرائيليين وعلى ذلك فككت القوات المصرية اشتباكها لتلق جراحها واعادة النظر فى تكتيكاتها وفى ٣١ يوليو قال موسى ديان فى التليفزيون ان المصريين قد ادركوا أخيرا عدم قدرتهم على احراز التفوق الجوى الذى كانوا يستهدفونه من أجل تغطية هجوم على نطاق واسع ، وان تهديداتهم قد صارت أقل خطورة وأنها صارت

(١) وهى عبارة من ٥ ميج - ١٧ س ١٠ ، ميج ٢١ س ٤ ، اس يو - ٧ س ٠٠

توجه باقتناع أقل مما كانت عليه فى السابق . وعلق ديان بقوله « ان الطائرات المصرية تتمركز فى قواعدهما التى تقع بعيدا جدا عن خطوة المواجهة ، غير انها لازالت تحت طائلة اسرائيل وتنفست قيادة الاركان حرب الاسرائيلية الصعداء لأنها لم تكن متأكدة بالضبط من القدرات الخاصة بالسلاح الجوى المصرى الجديد الذى دربه وجهزته السوفيتية الا انها الآن اقتنعت بان الاسرائيليين قد استعادوا سيطرتهم الكبرى عليها . وعلى أية حال فقد كان شهر يوليو نقطة ذروة بالنسبة للضحايا والاصابات فى الجانب الاسرائيلى حيث كان هناك ٣٠ قتيل ، ٧٦ جريحاً فى جبهة القناة .

وواست الاركان العامة المصرية نفسها بالظن بان السلاح الجوى قد استعاد نفسه وانه صار أكثر فعالية رغم الخسائر وان أى ضربة وقائية جوية اخرى من جانب اسرائيل لن يتوفر امامها سوى ٤٠٪ من فرص النجاح ، وان المصريين قد امتلكوا الآن القدرة على « الضربة الثانية » أن البعد عن ارض المعارك يعنى وقتا أكثر تحديدا بالنسبة للهدف او المعركة الجوية . وفى المعارك الجوية كانت تطفى طائرات الميج - ١٧ س ، والميج - ١٩ س وهى أقل فى درجة الكفاءة الفنية عن الميراج الاسرائيلية غير ان تلك كانت سياسة الضرورة طالما كان على مصر ان تستعين بأى طيارين يتوافرون لديها ومعظمهم لم يتدربوا الا على هذين النوعين من الطائرات اما طائرات الميج ٢١ الجديدة فان طيارها كانوا أقل مرتبة من الاسرائيليين رغم ان طائرات الفريقين كانت متساوية من الناحية الفنية فى هذه الحالة مما يشير الى حاجة هؤلاء الطيارين الى مزيد من الخبرة .

لقد كان الهدف من الهجمات الجوية على مدفعية المصريين على طول القناة هو تخفيف الضغط على خط بارليف ، الذى لم يكن قد اكتمل بناؤه الا الى درجة ما . وكانت مواقع المدفعية المصرية حتى هذا الوقت قد جرت حمايتها حماية جيدة وتم تحصينها رغم اصابتها بين الحين والآخر وكانت هذه الاسلحة قادرة دائما على الاستمرار فى اطلاق النيران عبر المسر المائى بسببه لاسرائيل بعض الاصابات (١) وان لم يكن بنفس الدرجة . واتبعت سياسة مشابهة فى شهر اغسطس ، فقد حاول الاسرائيليون تدمير أية طائرة مصرية تطير فوق القناة وذلك بمهاجمة أى واحدة منها تطل بانفجها وفى نفس الوقت يقوم الاسرائيليون بالاستمرار فى قصف مواقع المدفعية المصرية وكذلك المورتاد بشدة . ولقد استفاد الاسرائيليون أكبر استفادة من فترة الراحة هذه لكى يقوموا بتقوية خط بارليف .

وعلى وجه العموم فان اغسطس كان شهرا هادئا فى الجو ، على الرغم من انه فى معظم الايام كانت الطائرات الاسرائيلية تهاجم مواقع المدافع

(١) لقد قال الاسرائيليون فى الرابع من اغسطس ١٩٦٩ ان ١٨٩ اسرائيليا قد قتلوا فى الجبهة المصرية فى حرب يونيو .



المصرية في أي مكان على طول القناة . وفي اليوم التاسع عشر كان هناك اشتباك كبير بعد أن قام المصريون بقصف المواقع الإسرائيلية عبر القناة من بور توفيق حين قامت طائرات إسرائيلية ( بما في ذلك عدد من القنصاة تسليها حديثا من أمريكا من طراز سكاي هوك ) قامت بقصف المواقع المصرية في تلك المنطقة ودخلت في العمق إلى نحو عشرة أميال . وأعلن المصريون أنهم أسقطوا ثلاث طائرات واعترف الإسرائيليون بفقد طائرة سكاي هوك وأنه قد تم أسر قائد الطائرة . وعادت الدفعة الأولى المكونة من اثني عشر طيارا إسرائيليا من أمريكا في التاسع من أغسطس حيث كانوا يتلقون تدريبا على طائرات الفانتوم ، وفي الأيام الأولى من شهر سبتمبر وصلت أول طائرة فانتوم إلى إسرائيل ، إذ جرى تقديم موعد التسليم بسبب الانقلاب الذي حدث في ليبيا في أول سبتمبر .

وخلال شهر سبتمبر نفسه ظل نموذج الحال كما هو عليه . وفي السابع من هذا الشهر أعلن الجنرال بارليف أنه منذ العشرين من يوليو حين تدخل السلاح الجوي الإسرائيلي لأول مرة على جبهة قناة السويس فإن هذا السلاح قد قام بتنفيذ ١٠٠٠ طلعة على الأراضي المصرية وأنه فقد ثلاث طائرات في مقابل ١٠٠ طلعة من القوات الجوية المصرية خسرت فيها هذه القوات ٢١ طائرة . وهذه الأرقام كانت تشير إلى أنه رغم أن المجهود المصري أقل من عشر الجهد الإسرائيلي فإنه لم يكن ذي معنى كلية ، غير أن الجنرال بارليف ردد رأى وزير الدفاع الإسرائيلي من أن العمليات الجوية خلال شهر يوليو قد جعلت المصريين يفتنون إلى حقيقة أنهم لا يملكون القوة الجوية الكافية ولا الغطاء الجوي اللازم لتغطية هجوم أرضي .

وفي هذه المرحلة كانت الطائرات الإسرائيلية تركز جهودها أساسا على مواقع الأسلحة المصرية على طول جانب القناة ، غير أنه نظرا لأن إصابات إسرائيل في القوات الأرضية قد بدأت في التزايد فقد حاولوا إلى مهاجمة مواقع الصواريخ أيضا . وفي التاسع من سبتمبر ، على وجه المثال ، وفي واحدة من هذه الغارات ، قام الإسرائيليون بقصف جوي على قاعدة « رأس دارج » في خليج السويس وهي القاعدة التي كان يديرها السوفييت بالرادار ، وفي اليوم التالي - العاشر من سبتمبر أغاروا على مواقع صواريخ في الجزء الجنوبي من القناة . أما القوات الجوية المصرية التي ظلت ساكنة لبعض الوقت فقد قامت بالرد في الحادي عشر من الشهر حينما دخلت ١٠٢ طائرة عبر الجزء الأوسط من القناة باتجاه سيناء وقابلتها طائرات إسرائيلية مقاتلة وصواريخ من طراز هوك . ونشبت دواية من القتال الجوي واستمرت هذه المعركة زهاء ساعة من الزمن حتى فض المصريون اشتباكهم وعادوا إلى قواعدهم . وفي حين اعترف الإسرائيليون بعد القتال بأنهم فقدوا طائرة واحدة ، فإنهم أعلنوا أنهم أسقطوا ١١ طائرة مصرية ( ثمانية أثناء القتال واثنين بواسطة صواريخ هوك ، وواحدة بالنيران المضادة للطائرات ) وقال المصريون أن لإسرائيليين قد فقدوا ثلاث طائرات في القتال الجوي

رواحلة بواسطة النيران المضادة للطائرات ، غير أنهم لم يعترفوا إلا بحساره طائرتين من جانبهم . ومرة أخرى ، ففي حين أثبت الطيارون الإسرائيليون تفوقهم فإنهم رأوا أن السلاح الجوي المصري قد بدأ أكثر خبرة . وفي الرابع والعشرين من سبتمبر كان هناك قصف شديد التركيز . قصف جوي لمناطق مختارة لمواقع الصواريخ على طول القناة . وفي مستهل شهر أكتوبر أعلن ديان عن بداية « هجوم جوي محدود يستهدف التركيز على تدمير مواقع الصواريخ وجهاز الانذار المبكر المصري .

وبدأت طائرات إسرائيل في مهاجمة منشآت الرادار وليس فقط في منطقة القناة وخليج السويس ولكن أيضا على طول ساحل البحر المتوسط ووصلت حتى غرب الاسكندرية . غير أن المنشآت الرادار كان يجري تعويضها بسرعة ، وما دمر منها جرى تصليحه تماما ، إلا أن التقارير التي كانت ترد من الضباط السودانيين والجزائريين كانت تشير إلى نجاح هذه الضربات الإسرائيلية .

ولم يسمح لأي من الأجانب بالسفر في الطريق الذي يقع للغرب من العلمين دون الحصول على إذن خاص . ومنع مرورهم أيضا في مناطق أخرى بعضها لأسباب تتعلق بالأمن الحربي العادي ، غير أن الأسباب الأخرى كان يجري الظن أنها لاختفاء مقدار الدمار الذي سببته الغارات الإسرائيلية .

وأثناء شهر أكتوبر نفذ الإسرائيليون عدة هجمات على مواقع الصواريخ والرادار ، والاشتباك مع أي طائرة مصرية يصادفونها تلك الطائرات التي بدأ أنها صارت أكثر جراءة وإن كانت أقل نجاحا . وفي السادس من أكتوبر كانت معارك جوية فوق القناة ، وأدعى الإسرائيليون بأنهم أسقطوا ثلاث طائرات مصرية ، إلا أن المصريين اعترفوا بفقد واحدة فقط قائلين إن طيارها قد صبط سالما . وحدثت اشتباكات كثيرة في الجو خلال اليوم التالي بما استتبعها من ادعاءات وادعاءات مضادة . وفي السابع من أكتوبر أيضا قصفت إحدى الطائرات الإسرائيلية رأس الزعفرانة في خليج السويس حيث كان المصريون يقومون بإعادة بناء جهاز الرادار وبعض المنشآت الأخرى التي دمرها بعض رجال الكوماندوز الإسرائيليين في إحدى غاراتهم في الشهر السابق . وفي السادس عشر من الشهر أعلن الإسرائيليون من أنهم دمروا مدافع ثمانية صواريخ سام - ٢ منذ أول سبتمبر . وفي الرابع والعشرين قامت مجموعة من الطائرات المصرية بمهاجمة المواقع الإسرائيلية وكذلك المنشآت الإسرائيلية في منطقة الروماني ، التي تبعد نحو ٢٠ ميلا شرقي القناة ونحو ميلين من البحر ، وجرح في هذه العملية ١١ إسرائيليا . وبعد ذلك في نهاية نفس اليوم رد الإسرائيليون مستهدفين مواقع في القطاع الأوسط من القناة ، ونشأ قتال جوي حيث حاول كل من الفريقين إسكات مدفعية الآخر .

وفي العاشر من نوفمبر أعلن متحدث إسرائيلي بأن كافة مواقع سام ٢ على طول القناة من بور سعيد إلى خليج السويس قد تم تدميرها على طول



حملة جوية استغرقت شهرين ضد هذه المواقع . وفي اليوم التالي كانت هناك معركة جوية فوق القناة ، أعلن الاسرائيليون أنهم أسقطوا ثلاث مقاتلات مصرية دون أية خسائر من جانبهم ، في حين أعلن المصريون أن نفائتين اسرائيليتين قد جرى اسقاطهما في مقابل فقدانهم لطائرة مصرية واحدة . وفي مؤتمر صحفي في الثالث عشر من الشهر قال موسى ديان أنه منذ أول أبريل قام المصريون بتنفيذ ١٣ هجوما جويا على المواقع الاسرائيلية . غير أن المزيد كان في الطريق ، ففي الرابع والعشرين من الشهر قصف تشكيل مصري من الطائرات المواقع الاسرائيلية بين القنطرة ومنطقة بالوطة في الطريق نحو الشرق وطبقا لما أعلنته جريدة الاهرام أن ذلك كان ردا على غارة اسرائيلية في الليلة السابقة حيث جرى اسقاط ١٢٢ طنا من القنابل في مدى أربعة ساعات . وتغيرت اللهجة التي مانت الى التغيير فالتعبير عن الهجوم الوقائي « انذى ابتدعه الاسرائيليون في يونيو ١٩٦٧ خرج من نطاق التداول وحتى لم يكونوا يتحدثون عن « الهجمات الانتقامية » مرة أخرى وإنما بدلا من ذلك صاروا يتحدثون عن « التحفز لهجوم مضاد » وكانت المعركة الجوية التالية قد حدثت في السابع والعشرين من نوفمبر حين قامت الطائرات الاسرائيلية بهجوم شديد على المواقع في القناة مما استثار المصريين وجعلهم يرسلون تشكيلا من الطائرات نحو الشرق تجاه سيناء حيث قابل هذا التشكيل على بعد ٢٥ ميلا شرقي القناة ، مقاتلات اسرائيلية وتطور الأمر الى قتال في الجو ومن الطبيعي أن تصدر الدعاءات المتضاربة ، غير أن المصريين اعترفوا بفقد طائرة واحدة في القتال وأخرى سقطت بالنيران المضادة للطائرات . وفي الخامس والعشرين قام السلاح الجوي الاسرائيلي بأطول قصف جوي حدث حتى هذا التاريخ استمر ما يزيد على ثماني ساعات مستمرة من قصف مواقع الصواريخ والرادار التي كان قد تم بناؤها في جزام على اتساع عشر أميال في القطاعات الوسطى والجنوبية لمنطقة القناة . وأعلن الاسرائيليون عن أن كل الانشاءات الجديدة قد تم تدميرها وأن كافة طائراتهم قد عادت سالمة ، غير أنه في اليوم التالي خرجت قواتهم الجوية مرة أخرى بنفس قواتها لنفس المهمة .

وفي نهاية عام ١٩٦٩ أعلن موسى ديان أن السلاح الجوي الاسرائيلي قد حقق سيادة جوية لاتنازع بمهاجمته الطائرات التي غامرت بالدخول الى سيناء . وأن القوات الجوية الاسرائيلية قد دمرت ٢٤ للصاروخ سام - ٢ وأن القوات الجوية الاسرائيلية قد دمرت ٢٤ للصاروخ سام - ٢ وأسقطت ٦١ طائرة مصرية منذ حرب يونيو مما أسهم في تخفيض معدل الخسائر الاسرائيلية بالنسبة لخط بارليف . أما على الجانب المصري فانه من التهوين أن يقال ان الروس قد أصابهم الجزع للسهولة التي تمكن بها الاسرائيليون من التحايل على صواريخهم وتدمير مواقع سام - ٢ .

وفي نفس الوقت ، كانت هناك عمليات أخرى تجري على قدم وساق . وإذا رجعنا الى مساء يوم السابع والعشرين من أغسطس ١٩٦٩ ، لوجدنا أن

وعدة من رجال الكوماندوز محمولة في طائرات هيليوكوبتر من نوع سوبير فريلون قد دخلت أجواء مصر الى وادي النيل الاعلى ثم هبطت الطائرة ووضعت الوحة قنابل المورتار في مراكز القيادة المصرية في الجهة الجنوبية في منقباد على بعد ستة أميال غربى مدينة أسبوط ، والتي كانت على بعد ١٦٥ ميلا من المدخل الجنوبي لخليج السويس . ولم تحدث خسائر كبيرة . وفي السابع من سبتمبر أغار كوماندوز البحرية الاسرائيلية على القواعد البحرية المصرية في رأس السادات التي تبعد ١٢ ميلا جنوبى السويس ، وقام رجال الضفادع البشرية الاسرائيليون بتدمير اثنين من « زوارق الطوربيد » في هذا الميناء الصغير . ولم يتكبد الاسرائيليون أية خسائر في هذه الغارة ولكن بعثه رحلة العودة تم مقتل ثلاثة منهم بواسطة انفجار في إحدى طائراتهم .

وفي التاسع من سبتمبر قام الاسرائيليون بأكثر غاراتهم جراحة في الطرف الجنوبي من الاراضى المصرية تلك الغارة التي صاروا يشيرون اليها فيما بعد على أنها ( حرب العشر ساعات ) . ففي الساعات الاولى من الصباح انجزت سفينة بها مجموعة مكونة من زوارق الطوربيد وطائرة تحمل ستة دبابات وثلاث مركبات مدرعة حاملة للجنود ( كلها مركبات سوفيتية الصنع من التي تم الاستيلاء عليها في حرب الايام الستة ) وعلى كل هذه المركبات العلامات المصرية ، وأبحرت هذه المجموعة باتجاه الغرب عبر خليج السويس . وكان على ظهر هذه السفينة أيضا نحو ١٥٠ اسرائيليا من رجال الكوماندوز وكلهم يتحدثون اللغة العربية يرتدون الزي العسكري المصرى . ونزلت المركبات والرجال الى البر في منطقة ( الخفاير ) التي تبعد نحو ٢٥ ميلا جنوبى السويس بعد الفجر مباشرة دون أن يشك أحد في أمرها ، وبعد أن قامت المجموعة بتدمير تجهيزات الرادار بدأت في التحرك نحو الجنوب على طول الطريق الساحلى الرئيسى . وبعد أن غادروا ( الخفاير ) بوقت قصير التقى الكوماندوز الاسرائيليون بحاملة جنود مصرية تتقدم باتجاههم والتي دون أى قدر من التشكك جنحت الى احدى جانبي الطريق الضيق ليفسحوا لهم الطريق للمرور بما أعطى الفرصة للاسرائيليين أيضا بالقيام بحصدهم بنيران مدافعهم الآلية وهم يسرعون الى غايتهم . وحتى ذلك الوقت كان هناك غطاء جوى في هيئة الطائرات الاسرائيلية والذي استمر بصفة دائمة وكان لا يقل حجمه عن ٣٠ طائرة . وكان هناك دعم آخر من البحر ، فقد كانت الطائرات التابعة للبحرية تتحرك الى الجنوب على نفس الخط الموازى لتحركات الكوماندوز وتقوم بتسديد نيرانها الى الحراس حينما وجدوا وتدمير مراكز الحراسة والمنشآت في طريقهم ، وفي الميناء الصغير المسمى رأس دارج تمكنوا من اعطال تجهيزات ردارات أخرى .

وبعد الظهر اقترب الاسرائيليون من ميناء رأس الزعفرانة التي تبعد نحو ٥٦ ميلا جنوبى السويس حيث تمكنوا من تدمير مزيد من منشآت الرادار . وفي هذه المنطقة استولى الاسرائيليون على أربع مصفحات سوفيتية جديدة كانت احداها على الأقل من نوع تى - ٦٢ (١) وبعد عشر ساعات من « الابرار »







( لا يزال يحتفظ بهذا المنصب ) ، بالرغم من أنه يعتبر بوجه عام من بين من تنقصهم النقطة السياسية ، وقد سيطر على القوات المسلحة وكان قد اختير على أساس ولائه للرئيس عبد الناصر أكثر من اختياره على أساس المصنفات والقدرات الأخرى . وخلق في هذا المنصب الفريق رياض الحقي قنصل في العمليات وكان من نفس الطراز وإن كان ذا قدرة أفضل من الناحية التنظيمية . . غير أنهم جميعا كانوا يتبعون إلى المدرسة القديمة التي تعودت الأسلحة البسيطة . . . . . والآن قد قام عبد الناصر بتعيين أحد الضباط القوي يتمتع ليس فقط بسمعة القدرة على التنظيم وإنما كذلك ذا اتجاه هجومى وربما تمسك ذلك مع الأسلحة والتجهيزات السوفيتية المتطورة في مصر . وأما بالنسبة لقائد السلاح البحرى الجديد (الدير انديرال) عبد الرحمن القوي كان في سن الأربعين نموذجاً طيباً لسياسة تقليد الضباط الشباب مناصب القيادة . . . . . ذلك أن البحرية المصرية كانت بوجه خاص تسم بالركود .

ولقد بدأ الرئيس عبد الناصر يشعر بالأمان بدرجة أكثر بالنسبة للجهة السياسية ، ففي سبتمبر ١٩٦٩ قام بإبعاد على صبرى من الاتحاد الاشتراكي العربى . وكان القرار الاسمى ( لاستقالة ) صبرى هو أن بعض الاعضاء من التابعين له قد اشتركوا في مخالقات خاصة بالجدارك . أما صبرى نفسه فقد كانت له وجهات نظر يسارية بطريقة متطرفة وكان يقال انه يرأس فرقة من المصريين المواليين للسوفييت ، حيث كان يعود الضباط المصريون يومياً من تلقى دراستهم في التدريب في الاتحاد السوفيتى . وفي هذا الوقت تقريباً كانت هناك اشاعات كثيرة عن وجود مؤامرات موالية للسوفييت ضد عبد الناصر ، غير أنه لم تكن هناك دلائل ملموسة لتأييد مثل هذه الافتراضات . . . . . وكان عبد الناصر يقوم بمناورات التصدي منها السيطرة السياسية الكاملة وكان يجري النظر على أن صبرى هو زعيم يدبيل قائم ، الذى ربما أمكن له استمرار تأييد سوفييتى كبير - لذلك فلا بد أن يرحل . وكانت العداوة الشخصية بين صبرى وبين هيكى رئيس تحرير الاهرام وهو ناصرى بلاه عليه وكان أول ما وصل الشعب المصرى من أنباء هذه العداوة ما أعلنت عنه الاهرام من أن على صبرى قد جرى محاكمته وإبعاده من الاتحاد الاشتراكي العربى . وتم وضع على صبرى تحت الإقامة الجبرية وإحلال شعراوى جمعه محله فصار إلى جانب كونه وزيراً للداخلية مسؤولاً عن الاتحاد الاشتراكي العربى . وتمت تطهيرات أخرى في كثير من الصفوف - فعلى سبيل المثال جرى الاستغناء عن خمسمات ١٦٠ عضواً من أعضاء السلك القضائى ، وكذلك بعض كبار المحررين في جريدة الجمهورية التي تديرها الدولة .

وصار الرئيس عبد الناصر يشعر بالتقود تجاه البعثة العسكرية السوفيتية في مصر . فقد كان يريد لها أن تتحمل نسبة من الدوام ازاء خسائر المصريين وعدم التقدم في المعارك الجوية . وفي جبهة قناة السويس ، وإن تعترف بأن ذلك كان مرجعه في شطر منه إلى النقص السوفييتي في الامدادات المادية وفي الشطر الثانى الاستشارات التي تقدمها هذه البعثة . . .

غير أن البعثة العسكرية رفضت أن تقدم هذه الاعذار للقوات المسلحة وكانت السياسة السوفيتية أيضاً تستهدف الضغط عليه للبحث عن حل سياسى وليس بالأحرى البحث عن حل عسكري . وفي الثامن من سبتمبر قرر عبد الناصر فجأة إلغاء زيارة مقترحة للاتحاد السوفيتى متعللاً بإصابته « بالأنفلونزا » . وعلى الرغم من هذا الموقف ، فإن البعثة العسكرية السوفيتية كانت ذات سلطة وقدره ونفوذ كبيرين في أوساط القوات المسلحة المصرية وكان يساندها عبد الناصر وهيئة الأركان ضد الشكاوى التي كانت تصدر عن الضباط المصريين . . .

وما إن حل شهر سبتمبر ١٩٦٩ الا وكان هنالك نحو ١٠٠٠٠ روسي في مصر من بينهم ٤٠٠٠ مستشارين عسكريين ، و ٢٠٠٠ كانوا يشتركون في اكمال بناء سد أسوان ، بينما معظم الباقين كانوا مختصين بنواحي في المساعدة الفنية والاقتصادية والبرامج المتعلقة بذلك .

ومن ناحية أخرى ، فإن هؤلاء المستشارين العسكريين السوفيت لم يكونوا سعداء جداً بمحاولة القوات المسلحة المصرية وكان لديهم فكرة سيئة تماماً عن كوادرات الضباط المصريين ككل (١) وكانت وسائل الدعاية الماهرة وكشوف الانحازات المبالغ فيها حول الانشطة العسكرية المصرية قد بعثت ثانية ثقة الجمهور المصرى في قواته المسلحة التي بدأت روحها المعنوية في الارتفاع ، وبالأخص في شهر يونيو ويوليو حينما تسببت مدود نيران مدفيعتهم في احدثات كثير من الخسائر في خط بارليف الا أنه بعد اخفاق السلاح الجوى في معاركه في نهاية شهر يوليو بدأ يصيبهم القنوط مرة ثانية . وكان هناك نفور تزايد في القوات المسلحة تجاه الروس الذين اخذوا يحثون الضباط المصريين باستمرار أن يتحلوا بالصبر الى أن يصيروا أكثر خبرة . . . . . واشتكى الضباط المصريون على سبيل المثال من أن سيارات النقل السوفيتية ضعيفة الجر ولا تتناسب مع درجات الحرارة المتطرفة للصحراء ، وحينما طالبوا بقطع خاصة لتعديل هذه السيارات طاب منهم الانتظار حتى عام ١٩٧١ مما تسبب في أن يقوم المصريون بتركيب محركات بريطانية وأمريكية لها .

ولقد كان المستشارون السوفيت يمسكون في أيديهم بناصية القوة الحقيقية نظراً لسيطرتهم على قدر كبير من الأسلحة المتطورة والتجهيزات التي كانوا يقومون بتوريدها على الرغم من أن المصريين كانوا يقومون بتشغيلها . . . . . وكان هذا الوضع محل كراهية بالنسبة للضباط المصريين غير أنه يعتبر أمراً أساسياً بالنسبة للروس كما تسبب هذا الوضع في وجود احتكاكات من الطرفين . وكانت هناك واقعة خاصة لها وضع شائك ، وذلك حين أغار الإسرائيليون على الساحل فيما سمي بحرب العشر ساعات ( في التاسع من سبتمبر ) فحينما نزل الإسرائيليون إلى البر في منطقة الخفسائر قام الإسرائيليون بمهاجمة قاعدة صواربخ سام - ٢ هناك وطلب الضباط

(١) برافدا عدد ١٣ سبتمبر ١٩٦٩ .



المصريون أن يسمح لهم بأن يقوموا بتشغيل الصواريخ ضد الطائرات الإسرائيلية التي كانت تحلق في السماء ، وطلبوا صمامات الصواريخ التي كان يحتفظ بها المستشارون السوفيت إلا أن الروس رفضوا ذلك على أساس أن المصريين لم يتدربوا على ذلك ولا هم من جهة أخرى مستعدين للاستقبال مع مثل هذا العدد من الطائرات الإسرائيلية وأصر المصريون ، في حين ذهب أحد كبار الضباط السوفيت (١) أعلى الخندق لكي يرى بنفسه أوضاعه ولقي مصرعه (٢) وانحى الروس باللائمة على المصريين لتسببهم في مصرعه . ومرة أخرى ، ساند عبد الناصر المستشارين السوفيت ، وتم إعفاء قائد المنطقة المحلية المصري هو وأربعة من كبار الضباط البحرين المصريين من مناصبهم وتم التحقيق معهم .

وصدرت منشورات سرية في أوقات منتظمة من جانب إحدى المنظمات السرية التي أسست نفسها حركة مصر الحرة ، ونادى أحد هذه المنشورات بتعبئة الرأي العام لمنع محاكمة هؤلاء الضباط المصريين الخمسة الذين اعتبروا ( كبش فداء ) لمصرع الضابط الروسي . ولم يكن يعرف الكثير عن حركة مصر الحرة هذه أو التي قيل أنها تألفت من الطلبة والعمال وضباط الجيش ، والتي كانت تهدف إلى تحرير بلادهم من السيطرة السوفيتية . وشعر البعض أنها ربما كانت ( منظمة أممية ) أقامها بعض عملاء إسرائيل بينما ذهب البعض الآخر أنه ربما كانت لها علاقة مع الإخوان المسلمين التي كانت لازالت تحتفظ ببعض الجذور والتعاطف من جانب بعض قطاعات الشعب . ولقد كانت هناك بعض الفصائل من الجزائريين والكويتيين والقوات السودانية في منطقة القناة في الخطوط الامامية غير أن أعدادهم كانت رمزية .

وكان عبد الناصر يريد مزيدا من العون العملي من الدول العربية ليواصل حربه للاستنزاف ، ولذلك فإنه في يوم الخامس والعشرين من أغسطس ١٩٦٩ اجتمع وزراء خارجية ١٤ دولة أعضاء في الجامعة العربية (٣) في القاهرة لتخطيط جهد مركز مشترك ضد إسرائيل - غير أن ذلك لم يسفر

(١) الكولونيل كونوفالوف ، الذي اشتهر بكونه كبير الضباط السوفيت جنود ميناء السويس .

(٢) لقد قتل ستة من الضباط السوفيت في يوم واحد في الهجمات الجوية الإسرائيلية الكثيفة في يوم العشرين من يوليو ١٩٦٩ على مواقع الصواريخ والطغمة في جبهة القتال . وفي أول الأمر تم إنكار ذلك من جانب كل من المصريين والروس غير أن هذا الخبر قد تسرب بعد ذلك . وكان من المعتد أيضا أن بعض المستشارين السوفيت ( غير معروف تعدادهم ) قد لقوا مصرعهم في التاسع من مارس ١٩٦٩ في نفس السد من النيران التي تسبب في مقتل الفريق رياض .

(٣) وفي الحادي عشر من سبتمبر ١٩٦٩ قرر مجلس الجامعة العربية مد مدة خدمة السكرتير العام عبد الخالق حسونة بغير حدود زمنية ، وكان عبد الخالق حسونة قد احتفظ بحسبه في الجامعة كسكرتير عام منذ بدأ وجود هذا المنصب عام ١٩٥٢ .

إلا عن بضع خطب وكلمات . . وفي الأول من شهر سبتمبر ١٩٦٩ كان الملك ادريس ملك ليبيا في تركيا للعلاج الطبي وبينما هو هناك تمت الإحاطة بنظام حكمه من جانب انقلاب غير دموي دبره مجموعة من الضباط التي أعلنت ليبيا جمهورية اشتراكية . .

وكان العقيد القذافي رئيسا للجنة الثورية الجديدة في ليبيا ، يميل إلى أن تكون اتجاهاته ضد الغرب ولذلك تحالف مع عبد الناصر مما عمل على موازنة النفوذ السعودي الشديد الذي كانت به المملكة العربية السعودية على مصر لأسباب اقتصادية مجردة . . وحين قام أحد المسيحيين الاستراليين (١) في الواحد والعشرين من شهر أغسطس بأشعار النار في المسجد الأقصى في القدس فكر عبد الناصر في أن يستغل هذا الحادث في الإحياء بحرب مقدسة ضد إسرائيل ، ولكنه لم يستطع أن يثير أي حماس بين الدول العربية في هذا الصدد .

وفي هذه الأثناء ، وفي اليوم الأول من شهر يوليو عقب الجلسة الخامسة عشرة من المحدثات غير الناجحة بين ممثلي الأربعة الكبار (٢) في الاسم المتحدة في نيويورك لمحاولة إيجاد حل لمشكلة الشرق الأوسط فقد أعلن أن أية اجتماعات أخرى سوف لا تتم في فترة الصيف .

وفي الحقيقة ، إن هؤلاء الممثلين لم يجتمعوا مرة أخرى حتى الثاني من شهر ديسمبر .

وفي السابع من يوليو تحدث يوثانت في تقريره إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة عن ( حرب مفتوحة ) تتم بالفعل على طول قناة السويس وبمقتى مراقبي الأمم المتحدة على أنهم ( أهداف مكشوفة في صالة عرض لاطلاق النيران ) مهددا بسحبهم . . وكان مراقبوا الأمم المتحدة يتألفون من ضباط جيوش سبعة دول والذين كانوا يسيطرون على ٣٦ خندقا مدعما بالاسمنت المسلح وعلى هذه المواقع أعلام الأمم المتحدة وذلك لمدة تسعة أيام في كل مرة . ولقد وافق المتحاربون ألا يضعوا أسلحتهم على مدى يقل عن ٥٠ مترا من هذه المواقع ، غير أن هذه القاعدة كان يجري تجاهلها من كلا الجانبين . فعلى سبيل المثال في شهر يونيو قدم مراقبوا الأمم المتحدة أربعا وسبعين شكوى من هذا القبيل ضد مصر في حين قدموا خمس عشر شكوى ضد إسرائيل . . وكان عبد الناصر يريد أن يبقى المراقبون مثلما كان الحال بالنسبة لقوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة قبل حرب يونيو التي كانت في موقع على حدود مصر مع إسرائيل ، وكان وجودها قد أعطاه عذرا اضافيا ألا يتقدم إلى سيناء . في السابع والعشرين من يوليو لقي أحد مراقبي الأمم المتحدة السويديين مصرعه

(١) ميشيل روهين الذي قدم بعد ذلك إلى المحاكمة ، وفي ديسمبر ١٩٦٩ أدخل إحدى

المستشفيات العقلية لمدة غير محدودة .

(٢) في بعض الأحيان كان يشار إليهم بالاثنتين الكبار بما يعنى أمريكا والاتحاد

للسوفي .



بطلقة اسرائيلية قرب بور توفيق على الجانب المصرى وأمر الجنرال أود بول الغاء موقعين من مواقع الامم المتحدة على كل من جانبي القناة نظرا للمخاطر المحدقة بها ..

وفيما عدا الانشطة الجوية ، كانت تجرى عمليات الكوماندوز عبر القناة من كلا الجانبين وبالاخص من جانب المصريين ، واستمرت معركة الدعاية مستمرة . وفى الثامن والعشرين من سبتمبر أعلن المصريون أنهم قد قاموا بعملية اغارة ناجحة لقوات محمولة جوا على المواقع الاسرائيلية قرب ( مصفق ) التى تبعد نحو ٥ ميلا شرقى القنطرة ، وأعلنوا أنهم قد باغتوا الاسرائيليين وقتلوا وجرحوا الكثيرين ودمروا بعض المركبات وانهضت . . وكان التعليق الاسرائيلى اللازم على هذه العملية أن مثل هذه الغارة لم تحدث على الاطلاق ، وكل ما هنالك أن إحدى الطائرات المصرية أثقت بحمولتها من القنابل فى الرمال دون احداث أية خسائر .

وكما هو الحال دائما ، فإن الحقيقة كانت تكمن فى مكان ما بين الروايتين وفى الثالث من أكتوبر أوردت الاهرام أن المعركة مع اسرائيل قد دخلت مرحلة جديدة بهجومين حديثين من جانب « قوات كوماندوز متخصصة » على مواقع العدو . . وفى نفس اليوم ، وبعد سدود كثيفة من النيران عبرت وحدة كوماندوز مكونة من ٨٠ رجلا فى قوارب من المطاط قناة السويس وقصفت المواقع الاسرائيلية المواجهة لمنطقة الدفرسوار فى منطقة البحيرات المرة الكبرى ، غير أن الاسرائيليين أعلنوا أنهم قد صدوا هذا الهجوم مسببين خسائر جسيمة لأفرادهم . ومرة أخرى فى الرابع من الشهر حينما عبر رجال الكوماندوز المصريين الممر المائى لمهاجمة المواقع الاسرائيلية فى منطقة الدفرسوار ، أعلن كل من الجانبين أنه قد أحدث اصابات فى الطرف الآخر . وفى الرابع عشر من الشهر أعلن المصريون أنهم هاجموا المواقع الاسرائيلية على الشاطئ الشرقى لقناة السويس غير أن هذه الادعاءات قامت الدعاية الاسرائيلية اما بتجاهلها تماما أو قللت من شأنها .

واستمر الاسرائيليون فى تنفيذ عمليات الكوماندوز ، غير أنه بخلاف غاراتهم الاختراقية فانهم لم يولوا العمليات الاخرى أى قدر من الدعاية ، وفى بعض المناسبات كان يجرى انظن بأنهم يرتدون الملابس العسكرية المصرية . . وفى الثامن والعشرين من أكتوبر تم الاعلان عن أن الاسرائيليين قد نفذوا ثلاث غارات كوماندوز داخل مصر خلال الاسبوع الماضى اثنتين منها فى خليج السويس ، والاخرى تبعد ١٠٠ ميل جنوب غربى شرم الشيخ وأن ستة من الجنود المصريين قد أصيبوا بجراح فى أثناء تلك الغارات . ولم تذكر أية تفصيلات أخرى كما لم يعلق المصريون بشيء .

وفى الخامس من نوفمبر عبرت مجموعة من الكوماندوز المصريين قناة السويس وأوقعت دورية اسرائيلية فى كمين بعد ستة أميال شمالى بور توفيق ، بالقرب من الشط ، وتسببت فى مقتل أحد الضباط وستة جنود

اسرائيليين وقامت بأسر جندي مات بعد ذلك متأثرا بجراحه . وكانت تلك أولى غارات المصريين فى وضع النهار ، فقد صاروا أكثر جسارة وفى اليوم التالى عبر الكوماندوز المصريون فى المساء مرة أخرى شمالى منطقة الشط بقليل الا أنهم خسروا أحد أفرادهم الذى لقي مصرعه بالاضافة الى آخر أصيب بجراح ، وفى نفس هذه الليلة كانت هناك وحدة أخرى من رجال الكوماندوز المصريين قد عبرت الممر المائى وأوقعت فى كمين نصبته دورية اسرائيلية فى قطاع الكف وتسببت فى جرح خمسة من الاسرائيليين . وهذه السلسلة من الغارات استفزت موسى ديان ليصرح بقوله فى اليوم الثامن بأنه يرتب ردا عسكريا لهذه الغارات . . ونهض الأسطول المصرى أيضا ودخل العمليات فى مساء يوم الثامن من نوفمبر حينما أقربت مدمرتان يصاحبهما قوارب صواريخ من ساحل سيناء على بعد نحو ١٥ ميلا شرقى بور سعيد وأطلقتا النار على المواقع الاسرائيلية فى منطقة الرومانى ، وحين ظهرت الطائرات الاسرائيلية أسرعتا فى ابحارها راجعتين وأعلن المصريون أنهم قد أحدثوا اصابات وأنهم تركوا النار مشتعلة فى مستودعات الوقود والذخيرة ، فى حين قال الاسرائيليون أن القصف الذى استمر ٣٥ دقيقة لم يحدث أى خسائر . وفى اليوم الثالث عشر من الشهر شجب موسى ديان (١) التقارير الصحفية التى تقول بأن هذا القصف يتم عن تكتيك بحرى مصرى أفضل ، وأوضح أن السفن المصرية ما كان لها أن تغامر بأن تتجه نحو الشرق لكى تقصف الاجزاء المسكونة من الشاطئ الاسرائيلى لأن ذلك يعنى أنها تسير فى البحر لمدة من خمس الى ست ساعات مما يعرضها فى وضع النهار لهجمات الطائرات الاسرائيلية . . وعلق بأن اسرائيل قد كسبت بوضوح الجولة الاخيرة ضد مصر ، غير أنه أضاف متشائما بأن الجولة القادمة سوف تكون فى الربيع القادم ، وأضاف متفائلا أنه ليس من الضرورى أن تكون جولة حرب شاملة ، ونشط رجال الكوماندوز البحرين المصريين أيضا ، وفى السادس عشر من نوفمبر تم تفجير خمس تفجيرات تحت المياه لسفينتين اسرائيليتين فى ميناء ايلات ، واقتضى الأمر أن إحدى السفينتين كان ينبغى ارساؤها لانقاذها من الفرق . وأعلن المصريون أن ذلك كان من صنع رجال الضفادع البشرية المصريين الذين جرى حملهم الى هناك بواسطة الهيليكوبتر على الرغم من أن أقرب الاحتمالات هو أن يكونوا قد قاموا بعملياتهم من ميناء العقبة الأردنى المجاور .

واستمرت غارات الكوماندوز . . وفى اليوم الثلاثين من نوفمبر أعلن المصريون أن ١٣٠ من رجال الكوماندوز قاموا بالعبور بالقرب من منطقة الشط

(١) ولقد قرر موسى ديان كذلك أنه منذ اول ابريل ١٩٦٩ قامت مصر باجراء خمسة عشر انزالا كوماندوز بخلاف القصف البحرى وأن هذه الهجمات ( هى والهجمات الجوية ) وقد كلفت الاسرائيليين ٤٩ اصابة وكلفت المصريين ٣٠ اصابة .

وقال كذلك أن من بين ٦٥ طلعة اسرائيلية جوية وعدد لم يكشف النقاب عنه من نزول الكوماندوز الى البر ، فإن المصريين تعرضوا لنحو ١٠٠٠ اصابة بينما تعرض الاسرائيليون لعشرين اصابة فقط هذا بالرغم من أن الرقم الأخير قد عدل ليكون ٧٠ اصابة . .



واحتلوا المواقع الاسرائيلية ، وظلوا في هذه المواقع لمدة ساعتين وذلك لأن سدود النيران المصرية حجت التعزيزات الاسرائيلية على مسافة من هذه المواقع ، وأن الطائرات الاسرائيلية بعد ذلك قصفت مواقعها نفسها بالقنابل ظنا منهم أن المصريين لازالوا فيها . وقال الاسرائيليون انهم قد صدوا المصريين بوساطة النيران الارضية والدعم الجوي ، وأن خمسة من المصريين قد قتلوا في حين أنه لم يصيبهم أية اصابات ولا أية خسائر . واستمرت الادعاءات ، والادعاءات المضادة . وفي التاسع من شهر ديسمبر أعلن المصريون انهم قد أسقطوا أول طائرة فانتوم غير أن هذا الاعلان قد أنكره الاسرائيليون . وفي الرابع عشر من ديسمبر تباهى الرئيس عبد الناصر باستعداد المصريين للحرب قائلا ان لديه نصف مليون رجل تحت السلاح وأنه قد أمر بالقيام بسلسلة نهائية من غارات الكوماندوز عبر قناة السويس . وتم القيام بهذه الغارات لكن ما تم منها في وضوح النهار لم يكن كثيرا وفي الخامس عشر من الشهر أعلن المصريون انهم قد قتلوا ضابطا اسرائيليا بالاضافة الى خمسة آخرين كانوا في مركبة وذلك بوساطة كمين في الضفة الشرقية للقناة . وفي السابع عشر من ديسمبر هاجمت إحدى الطائرات الاسرائيلية المنطقة الواقعة في الطرف الجنوبي للقناة لمدة ثلاث ساعات وذلك بعد أن قتلت المدفعية اثنين من الجنود الاسرائيليين وأحد المدنيين في الليلة السابقة .

وفي اليوم الثامن عشر قال المصريون أن رجالهم من الكوماندوز قد هاجموا المواقع الاسرائيلية ، وقتلوا ثلاثة جنود ودمروا دبابة وعدة مركبات غير أن الاسرائيليين أعلنوا أن المصريين قد تم اعتراضهم ودفعهم الى الخلف قبل أن يتمكنوا من بلوغ المواقع الاسرائيلية . وفي التاسع من اشهر أعلن الاسرائيليون أن إحدى مجموعاتهم من الكوماندوز قد اخترقت الخطوط المصرية من خلال منطقة السلاح وفجرت بعض الصواريخ في المعسكرات العسكرية في المنطقة « السلكية » وهي تقع نحو الغرب ، وأن كائة رجال المجموعة قد عادوا سالمين . واستخدم المصريون نفس أسلوب الاسرائيليين بأن أنكروا انكارا تاما وقوع مثل هذه الغارة ، وهكذا استمر الحال .

وحوالى نهاية عام ١٩٦٩ كانت الروح المعنوية لكل من المصريين وقواتهم المسلحة قد مالت نحو الضعف والانخفاض فمعظم مواقع صواريخ سام - ٢ على منطقة القناة قد جرى تدميرها وكذلك الحال بالنسبة لكثير من مواقع الرادار في نفس الوقت الذي فقد المصريون فيه كثيرا من الطائرات الجديدة . وصارت الاصابات التي تحدث للمصريين تتصاعد مما أوجد نوعا من الاحباط ازاء عدم انسحاب باجراء هجوم على اسرائيل كما كانت هناك مشكلة داخلية تتعلق باللاجئين الذين باغ عددهم نحو نصف مليون مهاجر نازحين من منطقة القناة ومن ثم كيفية مواجهة تلك المشكلة واستغرق الجيش المصري في الدفاع سواء كان ذلك من الناحية المادية أو من الناحية النفسية . وعلى الرغم من الوضع المعتاد فإن الرئيس عبد الناصر ألقى خطابا ساخنا في السادس من نوفمبر أعلن فيه أن الحرب مع اسرائيل هي السبيل الوحيد أمام العرب

الذين ليس أمامهم من بديل سوى شن معركة المصير ضد اسرائيل . وأن هذه المعركة ينبغي خوضها . . عبر بحر من الدماء وآفاق من النيران . غير أن هذا الخطاب لم يجعله محبوبا لدى الحكومة السوفيتية التي كانت لاتزال مهمته لايجاد حل سياسى . على أن جهود عبد الناصر للسيطرة وتوحيد العرب تحت زعامته ضد اسرائيل قد أصابها الفشل مرة أخرى وتجلي ذلك من مؤتمر قمة الرباط الذي بدأ في التاسع من ديسمبر وانتهى فجائيا في السادس والعشرين منه دون اصدار أى بيان مشترك ، وانسحب الرئيس عبد الناصر من جلسته الختامية .

وقبل ذلك وفي الثامن عشر من نوفمبر كان وزير الدفاع محمد فوزى قد أعلن في خطاب له في مجلس الأمة مفتخرا بأن الجنود المصريين قد صار لديهم كفاءة عالية في القتال مرجعها التطوير الذى حدث في التدريب والتسليح . وأنهم قد تمكنوا من قتل ١٥٠ اسرائيليا شهريا ( وكان ذلك غير صحيح ) . وقال : وأن كان القول مشكوك في صحته وربما استهدف طمأننة الأمة ان الاتحاد السوفيتي يمد مصر بالتجهيزات التى لم تكن متوفرة لديها من قبل . غير أن خلف هذه المواجهة التي تتسم بالشجاعة كانت هناك عوامل القلق وعدم الارتياح تسود في كل مكان . ففي التاسع من شهر ديسمبر طار أنور السادات (١) الممثل الشخصى لعبد الناصر ومعه وزير الخارجية محمود رياض ووزير الدفاع محمد فوزى الى موسكو لمحاولة اقناع الحكومة السوفيتية بأن كل المحاولات لايجاد حل سياسى في منطقة الشرق الاوسط لا طائل من ورائها ، ولكي يطلبوا التأييد نحو موقف مصرى أكثر عسكرية . واستمرت هذه المحادثات ثلاثة أيام وأحرز فيها المصريون نجاحا متواضعا . وطالب فوزى بطائرات الميج الجديدة من طراز ميج - ٢١ جى والتي تعتبر مناظرا لطائرات الفانتوم التي حصلت عليها اسرائيل ، ووعد السوفيت بوضع هذا الطلب تحت الاعتبار .

فاذا ما اتجهنا الآن نحو اسرائيل ، ففي أثناء صيف عام ١٩٦٩ نجد أن الروح المعنوية أيضا قد مالت نحو الانخفاض نظرا لاستمرار تزايد الاصابات بين أفرادهم (٢) وحديث عبد الناصر الذى لا ينقطع عن حربه للاستنزاف وعن « معركة المصير » القادمة مع اسرائيل . وعلى الرغم مما كان يبدو ظاهريا على مجلس الوزراء الاسرائيلى من الثقة فقد كان شديد القلق نحو الحصول على طائرات حديثة أكبر تطورا وعلى الخصوص كمزيلا من طائرات الفانتوم وسكاى هوك . وعلى ذلك ، ففي شهر سبتمبر ذهبت جولدا مائير رئيسة الوزراء ومعها البيريجادير هود قائد السلاح الجوى الاسرائيلى الى أمريكا

(١) في العشرين من ديسمبر ٦٩ أعاد عبد الناصر انشاء منصب نائب رئيس الجمهورية وعين فيه السادات .

(٢) في الخامس والعشرين من سبتمبر ٦٩ أعلن موسى ديان أن اسرائيل قد خسرت ٤٥٠ ١٧٠٠ جريحا على كافة الجبهات منذ حرب يونيو .



لطلب ٢٥ طائرة فانتوم اضافية على الاقل وكذلك ٨٠ طائرة سكاي هوك من الرئيس نيكسون وفي الخامس والعشرين من سبتمبر وحين مغادرتها واشنطن قالت مائير : « اننى غادر الان بقلب اكثر انشراحا مما كان وقت حضوري هنا » .

وحين تولى ريتشارد نيكسون رئاسة الولايات المتحدة فى يناير ١٩٦٩ راود الروس الأمل أنه سوف يعدل من السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط وسوف يكون أقل ميلا نحو تقديم الدعم الاسرائيلى صورة تلقائية ، وخصوصا لأنه ليست له أية التزامات تجاه أصوات الناكبين من اليهود .

ولكن على عكس هذه التوقعات فإن نيكسون استمر لعدة شهور ينحو نحو سياسة الرئيس جونسون . ثم بعد زيارة رئيسة الوزراء مائير الى نيكسون فى شهر سبتمبر ، تولدت مشاعر أكثر حرارة تجاهه اسرائيل على شكل لم يكن متوقعا . وكان ظن الرئيس نيكسون أن عبد الناصر هو الزعيم العربى الوحيد القوى الذى له القدرة الكافية على التفاوض على تسوية سلمية فى مشكلة الشرق الأوسط ، غير أن طلب عبد الناصر الذى لايشئى نحو حل عسكري كان يبدو عائقا فى هذا الاتجاه ، وطبقا لذلك فإن نيكسون رأى العمل على أن يكون أكثر عطاء بالسلح لاسرائيل عما كان عليه فيما سبق . وكان مما أزعج الحكومة السوفيتية هو ما صرحت به أمريكا لرعاياها للانخراط فى صفوف القوات المسلحة الاسرائيلية اذ كانت الحكومة السوفيتية تشعر أنه ربما كان ذلك ثغرة يمكن عن طريقها تزويد اسرائيل بالطيارين الأمريكيين لطائرات الفانتوم التى تم ارسالها لاسرائيل .

وعلى الرغم من أن الانتخابات الاسرائيلية قد جرت فى الثامن والعشرين من اكتوبر ١٩٦٩ ، فإن رئيسة الوزراء مائير لم تتمكن حتى الخامس عشر من شهر ديسمبر من تأليف حكومتها الائتلافية ، ذلك أن حزب العمل الذى تنتمى اليه لم يكن قد حاز أغلبية كبيرة . وكان الائتلاف مكونا من خمسة أحزاب سياسية تمثل نحو ٩٠ ٪ من جملة أصوات الناكبين ، وبقي ايجال ألون نائبا لرئيس الوزراء ، وبعد بعض التردد وافق موسى ديان على أن ينضم الى الوزارة واستمر فى منصبه كوزير للدفاع والذى كان يعنى باختصار أن سياسة اسرائيل قد بقيت كما كانت مع تزايد طفيف ناحية كونها تتخذ موقف « الصقور » . وتصلب الموقف، وقرر ديان أن الوقت يعمل لصالح الاسرائيليين الذين سوف لا يفكرون بعد اليوم فى الانسحاب من الاراضى المحتلة دون الحصول على تسوية سلمية دائمة . ثم أعلن بعد ذلك فى السادس من يناير ١٩٧٠ أنه فى ظرف ثمانية شهور من ابريل وحتى نوفمبر ١٩٦٩ خسر الاسرائيليون ١١٣ قتيلًا و ٣٣٠ جريحًا فى جبهة القناة فى حين أن المصريين لابد أن يكونوا قد خسروا أكثر من ١٠٠٠ اصابة .

وفى اكتوبر ١٩٦٩ كان ديان قد قال ان الموقف العسكرى الاسرائيلى قد تحسن أثناء الثلاثة أشهر السابقة على طول جبهة القناة على الرغم من التعزيزات المصرية ، وان كان من الضرورى رفع سن الاحتياط من ٤٩ الى

٥٥ سنة نظرا للزيادة المضطردة فى البلاد على متطلبات الدفاع المدنى . وفى شهر ديسمبر كانت ميزانية الدفاع قد بلغت ٣٥٠ مليون جنيه استرلينى بزيادة قدرها ١٤٠ ٪ عما كانت عليه قبيل انتهاء حرب يونيو مما أوضح أن الاشتباكات كانت تسبب عبئا ثقيلا على الاقتصاد الاسرائيلى .

ومرة أخرى ومنذ أول يوليو عقد ممثلو الاربعة الكبار فى الثانى من ديسمبر فى نيويورك اجتماعهم الاول وأعلنوا استعدادهم لانجاز تسوية تقوم على تنفيذ قرار الامم المتحدة الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ ، غير أن رئيسة الوزراء الاسرائيلى مائير فى خطابها الافتتاحى الى الكنيست رفضت مقترحاتهم رفضا قاطعا . وفى التاسع من ديسمبر أعلن وليام روجرز وزير الخارجية الأمريكى ولأول مرة مقترحات كان قد قدمها بطريقة خاصة للحكومة السوفيتية فى الثامن والعشرين من اكتوبر ، وكانت مبنية على أساس الانسحاب الاسرائيلى من الاراضى المحتلة فى مقابل تأكيدات عربية بالتزامات نحو السلام . وعرف هذا فيما بعد بمبادرة روجرز للسلام . وفى الثمانى والعشرين من ديسمبر رفضت المبادرة رفضا قاطعا من جانب اسرائيل وكذلك تم رفضها فى الثالث والعشرين من ديسمبر من جانب الاتحاد السوفيتى وعلى هذا النحو لم تلق المبادرة أى تأييد على الاطلاق من العواصم العربية .

وحدثت واقعة لها أهمية خاصة فى السادس من ديسمبر ١٩٦٩ حين تم تبادل أسرى الحرب عبر قناة السويس فى القنطرة قام بتنظيمه الصليب الأحمر الدولى لطيارين اثنين من اسرائيل مقابل ٥٨ من المصريين . وقد تألف هؤلاء المصريين من طيار واحد وخمسة جنود ، و ٥٢ من المدنيين ، والعدد الاخير تضمن رجال صيد كانوا قد ضلوا طريقهم قريبا جدا من المواقع الاسرائيلية ، هؤلاء تم القبض عليهم فى غارات الكوماندوز وأولئك تم القبض عليهم وهم يحاولون التسرب من خلال دفاعات اسرائيل فى القناة على طول خطوط التهريب التقليدية وربما كانوا أو لم يكونوا من الفدائيين .

وانتهى العام بثمرة رابحة للاسرائيليين الذين قاموا فى السابع والعشرون من ديسمبر بغارة على القاعدة البحرية فى البحر الاحمر فى منطقة رأس غارب التى تبعد نحو ١١٥ ميلا جنوبى السويس . وفى حين كانت هناك غارات جوية لتحويل الانتباه استغرقت ثلاث ساعات على المواقع المصرية فى القناة ، قام رجال الكوماندوز البحريون الاسرائيليون بعبور الخليج الواسع الذى يبلغ نحو ١٨ ميلا ونزلوا الى البر فى مسافة تبعد بعض الشيء عن الميناء والتفوا فى الصحراء وتقدموا نحو رأس غارب من جهة الغرب واحتلوها بنجاح . وعلى الفور قامت طائرات الهيليكوبتر الاسرائيلية بالدخول الى المنطقة وأخذت معها جهاز الرادار المضاد للطائرات المتحرك سوفيتى الصنع من طراز بى - ١٢ الذى يمكن استخدامه بطريقة مشتركة مع صواريخ سام . وكان وزن هذا الجهاز نحو سبعة أطنان وله مدى يبلغ ٢٠٠ ميلا وكان قد تم تركيبه لتوه فى ذلك المكان وذلك ليسد فجوة فى جهاز الانذار المبكر المصرى الذى يغطى



منطقة البحر الاحمر والمنطقة الجنوبية الشرقية وعلى ذلك فان ازالته تركت مينائى الفردقة وسفاجا مكشوفين . وكانت هذه اول مرة ترى اعمى غير الامين الروسية هذا النوع من الرادار والذى كان يعتبر واحدا من أحدث الاجهزة السوفيتية فى الخدمة والتي لم يكن معلوما عنها أية معلومات . ولم تقم اسرائيل باذاعة أى انباء عن ذلك حتى اليوم الاول من يناير ١٩٧٠ ولم التاريخ الذى قبل حلوله أمكن للاسرائيليين إعادة الجهاز الى مكانه على الرغم من أنهم لم يكونوا يعلمون تماما ما سوف يكون عليه رد الفعل السوفيتى . واستولت هذه العملية على خيال العالم لجراتها وروح المبادرة الكافية فيها . واعترف المصريون أنهم قد خسروا اثنين من القتل وأربعة أسرى .

وانتهى عام ١٩٦٩ بالنسبة للاسرائيليين بحادثة أخرى صارخة الهبت خيال الناس وعملت على رفع الروح المعنوية عند الاسرائيليين . فقد كان الاسرائيليون قد طلبوا ١٢ من الزوارق المدفعية زنة ٢٥٠ طن من فرنسا والتي تم بناؤها فى ميناء تشيربورج . وكان قد تم تسليم سبعة منها قبل أن يفرض الرئيس ديغول الحظر على توريد السلاح الى اسرائيل . أما الخمسة الباقية فقد دشنت فى التاسع عشر من ديسمبر غير أن السلطات الفرنسية استولت عليها كلها . وفى الخامس والعشرين من ديسمبر كانت كل الزوارق الخمسة قد تم السيطرة عليها من جانب بحارة اسرائيليين رمزيين ، وهربوا بها تجاه البحر الواسع ووصلوا الى ميناء حيفا فى آخر يوم من أيام السنة وسط هتافات الاسرائيليين الذين ملاؤا الميناء وشواطئ البحر بالترحيب لاستقبالهم (١) .

وهذه الزوارق المدفعية الاثنى عشر المعروفة لدى الاسرائيليين باسم « سار كلاس » جرى عرضها بعد ذلك على الجماهير ( وذلك فى اليوم الرابع من مايو ١٩٧٠ ) . وكان كل منها يحمل ثمانية صواريخ من طراز « جابريال » التي كانت حينذاك أصغر من ستايكس السوفيتية الصنع ، والتي تحمل رؤسا متفجرة تبلغ زنتها ٣٣٨ رطلا وتبلغ مداها ٢٠ ميلا . وكل صاروخ يحتوى ذاتيا على جهاز توجيه يشمل كل من الاشعة تحت الحمراء ( التي تنجذب الى الحرارة ) مع فن التوجيه الرادارى .

(١) تم إيقاف اثنين من الجنرالات الفرنسيين ، واتخذت اجراءات تأديبية ضد آخرين اشبه فى نواظهم - او فى اعمالهم .

## ٧ - الطبيعة الالكترونية للحرب

سيكون هذا الصيف صيف الالكترونيات

نهارا والاشعة تحت الحمراء نيل .

الرئيس عبد الناصر

نأتى الان الى « الطبيعة الالكترونية » للحرب ففي الوقت الذى استمر فيه قصف المدافع بنفس كثافته على الأرض ، وكان فيه رجال الكوماندوز يشنون غاراتهم عبر قناة السويس ، بدأ فى الجو اصراع متطور بين الطائرات والصواريخ للمرة الاولى فى التاريخ ، حيث بدأت القوات الاعظم - الاتحاد السوفيتى وأمريكا - تتقاتلان باستخدام الدول التابعة لهما ، وهى الدول التي هيأت لها فرصة اختبار آخر ما لديهم من تطورات الكترونية واسلحة مضادة فى ميدان القتال . وقد تم تزويد طائرات الفانتوم بمجموعة من الاجهزة المضادة الالكترونية التي تمكن الطيار من تلقى انذار عند تعرض طائراته لهجوم من أحد الصواريخ . ولم يمر وقت طويل حتى كان الطيارون قد اعتادوا التغيير فى « التردد الصوتى » عند تتبع الاشارات التي تدل على أن صاروخا يتعقب طائرتهم ، مما يتيح لهم الوقت الكافى للمناورة والهرب .

وكما فعل الطيارون الامريكيون فى فيتنام ، فان الاسرائيليين أطلقوا على هذه الظاهرة اسم « أغنية سام » وبعد هذا ، زودت أمريكا اسرائيل بأجهزة جديدة مضادة للصواريخ لم تكن تستطيع فقط كشف وجود الصواريخ ، بل كانت قادرة أيضا على تحويل اتجاه الصواريخ المتجهة الى الطائرات . وأضيفت الاجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ أيضا الى طائرات سكاي هوك التي اشتهر عنها أنها أفضل قاذفة تكتيكية فى العالم ، وهى أصغر حجما من الفانتون وأقل سرعة ( سرعتها القصوى ٦٧٥ ميلا فى الساعة ) الا أنها تتميز بقدرتها الكبيرة على المناورة .

وبعد أن تحقق للطائرات الاسرائيلية هذا التفوق المتميز على صواريخ سام - ٢ ، أصبحت قادرة على اختراق حدود مصر الى أعماق أكبر . وخلال الشهور الثلاثة الاولى من ١٩٧٠ ، لم تكتف اسرائيل بتدمير الجانب الأكبر من نظام الانذار المبكر المصرى على طول جبهة القناة ، بل ضربت أيضا مواقع الرادار المصرية فى المؤخرة ، مما أدى الى تدمير ثلاثة أرباع نظم الرادار التي تحمي البلاد على الأقل . وأعطى هذا الطيارين الاسرائيليين حرية حركة شبه كاملة فى المجال الجوى المصرى . وبالرغم من نقاط الضعف المصرية ، فان الطيارين المصريين واصلوا مهاجمة خط بارليف . ولكن افتقارهم الى نظام جيد للتحكم الأرضى جعل هجماتهم غير فعالة الى حد بعيد فى مواجهة الطائرات



الاسرائيلية التي بدأت تتسلل الى أعماق ابعد داخل مصر لتشن غاراتها انتقاما لقصف المدفعية المصرية لخط بارليف .

وعندما رفض الاتحاد السوفيتي مبادرة روجرز للسلام يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٩ ، أصبح واضحا للاسرائيليين أن المصريين لن يتفاوضوا من موقف الضعف . وجعلهم هذا يبدأون في الأيام الأولى من العام الجديد مرحلة قصف استراتيجي استخدموا خلالها القانتوم في قصف أهداف في وادي النيل والدلتا غرب قناة السويس . وقد صرح موسى ديان آنذاك بأن الغرض من هذا كان إعاقة الاستعدادات المصرية لشن هجوم جديد ، وتخفيف الضغط من خط بارليف ، وإقناع المصريين بعدم قدرتهم على توفير الحماية لهم . وقد قال متفخرا : « مصر كلها ميدان قتال لنا » وأضاف « لن تكون هناك حدود للهجوم على الأهداف العسكرية داخل الجمهورية العربية المتحدة الى أن تحترم القاهرة وقف إطلاق النار » . وبعد هذا ، قالت جولدا مائير رئيسة الوزراء « اننا لا نقصف العمق حتى نجبره - أي عبد الناصر - على اقرار السلام . بل نحن نذهب الى العمق لكي نجعله يعرف جيدا هو وشعب مصر أنه اما أن يسود الهدوء الجانبيين واما يكون قصف على كلا الجانبين » . وقال عبد الناصر في خطابه أمام كبار الضباط السودانيين يوم أول يناير ١٩٧٠ ، أنه يعمل على بناء جيش قوامه مليون رجل لسكبج جماح اسرائيل ، وأن استراتيجيته تقوم على « تحقيق التفوق الجوي » . وفي نفس اليوم ، وافق الرئيس الليبي العقيد القذافي على مضاعفة مساعدته لمصر من ٣٠ مليون جنيه استرليني الى ٦٠ مليون جنيه استرليني مقابل حصول بلاده على مساعدة خبراء الصناعة والبتروال المصريين . وفي ٣ يناير ، قال عبد الناصر - في حديث لمجلة « أفريكا سبيا » أنه رغم امتلاك القوات الجوية المصرية لعدد كبير من الطائرات فإنها تفتقر الى الطيارين المدربين . وادعى أنه خلال خمس سنوات ( أي ١٩٧٥ ) سيكون لدى مصر كفايتها من الطيارين وأنها ستكون قادرة على « تحطيم تفوق الاسرائيليين » . وفي الرابع من يناير ، وقع اشتباك جوي فوق الجزر الشمالي من القناة ادعى الاسرائيليون أنه أسفر عن اسقاط طائرتين وادعى المصريون أنهم أسقطوا خلاله طائرة اسرائيلية قرب القنطرة . وبدأت يوم ٧ يناير الغارات الاستراتيجية الاولى على المنشآت العسكرية في العمق المصرية . واستهدفت إحدى هذه الغارات انشاص التي تبعد ٢٥ ميلا الى الجنوب الشرقي من القاهرة ، ووقعت الثانية على دهبور بوادي النيل على بعد ٣٢ ميلا جنوب القاهرة . وكانت الثالثة على التل الكبير التي تبعد ٥٠ ميلا شرق القاهرة على الطريق الى الاسماعيلية . ورد المصريون بغارة على رأس سدر على خليج السويس ، وادعوا أنهم دمروا خلالها قاعدة لصواريخ هوك . ولكن الاسرائيليين نفوا هذا ، وادعوا بدورهم أنهم أسقطوا طائرتين مصريتين من طراز ( سوخوي - ٧ ) حاولتا قصف المنشآت الاسرائيلية . وفي ١٣ يناير وقعت غارة جوية اسرائيلية في العمق استهدفت مستودع الامداد والتموين في الخانكة على بعد ١٥ ميلا الى الشمال الشرقي من القاهرة . وكانت هذه أقرب عمليات القصف الى العاصمة منذ حرب يونيو .

وقام الاسرائيليون يوم ١٦ يناير بغارات قصف استراتيجية أخرى تركزت أساسا في منطقة التل الكبير .

وفقدوا خلالها طائرة واحدة أسقطتها نيران الاسلحة المضادة للطائرات واعترف الاسرائيليون بخسارتهم هذه الطائرة قائلين انها الطائرة السادسة عشرة التي أسقطت لهم منذ حرب يونيو على جميع الجبهات وادعوا أنهم في المقابل أسقطوا أربعة وستين طائرة مصرية . وأصاب الاسرائيليون أيضا موقعا مصرية قرب بير عديب على بعد ٣٠ ميلا جنوبى السويس . وفي الثامن عشر من يناير ، هاجم الاسرائيليون المواقع المصرية على طول القناة ، كما أغاروا على معسكر حربي في الهايكستب على بعد نحو عشرة أميال من مطار القاهرة الدولي ، وكذلك مستودعات للذخيرة في وادي خوف التي تبعد حوالى اثني عشر ميلا الى الجنوب الشرقي من القاهرة . لقد كانت القنابل تزحف مقتربة من العاصمة .

وفي ٢٢ يناير ، هاجم المظليون الاسرائيليون المحمولون جوا جزيرة شدوان عند مدخل خليج السويس . ورغم أن الموقف بدا ميثوسا منه ، فإن أفراد الحامية المصرية - الصغيرة بروحهم المعنوية العالية - رفضوا الاستسلام . واضطرت القوات المهاجمة الى استخدام القوة للتغلب عليهم . وفي نفس الوقت ، أغرقت الطائرات الاسرائيلية زورقين من زوارق الطوربيد على بعد حوالى عشرة أميال جنوبى شدوان .

وادعى الاسرائيليون أنهم قتلوا سبعين مصرية منهم أربعين في الزورقين وأنهم أخذوا ٦٢ أسيرا ، أنما كانت خسائرهم ثلاثة قتلى وستة جرحى . ويبدو أن الاسرائيليين كانوا ينوون الاستمرار في احتلال الجزيرة لمعرفة أنه سيصعب على المصريين طردهم . وذكر جون بولوتسن في عدد أول فبراير ١٩٧٠ من صحيفة صنداي تلغراف أنه عندما وصلت الى عبد الناصر أنباء عملية الانزال الاسرائيلية فإنه قال للسفير السوفيتي في مصر أنه لم يعد أمامه غير شن هجوم كبير لاستعادة الجزيرة ، إلا أن السفير السوفيتي نصحه في الحال بعدم اللجوء الى هذا ، لأن ذلك من شأنه أن يدفع بالأزمة الى منطقة الضوء . واستخدم « الخط الساخن » بين واشنطن وموسكو في تلك الحادثة وضغط الامريكيون على اسرائيل لتسحب الامر الذي فعلته في ستة وثلاثين ساعة من احتلال الجزيرة . لكن الاسرائيليين أخذوا معهم الاسرى المصريين وكميات من الاسلحة والذخائر والمعدات ووحدة رادار كاملة بريطانية الصنع من طراز دكا . وبعدها بيومين ، أي في الرابع والعشرين من يناير ، لقي ١٩ اسرائيليا مصرعهم وأصيب ٤١ آخرين في ايلات عندما انفجرت سيارة محملة بالغام بركة تم الاستيلاء عليها من شدوان - نتيجة اصطدام عجلتها بسلم الانزال أثناء تفريغهم الزورق المحمل بالالغام والمعدات . وقد ادعى كل من المصريين والفدائيين مسئوليتهم عن هذا الانفجار الذي كان مجرد حادث .



وبدا عبد الناصر يعاني مخاوما وقلقا من الوجهة السياسية - حيث كان يشعر بأنه اذا لم يزوده الاتحاد السوفيتي بأسلحة أكثر تطورا تعادل تلك التي تمتلكها اسرائيل ، فإنه سيفقد ثقة شعبه . وكان بعض النقاد قد تنبأوا بالفعل بسقوط حكومته في الربيع . وفي ٢٢ يناير - أي في الوقت الذي احتل فيه الاسرائيليون جزيرة شيدوان ، طلب عبد الناصر - رغم نصيحة السفير السوفيتي ألا يفعل - الاجتماع بصفة عاجلة بالقادة السوفيت ، وطار في وقت لاحق في نفس اليوم سرا الى موسكو التي بقي بها أربعة ايام . . . وخلال هذه المفاوضات الصعبة ، أوضح عبد الناصر أن دلائله غير كافية على الاطلاق لصد الهجمات الاسرائيلية ، لأن الصواريخ السوفيتية لاتعادل طائرات الفانتوم بطايرها الاسرائيلين وبالسلاح المضادة للصواريخ المزودة بها .

وكشف عبد الناصر عن عدم ثقته عموما بالاسلحة السوفيتية عندما طلب امداد بطائرات بعيدة المدى لاستخدامها في قصف المراكز المدنية الاسرائيلية انتقاما لغارات الاسرائيليين في العمق . وهي السياسة التي أراد اتباعها على الأقل الى أن يتم تحديث وتقوية دفاعاته الجوية .

ورأت الحكومة السوفيتية أنه من الواجب فعل شيء وأنه من الواجب اعطاء دفعة للروح المعنوية المصرية . لكنها رفضت طلب القاذفات بعيدة المدى ، ووعدت بدلا من هذا بتقديم أشكال أخرى من المعونة العسكرية . . . وبعد هذا ، قال عبد الناصر في خطابه أمام الاتحاد الاشتراكي العربي يوم ٢٣ يوليو ١٩٧٠ : أن الروس وعدوا بتقديم الوسائل الكفيلة للدفاع عن الأهداف المدنية والاقتصادية في مصر . أن هذه المعونات الضرورية سيبدأ وصولها خلال ثلاثين يوما وهي قد وصلت بالفعل آخر الأمر ، ولكن ليس بنفس السرعة التي وعد بها السوفييت . وفي أول فبراير نفت السفارة المصرية في موسكو رسميا أن عبد الناصر قام بعد احتلال الاسرائيليين جزيرة شيدوان بزيارة الاتحاد السوفيتي ليطالب المزيد من الصواريخ وبعض طائرات الميج - ٢٣ . وفي ٢٣ يناير ، قامت الطائرات الاسرائيلية مرة أخرى بقصف معسكرات الجيش في الهايكستب ووادي حوف . وأعلنت اسرائيل يوم ٢٥ يناير أن طائراتها هاجمت وأعطت قطعة بحرية مصرية كانت قد رست عند لسان صخري قرب جزيرة شيدوان . ويبدو أن هذه القطعة كانت تحمل حامية مصرية جديدة أو كانت تقوم بأعمال استطلاعية تمهيدا لاستعادة الجزيرة . ولكن المصريون أصروا على أنها كانت مجرد سفينة تجارية . . . ووقعت يوم ٢٦ يناير عدة هجمات جوية اسرائيلية كبيرة على طول جبهة القناة . . . وفي ٢٨ يناير ، شنت اسرائيل غاراتها الثانية عشرة في عمق مصر حيث هاجمت طائرات الفانتوم مخيما عسكريا في المعادي ، التي تعد حيا سكنيا ، والتي تبعد خمسة أميال فقط عن قلب القاهرة ، وكان هذا اقرب هجوم من القاهرة منذ الغارات الاسرائيلية ، وكان بمقدور المواطنين المصريين في القاهرة

أن يسمعوا دوى طلقات المدفعية وانفجارات القنابل . وقال المصريون ان الغارة أسفرت عن مصرع ثلاثة مدنيين واصابة اثني عشر آخرين وتدمير اثني عشر من مباني المنطقة . وفي نفس اليوم أغار الاسرائيليون أيضا على معسكر الجيش في دهشور . وفي ٣٠ يناير ، اشتبكت الطائرات المصرية العاملة مع الطائرات الاسرائيلية للمرة الاولى منذ يوم ٩ ديسمبر ١٩٦٩ . وشرح الصحفي محمد حسنين هيكل القصف الاسرائيلي لعمق مصر بقوله ان اسرائيل تتبع فيه استراتيجية ذات أهداف ثلاثة ، هي أولا تشتيت القوات المصرية . ثانيا : مد نطاق جبهة القتال على طول ٦٢٠ ميلا حتى حدود السودان وسمعتهم . . .

وجاء في مذكرة كوسيجين أن الاتحاد السوفيتي سوف يرسل أسلحة أخرى لمصر وغيرها من الدول العربية لأن أمريكا أرسلت طائرات الفانتوم الى اسرائيل . وقد حاول الاتحاد السوفيتي بالفعل اعاقا بيع الطائرات لاسرائيل وفي ٥ فبراير ، أرسل الرئيس نيكسون رده على مذكرة كوسيجين فنفي مسئولية أمريكا عن تصعيد الحرب ، ودعا الى فرض حظر على ارسال الاسلحة الى المنطقة ، وحذر من أن أمريكا قد تضطر لبيع أسلحة لاسرائيل لمعادلة أي زيادة في كميات الاسلحة التي يعطيها السوفييت لمصر . ومنذ ذلك الحين تقريبا ، اتسم الموقف الامريكي بالصلابة حيث أخذ نيكسون يصر على ضرورة اجراء مفاوضات وأقرار سلام دائم ، لا محدود التوصل الى تسوية سياسية كما كان الروس يجذبون .

وفي الثاني من فبراير ، ضربت الطائرات المصرية المواقع الاسرائيلية على طول خط بارليف ، وعادت الى مهاجمتها عدة مرات خلال الايام التالية . وفي الخامس من فبراير ، كشف الاسرائيليون عن أن الروس كانوا يزودون طائرات الميج - ٢١ المصرية بالقنابل وصواريخ جو / أرض .

وفي ٨ فبراير شن الاسرائيليون غارات أخرى في العمق كان من بين أهدافها معسكرات بالقرب من التل الكبير وفي أسيوط بوادي النيل وفي حلون والقاعدة الجوية في انشاص والمنشآت الموجودة في مينائي الغردقة وسفاجة على البحر الاحمر . وفي معظم الايام ، دارت معارك عنيدة فوق القناة واعترف الاسرائيليون بأنهم فقدوا في تلك المعارك طائرة وقع طيارها أسيرا ، إلا أنهم ادعوا اسقاط طائرتين مصريتين . وفي نفس الوقت قال المصريون انهم دسروا فانتوم وأخرى سكاي هوك .

وفي ١٢ فبراير ، ضربت الطائرات الاسرائيلية مصنعا في أبو زعبل بعده ١٥ ميلا شمال شرق القاهرة كان ينتج ٧٥ ألف طن من القوالب الحديدية باستخدام نفايات المعادن . ووقعت الغارة بينما كان في المصنع ألف عامل على وشك بدء العمل في وردية الصباح ، مما أدى الى مصرع ٦٨ عاملا واصابة ٩٨ آخرين . وقد اعترف الاسرائيليون على الفور بأن عملية القصف وقعت خطأ وأن الهدف المقصود كان القاعدة الجوية في الخانكة التي تبعد ميلين عن المصنع . وحذر موسى ديان فور هذا من أن طائرة اسرائيلية قد أسقطت



قبله موقوتة ستنفجر خلال ٢٤ ساعة . وقال فيما بعد ان جهاز الرادار الذي يستخدمه الطيار لتحديد موقع القنابل قد تعطل ، مما اضطر الطيار الاسرائيلي للاعتماد على الرؤية بالعين المجردة لتحديد الهدف فأخطأ بميلين . وقد ادعى المصريون أن الاسرائيليين ضربوا المصنع بالنابالم ، الأمر الذي نفى ديان حدوثه . وقال الرئيس عبد الناصر بعد هذا ( يوم ١٨ مارس ) ان مستشاريه كانوا يريدونه أن يأمر بشن غارات جوية مصرية في عمق اسرائيل ولكنه رفض . وقال مرة أخرى أنه رغم تساوى عدد الطائرات التي تمتلكها كل من مصر واسرائيل ، فإن الاسرائيليين أقوى ثلاث مرات من حيث فعاليتها قواتهم الجوية ، وان لدى اسرائيل من الطيارين ثلاثة أضعاف ما لدى مصر . وفي نفس اليوم ( ١٢ فبراير ) ، ضربت الطائرات الاسرائيلية موقعا للرادار في جبل على بعد نحو ٢٥ ميلا غرب قناة السويس . وبعد الخطأ الذي ارتكب في أبو زعبل ، أوقف الاسرائيليون غارات القصف الاستراتيجية لمدة ثلاثة أيام . وفي الرابع عشر من فبراير ، صدر أمر بالاطلام الكامل في القاهرة وغيرها من المدن ، بعد أن أدت غارة أبو زعبل الى نقل الحرب بصورة مثيرة مفاجئة الى الجبهة الداخلية المصرية . وفي ١٥ فبراير ، وقال الرئيس عبد الناصر - في حديث لجيمس ريستون مراسل صحيفة نيويورك تايمز - انه سيلج على الروس ليمدوه بطائرات ( ميغ - ٢٣ ) وبأحدث المعدات الالكترونية لمواجهة الطائرات الاسرائيلية ، وأنه متردد في طلب طيارين سوفيت ، الا انه قد يفعل هذا اذا واصل الاسرائيليون هجومهم على المراكز الصناعية المصرية . وفي اليوم التالي أعلنت وكالة تاس السوفيتية أن الاتحاد السوفيتي سوف يقدم للدولة العربية « الدعم اللازم » لضمان أمنها في مواجهة الهجمات الاسرائيلية . وردت الولايات المتحدة على هذا في ١٧ فبراير بأن كررت وزارة الخارجية في واشنطن ما سبق اعلانه من أن أمريكا تنوى توفير الاسلحة للاسرائيليين بهدف المحافظة على التوازن العسكري في الشرق الاوسط وقالت جولدا مائير رئيسة الوزراء الاسرائيلية في الكنيست انه اذا احترم المصريون وقف اطلاق النار فسوف تفعل اسرائيل نفس الشيء ، والا فان اسرائيل سوف « تضرب في العمق » .

لقد كان الهدف من غارات القصف الاستراتيجية الاسرائيلية هو اشعار شعب مصر في الداخل بنتائج حرب الاستنزاف التي شنها عبد الناصر . ولكن هذه الغارات أحدثت عكس هذا الى حد ما ، حيث زادت من حب الجماهير لعبد الناصر أكثر من أي وقت مضى لأن الجماهير روعت بقتل المدنيين الأبرياء . . . ونتيجة لهذا ، تزايدت المطالبة بالضغط على أمريكا لتوقف امداد اسرائيل بالطائرات . وبحث الاتحاد السوفيتي على تزويد مصر بالمزيد من الطائرات والمعدات الالكترونية الحديثة . وقال الرئيس عبد الناصر أن اسرائيل لا تستطيع الحصول على السلام الا بعد جلائها عن جميع المناطق المحتلة ، بما فيها القدس

وسماحا بعودة اللاجئين الفلسطينيين ، واقامة دولة لمختلف الاجناس ، لا دولة يهودية ، ويتبع هذا عندئذ اعتراف العرب باسرائيل وكفالة حرية الملاحة في قناة السويس . وحذر الرئيس نيكسون - في تقريره الى الكونجرس في ١٨ فبراير - من أن محاولات السيطرة السوفيتية على الشرق الاوسط ستصبح مصدر قلق بالغ . وفي ٢٠ فبراير ، رفض المندوب السوفيتي لدى الأمم المتحدة مقترحات التسوية في الشرق الاوسط التي تقدمت بها أمريكا وبريطانيا وفرنسا . كما رفض الاقتراح الأمريكي ببدء محادثات تستهدف وضع قيود على ارسال الاسلحة للشرق الاوسط . فقد كان الاتحاد السوفيتي يخشى من أن اسرائيل ربما كانت تحاول عن عمد اسقاط عبد الناصر بسبب موقفه المتصلب ازاء التسوية السلمية وأن أمريكا تؤيد اسرائيل في محاولتها هذه .

واستؤنفت غارات اسرائيل في العمق يوم ١٤ فبراير ، وهو اليوم الذي أسقطت فيه المدفعية الاسرائيلية المضادة للطائرات طائرة مصرية من طراز ( اس - ٧ ) فوق القناة ، وادعت اسرائيل أن هذه الطائرة كانت الطائرة رقم ٦٨ التي أسقطت لمصر منذ حرب يونيو . ووقعت خلال الايام التالية غارات أخرى على موقع الرادار ومواقع الصواريخ والمنشآت العسكرية وفي ١٩ فبراير ، بينما كان المصريون يقصفون المواقع الاسرائيلية على الضفة الشرقية من القناة بالقرب من القنطرة وبالقرب من البحيرات المرة ، أسقطت طائرة اسرائيلية اعترفت اسرائيل بأنها الطائرة التاسعة عشرة التي أسقطت على جميع الجبهات من حرب يونيو . وفي اليوم التالي ، ادعى المصريون أنهم أسقطوا منذ حرب يونيو مائة وأربعين طائرة اسرائيلية ، منها اثنتان « خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية » .

وقالت هيئة الاذاعة الكندية يوم ٢٥ فبراير أن الاسرائيليين كانوا يتلقون أربع طائرات فانتوم شهريا حتى يستكملوا الخمسين طائرة المقرر حصولهم عليها قبل يونيو ١٩٧٠ وأن أمريكا سبق أن وافقت على منح اسرائيل خمسا وعشرين طائرة فانتوم أخرى اذا لم يوقف سباق التسلح في المنطقة .

وفي يوم ٢٦ فبراير ، أغار الاسرائيليون على قاعدة لصواريخ سام لا تبعد غير ثلاثة أميال الى الجنوب الغربي من القاهرة وعلى أهداف أخرى في الدلتا . وعندما اندفعت الطائرات المصرية لاعتراض الطائرات الاسرائيلية نشبت عدة معارك عنيفة . وادعى الاسرائيليون أنهم أسقطوا ثلاث طائرات ميغ مصرية باستخدام نيران المدافع ، أثناء هجومهم على قاعدة الصواريخ في دحميس على بعد حوالي سبعين ميلا شمالي القاهرة .

واستمر الصراع في الجو خلال شهر مارس ، فلم يكد يوم يمر دون معارك ضارية فوق القناة أو غارات جوية اسرائيلية . ففي أول مارس على سبيل المثال - ادعى المصريون أن اثنين وثلاثين من الجنود والمدنيين لقوا مصرعهم نتيجة غارات جوية اسرائيلية . وفي يوم ٦ مارس ، وعندما ضرب



الاسرائيليون موقعا للرادار قرب دمياط ، ادعى الاسرائيليون أنهم اسقطوا  
طائرتي ميغ مصريتين كانتا قد هاجمتهم . وفي الثاني عشر من مارس ،  
ضربت الطائرات الاسرائيلية مواقع الرادار في ابو صوير على بعد ٨ أميال  
من الاسماعيلية . كما ضربت مرة أخرى جبل على طريق الاسماعيلية -  
القاهرة .

وقال الاسرائيليون أنهم اسقطوا في نفس اليوم طائرة ( اس يو - ٧ )  
مصرية فوق سيناء ، الأمر الذي أظهر أن الطيارين المصريين كانوا يخترقون  
المجال الجوي الاسرائيلي . وفي اليوم التالي أعلن المصريون أن خمسة مدنيين  
قد لقوا مصرعهم وأصيب ستة وثلاثون آخرون نتيجة انفجار قنابل زمنية  
أقيمت أثناء غارة على قرية ( سرك ) بالقرب من المنصورة .

وأعلنت مصادر أمريكية فجأة يوم ١٨ مارس أن الاتحاد السوفيتي كان  
قد بدأ في تسليم صواريخ سام - ٢ لمصر بأعداد ضخمة . وقالت صحيفة  
نيويورك تايمز في اليوم التالي أن ألفا وخمسمائة من الأفراد السوفيت -  
ألف فتي وخمسة جندي لحراستهم - قد وصلوا إلى مصر مع صواريخ  
سام - ٢ . وكان قد تم بالكامل تقريبا تدمير جميع مواقع صواريخ سام - ٢  
على طول جبهة القناة وفي أماكن أخرى من مصر . ورغم أن المصريين كانوا  
يبنون مواقع جديدة مكان التي تدمر ، فإن الأجهزة الالكترونية المضادة  
للصواريخ كانت تمكن الطيارين الاسرائيليين من الهرب من صواريخ سام - ٢  
دون جهد يذكر بالطيران على ارتفاعات منخفضة ، حيث تقل فعالية صواريخ  
سام - ٢ عند الارتفاعات الأقل من ألفي قدم . وخلال أيام ، رصد  
الاسرائيليون حوالي ١٥ موقعا لصواريخ سام - ٢ حول القاهرة  
والاسكندرية وسد أسوان وقواعد جوية معينة . وكان يصل لمصر  
المزيد من صواريخ سام - ٢ التي كان يتم تشكيلها في شبكة صواريخ سام  
وتم أيضا تسليم مصر مدافع مضادة للطائرات توجه بالرادار . لقد ظن  
صاروخ سام - ٢ للمرة الأولى في القوات السوفيتية ١٩٦٤ حيث يوضع فوق  
السفن الحربية السوفيتية . وقد كان سلاحا يصل أيضا إلى ارتفاعات  
عالية ، ومدى الميل ، له هو حوالي ٣٣ ميلا ، وأقصى ارتفاع له ٤٠ ألف قدم ،  
بينما لم يعرف أقل ارتفاع له . وكان الصاروخ مزودا برادار متقدم ومعدات  
الكترونية أقل تأثرا للتشويش من تلك المزود بها صاروخ سام - ٢ . وكان  
الصاروخ سام - ٢ يحمل على قاذفة صواريخ متحركة ، ولكن كان من الضروري  
إيقاف القاذفة لإطلاق الصاروخ الذي كان مكونا من مرحلتين ومزودا بوقود  
صلب طوله حوالي ١٨ قدما . ورغم أنه يعد أكثر تطورا من صاروخ هوك  
الأمريكي ، فإنه كان يعاني هو الآخر من نفس المشكلة المعتادة ، مشكلة التعرف  
على الهدف .

عمل المصريون تحت إشراف الروس وبتوجيههم على إقامة حزام دفاعي  
صلب يعرض حوالي ١٦ ميلا ويزيد طوله على خمسين ميلا في المنطقة الموازية  
لقناة السويس بعمق ما بين ٢٠ ، ٣٠ ميلا على ضفتها الغربية وهي المنطقة  
التي تم فيها ربط صواريخ سام - ٢ والمدفعية المضادة - للطائرات بمواقع  
الرادار . وكان تكوين حائط صد كامل في مواجهة الهجوم الجوي الاسرائيلي  
يعني تمركز عديد من بطاريات صواريخ سام في مواقع متقاربة إلى درجة  
كبيرة بهدف أن تتداخل مساراتها بحيث تغطي بالكامل المجال الجوي للمنطقة  
المواجهة لها . وكان الاسرائيليون يخشون من أن تتمكن مصر من إقامة شبكة  
قوية لصواريخ سام ، حيث سيحد هذا من حريتهم في الحركة في الجو .  
ولهذا حاولت القوات الجوية الاسرائيلية - في فترة غضب جامع أن تدمر  
هذه الشبكة خلال الايام العشرة الأخيرة من مارس ، واستمرت بعض الغارات  
أربع ساعات كاملة للغارة الواحدة . ورغم تدمير كثير من مواقع صواريخ  
سام ، فقد أقيم المزيد من هذه المواقع . وبالرغم من هذا انضبط الاسرائيلي  
المكثف ، فقد تكونت شبكة صواريخ سام ، لكنها لم تكن تمثل حائط صد  
طالما لدى الطيارين الاسرائيليين الأجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ التي  
كانت تمكنهم من تجنب الصواريخ . وفي نفس الوقت وقعت غارات أخرى  
في العمق . وتعرضت مواقع الرادار بصفة خاصة للهجوم . وكثيرا ما خرجت  
الطائرات المصرية لصد الطائرات الاسرائيلية المهاجمة . ففي السابع والعشرين  
من مارس على سبيل المثال ، ادعى الاسرائيليون أن مصر خسرت خمس  
طائرات ميغ في معركة شمال السويس ، أسقطت ثلاث منها ، وانفجرت  
واحدة في الجو ، واصطدمت الخامسة بالأرض ، مما جعل اجمالي الطائرات  
المصرية التي ادعى الاسرائيليون أنهم أسقطوا على الجبهة المصرية منذ الحرب  
خمسًا وثمانين طائرة ، بينما اعترفوا بأن خسائرهم على الجبهة المصرية وصلت  
إلى إحدى عشرة طائرة .

وفي اليوم الأخير من مارس ، قال المصريون أن ١٢ مدنيا لقوا مصرعهم  
وأصيب خمسة وثلاثون آخرون في غارة جوية اسرائيلية على المنصورة .

وبينما كان كل هذا النشاط يجري في الجو ، واصلت المدفعية على  
جانبى القناة تبادل القصف دون توقف تقريبا ، بينما كان رجال الكوماندوز  
يقومون بنشاط متقطع . وكان لدى المصريين خمس عشر وحدة قوية من القوات  
الخاصة . بينما كان الاسرائيليون يستخدمون في مثل هذه العمليات رجال  
الكوماندوز البحريين ( وعددهم حوالي خمسمائة ) والمظليين . وفي ٥ فبراير دخل  
رجال الضفادع البشرية المصريون سيناء إيلات ووضعوا متفجرات أدت إلى تدمير  
سفينتين صغيرتين غرقت احدهما وتم سحب الأخرى إلى الشاطئ لانقاذها من  
الغرق .



وفي اليوم التالي ، قامت الطائرات الاسرائيلية بعملية انتقامية أغرقت خلالها كاسحة الغام سوفيتية الصنع قرب القنطرة المصرية . وفي ٥ فبراير أيضا ، عبر رجال الكوماندوز المصريون القناة بالقرب من « اللسان » على بعد نحو عشرين ميلا الى الجنوب من بور سعيد . . . وادعوا انهم دمروا دبابتين اسرائيليتين ومركبتين مدرعتين وسيارة جيب اسرائيلية وذلك في أحرزوا نجاحا في عملية ايلات » وبعض عمليات عبور القناة « كما تحدث عن بضعة مئات من الجنود المقاتلين المصريين المدربين تدريباً جيداً » . . . وأظهر اعتراف الاسرائيليين بالمشكلة مدى ما سببته لهم من ضيق . . . وأظهر

وقال المصريون يوم ١١ فبراير أن وحدة كوماندوز ، مصرية عبرت القناة والحقت بالاسرائيليين خسائر عشرين فردا ، ونفى الاسرائيليون هذا قائلين أن ثلاثة فقط من جنودهم قد أصيبوا في العملية . وقبلها يوم ٢٧ يناير ، كان المصريون قد أعلنوا أن رجال الكوماندوز قد تسلموا خلف المواقع الاسرائيلية في سيناء وأغاروا على مواقع اسرائيلية في غزة ، ونفى الاسرائيليون وقوع مثل هذه الغارة . فقد كانت حرب البلاغات والدعاية مازال مستمرة بنفس .

وفي ١٤ مارس ، عبر الاسرائيليون الممر المائي في قوارب من المطاط وسنوا أثناء النهار هجوما على أربعة مواقع مصرية متقدمة احتلوها لفترة قصيرة وخسروا في العملية قتيلين وأربعة جرحى ، بينما ادعوا أنهم قتلوا ثمانية مصريين . ودمرت في العملية بعض المباني ، وأكد الاسرائيليون أن العملية أثبتت قدرة اسرائيل على اقامة رأس جسر على الضفة الغربية للقناة . لكن المصريون ادعوا أن رجال المدفعية المصرية أحبطوا الغارة وأغرقوا عدة قوارب ومنعوا نزول الاسرائيليين الى الشاطئ . وفي ٢٢ مارس ، لقي اسرائيليان مصرعهما وأصيب أحد عشر آخرون عندما أصيبت سيارة النقل التي أقلتهم بلغم أرضي على بعض نحو خمسين ميلا الى الجنوب من العريش ، الأمر الذي بين أن رجال الكوماندوز المصريين أو الفدائيين كانوا يتسللون الى صحراء سيناء رغم نفى اسرائيل المتكرر . وفي ٢٦ مارس ، عبر رجال الكوماندوز المصريون القناة قرب الطرف الشمالي لسيناء في وضوح النهار ، ونصبوا كميناً لداورية اسرائيلية فقتلوا ضابطاً واحداً وأصابوا ثلاثة جنود بجراح واستمرت العمليات على هذا المنوال .

وعلى المسرح السياسي ، تردد أن العقيد القذافي سحب يوم ١٥ مارس ١٩٧٠ الكتيبة الليبية القوية المكونة من ٨٠٠ جندي من جبهة القناة . وكانت هذه الكتيبة - التي أرسلها في الأصل الملك ادريس قد ظلت هناك منذ حرب يونيه ١٩٦٧ ، وكان هذا التحرك في الواقع مجرد تغيير سياسي لأفراد الكتيبة وأرسل جنودا ليبية آخرين ليحلوا محل من تم سحبهم . وبعد هذا ، وعلى

أمل بعث شيء من حسن النوايا الى شعور روسيا . أعلن ويليام روجرز وزير الخارجية الأمريكي يوم ٢٣ مارس أن الرئيس نيكسون قرر أن يؤجل مؤقتا النظر في طلب اسرائيل امدادها بخمسين وعشرين طائرة فانتوم و ٨٠ طائرة سكاي هوك اضافية . لكن هذا لم يزد الى أي رد فعل روسي . بل على العكس من هذا ، أفادت الأنباء بعدها بثلاثة أيام - يوم ٢٦ مارس - بأنه تم تدعيم الاسطول السوفيتي في البحر المتوسط بحاملتي طائرات هليكوبتر مما جعل عدد قطع الاسطول هناك نحو خمسين قطعة منها حوالي ١٣ غواصة .

واستمرت الغارات الاسرائيلية الاستراتيجية . وفي ٨ أبريل ادعى المصريون أن الاسرائيليين قصفوا بقنابلهم مدرسة في قرية بحر البقر التي تبعد حوالي عشرين ميلا غربي القنطرة . وجاء في التقارير الاولى أن ثلاثين طفلا قتلوا وأصيب أكثر من خمسين . ولكن أعيد تصحيح الأرقام ، فأصبح عدد القتلى ٤٦ طفلا بعد وفاة عدد من الجرحى . وفي اليوم التالي ، شاهد الصحفيون جثث الاطفال القتلى ، ولكن لم يسمح لهم بمشاهدة المبنى الذي ادعى الاسرائيليون أنه كان يستخدم لأغراض عسكرية . وعرض ديان على الصحفيين صور مبنى أشبه بقلاع وتوجد في فناءه مركبات عسكرية ، وقال أنه اذا كان جزء منه يستخدم كمدرسة فإن هذا دليل على « عدم احساس اجرامى بالمسئولية » . وفي ١٥ أبريل ، أعلن الاسرائيليون أن لديهم « دليلا لا يدحض » على أن المصريين أمضوا خمسة أيام في ازالة آثار الوجود العسكري من المبنى . . . واستؤنفت غارات القصف الاسرائيلية الاستراتيجية يوم ١٣ أبريل حيث ضربت الطائرات الاسرائيلية أهدافا في منطقة حلوان . وفي منتصف أبريل ، قام جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية بزيارة للشرق الأوسط . وفي ١٤ أبريل ، أشار الى خلافات كبيرة في وجهات النظر بين مصر واسرائيل . وفي اليوم التالي تحدث موشي ديان عن السياسات الروسية والأمريكية ، فقال ان اسرائيل ربما تضطر الى خوض القتال من أجل البقاء وحدها اذا تخلى الغرب عنها . وقال ان الروس قد أصبحوا يمثلون مشكلة عسكرية أساسية للاسرائيليين ، حيث أنه اذا لم يقصروا عملهم على تشغيل صواريخ (سام-٣) التي لم تكن أهدافا حيوية للدفاع الاسرائيلي - فلن يمكن تجنب الحرب . . . ومن الواضح أنه كان يشير الى احتمال استخدام طيارين سوفيت ضد اسرائيل ، وأضاف : « اننا سوف نضطر الى تحقيق تعايش مع فكرة وجود الروس في أجواء مصر ، لا أجواء اسرائيل ، وآمل أن نحقق هذا بالفعل » لكن آماله كانت تتسم بمغالاة شديدة في التفاؤل .

وسبق عندما طلب الرئيس عبد الناصر الى الروس امداده بطائرات الميج ٢٣ ان قال أنه اذا لم يحصل على هذه الطائرات فسوف يضطر أما الى ارسال طياريه الذين يفتقرون الى الخبرة لمواجهة الطائرات الاسرائيلية ، بما يعانيه هذا من خسائر فادحة أو الى أن يظل صامتا ليشهد تدمير شبكة صواريخ سام المصرية . وكان رد السوفيت على مطالب عبد الناصر مكونا جزئين



اولهما ارسال صواريخ سام - ٣ التي وصلت الى مصر في مارس والتي استخدمت في الدفاع عن مدن ومطارات معينة وعن سد اسوان . . ولم يأت منتصف ابريل الا وكان قد اقيم في مصر أكثر من عشرين من بطاريات الصواريخ في مصر يديرها أفراد سوفيت ، الامر لذى حد بصفة متزايدة من حصرية اسرائيل في الحركة في المجال الجوي المصري . فلم يكن بمقدور الاسرائيليين أن يخاطروا بأن يحدثوا عمدا خسائر بين الافراد السوفيتية ، لأنهم لم يكونوا يعرفون بالتحديد كيف يمكن أن يكون رد فعل الحكومة السوفيتية لمثل هذه الحالة وكان الجزء الثاني من الرد السوفيتي هو ارسال طائرات ( ميغ - ٢١ ج ) جديدة وصلت الى مصر في أوائل ابريل ومعها طيارون وملاحون أرضيون سوفيت . ووضعت هذه الطائرات في قواعد جوية خاصة كانت خاضعة بالكامل للسيطرة السوفيتية . وكانت طائرة الميغ - ٢١ عبارة عن ميغ - ٢١ معدلة تحمل أجهزة رادار أفضل ، وأجهزة أكثر فعالية للتحكم في اطلاق النيران وتستطيع حمل خزانات اضافية للوقود في اجنحتها ، الامر الذي يعطيها مدى كافيا للضرب داخل اسرائيل . وسرعان ما وصل عدد طائرات ( الميغ - ٢١ ج ) التي يقوم بتشغيلها طيارون سوفيت في مصر الى حوالي مائة وخمسين طائرة . وفي منتصف ابريل ، كانت هذه الطائرات قد تحملت مسئولية الدفاع عن وادي النيل والدلتا ، مما أدى على الفور الى انهاء مرحلة القصف الاستراتيجي الاسرائيلي في العمق . فكانت آخر غارة هي التي تمت يوم ١٧ ابريل . فقد أدى هذا التحرك اذن الى حرمان القوات الجوية الاسرائيلية فجأة من هذا البديل الذي يتمتع بقيمة عالية للغاية . وقد وصف البريجادير هود قائد القوات الجوية الاسرائيلية الموقف فيما بعد بأن هناك « قبضة روسية في قفاز مصري » . .

وكان معنى هذا أنه لم يعد ، بمقدور موسى ديان أن يفاخر كما فعل قبلها في يناير - بأن « مصر كلها هي ميدان قتال لنا » .

## ٨ - المعركة الالكترونية

« سيكون هذا الصيف مكهربا . . صيفا الكترونيا »

موشى ديان

اضطرت اسرائيل لوقف غارتها الاستراتيجية في العمق بمجرد ان اتضح أن الطيارين السوفيت قد تولوا مسئولية اندفاع الجوى عن وادي النيل والدلتا ، وأن اطقما سوفيتية تقوم بتشغيل بطاريات صواريخ سام - ٣ . وبهذا فرغ الطيارون المصريون لمنطقة القناة ، وتحول تركيز القوات الجوية المصرية الى خط بارليف . وعلى الأرض ، تزايد أيضا نشاط المدفعية ، وقتل حوالي ٢٧ - اسرائيليا في شهر ابريل . صحيح أن أكثر من مائتي سوفيتي ظلوا يقومون بطلعات تدريبية في مصر لأكثر من سنتين قبلها . . لكن هذه كانت مسألة مختلفة .

وأخذت الطائرات المقاتلة المصرية تضرب المواقع الاسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة بصفة مستمرة تقريبا طيلة الفترة من ١٩ الى ٢١ ابريل وادعى الاسرائيليون أنهم اسقطوا طائرتين مصريتين في هذه المعارك . وفي ٢٣ ابريل ، تسلمت الطائرات المصرية عبر سيناء لتضرب مستوطنة ناحال يام العسكرية الاسرائيلية ، الا أن الاسرائيليين قالوا ان الغارة لم تسفر عن أية خسائر . شنت الطائرات الاسرائيلية في اليوم التالي هجوما انتقاميا على المواقع المصرية على الضفة الغربية للقناة . ووقعت اشتباكات عنيفة بالمدفعية يوم ٢٨ ابريل وذكر الاسرائيليون ان المصريين أطلقوا فيها ألف قذيفة خلال أربع وعشرين ساعة وشهد يوما ٢٨ - ٢٩ ابريل نشاطا جويا مكثفا من الجانبين فوق القناة . وادعى الاسرائيليون أنهم اسقطوا وقتها طائرتين من طراز ( س بو - ٧ ) فوق سيناء .

وقال الرئيس عبد الناصر يوم ٢١ ابريل أن الغارات الاسرائيلية لم تؤد الا الى تعزيز الوحدة الوطنية للمصريين ، وتقوية اصرارهم على الاستمرار في القتال حتى النصر . وأضاف ( لقد أعدنا بناء قوتنا الدفاعية بالكامل ، ونحن قادرون على الرد على أي اعتداءات اسرائيلية بهجمات مضادة على نطاق واسع ) . . وفي ٢٦ ابريل ، عين محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام وزيرا للارشاد القومي . . وكان من بين مهام منصبه الجديد الرقابة على التليفزيون والصحافة ووسائل الاعلام المصرية ، بما فيها وكالة أنباء الشرق الاوسط . .



واحتفظ هيكلم بمنصبه كرئيس لتحرير الاهرام ، واصبح سلفه فى وزارة الارشاد محمد فايق وزيرا للخارجية ٠٠ وفى نفس الوقت ، استمرت غارات الكوماندوز عبر القناة ٠٠ وادعى المصريون يوم ٢٦ ابريل أنهم قاموا بعمليتين وادعوا أن العملية الاولى قام بها مائتان من رجال الكوماندوز عند الشط فى القطاع الجنوبى ، حيث أبادوا ٣٥ اسرائيليا ٠٠ كما دمروا عددا من الدبابات وسيارات النقل ، بينما لم يفقدوا غير « عدد قليل من الجنود المصريين » ٠٠ وأصدر الاسرائيليون تكذيبا لهذا ، الا أنهم اعترفوا بأن خمسة من جنودهم أصيبوا بجراح فى كمين تعرضت له داورية ميكانيكية اسرائيلية ٠٠ ووقعت الغارة الاخرى قرب البلاح ، لكن الاسرائيليون ادعوا أنهم أغرقوا أثناءها عدة زوارق كان كل منهما يحمل ثمانية جنود مصريين .

وأعلن المصريون يوم ٢٩ أبريل أن ستمائة جندي مصرى قد عبروا القناة على جبهة بطول ١٥ ميلا من البلاح والاسماعيلية ، وأن الجنود انسحبوا بعد معركة استمرت اثنتى عشرة ساعة قتلوا وجرحوا أثناءها « عشرات » من الاسرائيليين ودمروا ٩ دبابات ومركبات بينما كانت خسائرهم ثلاثة جنود مصريين فقط بين قتيل وجريح ٠٠ وادعى المصريون أن هذه كانت ثانى ضربة قوية يوجهونها للمواقع الاسرائيلية خلال أسبوع واحد ، وأن الاسرائيليين اضطروا الى استخدام المدرعات لاجبار القوة المصرية على الانسحاب ٠٠ وعلى الجانب الآخر ، أعلن الاسرائيليون أن ما بين ٤٠ ، ٥٠ جنديا مصرى فقط صعدت الهجوم ، وأنهم أغرقوا فى نفس الوقت أربعة قوارب مطاط مصرية كان كل منها يحمل ثمانية جنود ٠ وأن شوهدت بعد هذا حوالى ٤٦ جثة طافية على سطح القناة ٠٠ وفى ٣ مايو ، عبر الكوماندوز المصريون خليج السويس وأطلقوا صواريخ الكاتيوشا على معسكر اسرائيلى من موقع اتخذوه وسط مخلفات حرب يونيو على بعد حوالى ثمانمائة ياردة من الطور ٠٠ لكن الاسرائيليين أعلنوا أنه لم تلحق بالمعسكرات أية خسائر ومن المؤكد أن الجيش المصرى كان يقاتل بقدر أكبر من الثقة خلال النصف الثانى من أبريل ٠ وجاء فى بيان أصدرته الحكومة الاسرائيلية فى ٢٩ أبريل أن طيارين سوفيت كانوا يقومون بطلعات قتالية من القواعد المصرية ، الا أنهم لم يصلوا بعد فى عملياتهم الى منطقة القناة ٠ كما لم يشتبكوا بعد فى معارك مع الطيارين الاسرائيليين ٠ وقال المتحدث عسكرى ان عشرات من الطيارين السوفيت كانوا يقومون بطائرات ميغ - ٢١ بداوريات فى مناطق معينة وبعمليات اعتراضية فى مواجهة الطائرات الاسرائيلية ٠ وذكر المتحدث أيضا أن للمصريين على جبهة القناة ما يقدر ما بين ٨٠٠ ، ٩٠٠ ، مدفع و ٧٠٠ دبابة ٠ وكان الجنرال بارليف قد قال قبل هذا - يوم ٦ ابريل أن الطيارين

السوفيت يشكلون الحلقة الاخيرة فى نظام صواريخ سام - ٣ المضادة للطائرات وأنه أصبح بمقدور المصريين مرة أخرى أن يشنوا اعتداءات على طول القناة نتيجة الدور الذى يلعبه الروس فى أجواء مصر ، وأعلن بارليف أنه ينوى ضرب بطاريات صواريخ سام - ٣ بالرغم من وجود أطقم روسية فيها ، الا انه أشار الى أن الطيارين الاسرائيليين « سيراغون عدم ضرب بور سعيد او الاسكندرية لوجود سفن سوفيتية فيها » ٠ وأوضح الجنرال بارليف أن الطيارين المصريين بدأوا أنثذ يستخدمون أساليب القصف الفنية السوفيتية ، حيث يعبرون القناة على ارتفاعات منخفضة ، وقبل الوصول الى أهدافهم مباشرة ، يرتفعون بطائراتهم فجأة الى ارتفاع يتراوح بين ١٥٠٠ ، ٢٠٠٠ قدم حتى يكونوا على ارتفاع كاف للالتقاض والقاء القنابل على الهدف ، أى باختصار نفس التكتيكات التى استخدمها الاسرائيليون فى ضربتهم الوقائية فى يونيو ١٩٦٧ ٠

كان خطاب عبد الناصر فى حاوان يوم اول مايو ايدانا بعودة الزعيم الراحل الذى سبق أن أقنع السوفيت بدعم سياسته فى الشرق الاوسط ٠٠ فقد قال « ان تقيرا قد حدث فقد استعادت قواتنا المسلحة زمام المبادرة بعمليات عسكرية جريئة فى الجو وعلى الارض » ، وأضاف أن الطائرات المصرية قد تضرب المدنيين الاسرائيليين وذكر بأنه ( لولا المساعدات السوفيتية لكان موسى ديان يجلس فى القاهرة الان ) ٠٠ فقد أصبح بمقدور عبد الناصر أنثذ - بعد أن صار فى موقف داخلى أقوى كثيرا من ذى قبل - أن يدعم مركزه فى مواجهة تحدى الفدائيين كما أصبح المصريون أكثر استخداما للتخطيط الاستراتيجى وتخطيط العمليات ٠٠ واعترف عبد الناصر يوم ٤ مايو بأن الغارات الاستراتيجية الاسرائيلية فى العمق المصرى كانت قد انتزعت منه زمام المبادرة العسكرية ، واضطرت جيشه الى التفوق فى وضع دفاعى مشتمل ٠٠ لكن قلقا عميقا أصاب الاسرائيليين بسبب ما أسموه « العدوان الروسى الوشيك » كما أنهم كانوا يتساءلون عن المدى الذى يمكن أن يذهب اليه الروس ٠ فقد تم بالفعل دفع الحرب بعيدا عن وادى النيل والدلتا الى منطقة القناة ، وأصبح نشاط الاسرائيليين محصورا فى منطقة لا تبعد عن القناة أكثر من ٢٥ ميلا ٠ وتنبأ ديان « بصيف الكترونى » تحدث فيه المواجهة بين الطائرات التى تحمل وسائل الكترونية مضادة للصواريخ وبين صواريخ سام - ٢ وسام - ٣ السوفيتية ٠

وتجدد جو الثقة فى القاهرة فى أوائل مايو ، وعادت الاضواء الى الظهور ليلا فى القاهرة والمدن الاخرى ٠٠ واستمر العمل فى بناء شبكة صواريخ سام طويلة شهر مايو ٠ ولم ينتصف شهر مايو الا وكان قد تم تنظيم الطيارين السوفيت وتقسيمهم على ٢٤ سربرا عاملا اتخذت قواعدها فى أربعة



مطارات قريبة من القاهرة ومطار بنى سويف على بعد حوالى ستين ميلا الى الجنوب من القاهرة ٠٠ وأصبح هؤلاء الطيارون جزءا من النظام الدفاعى المصرى بالفعل وتم الربط بينهم وبين بطاريات صواريخ سام - ٣ العشرين التى كان يوجد فى كل منهما خمسون من العسكريين السوقيت لحمايتها . ولم تكن شبكة صواريخ سام تتضمن صواريخ سام - ٣ حتى ذلك الحين . وقال موسى ديان يوم ٩ مايو أن الطيارين السوفيت وصواريخ سام - ٣ قد خلقوا موقفا حرجا ، وكرر مرة أخرى قوله أنه على اسرائيل أن تسعى الى « التعايش » مع الروس فى أجواء مصر ، مما يعد إشارة الى أنه بدأ عاقدا العزم على قبول نطاق الـ ٢٥ ميلا غرب القناة ، وهو المدى الذى بدأ أن الروس سمحوا به للاسرائيليين ضمنا . وأعلن يوم ١٩ مايو عن تخصيص ٤٣٪ من الميزانية العامة لمصر لأغراض الدفاع ، أى حوالى ٥٥٣ مليون جنيه استرلينى ( وهى الميزانية التى تم اقرارها رسميا بعد هذا يوم ٩ يونيه ) . وقال عبد الناصر فى حديث الى صحيفة داي فيلت يوم ٢١ مايو : « أن الطيارين السوفيت العاملين على طائرات القوات الجوية المصرية كان يمكن أن يخوضوا معارك عنيفة ضد الاسرائيليين » ولكن لم يكن من المعتقد أن هذا قد حدث حتى ذلك الحين . وفى اليوم التالى ، طلب أبا اييان وزير خارجية اسرائيل فى مقابله مع الرئيس نيكسون - امداد اسرائيل من الطائرات ولكن قيل له أنه لم يتخذ أى قرار بهذا الشأن .

وفى أوائل مايو ، وبالتحديد يوم ٤ مايو ، أغارت الطائرات المصرية على مشارف العريش . وادعى الاسرائيليون أنهم أسقطوا فى هذه الغارة طائرتين مصريتين من طراز اليوش - ٢٨ الا أن المصريين لم يعترفوا الا بخسارتهم طائرة واحدة . وقد انشغل الاسرائيليون خلال النصف الاول من الشهر بالموقف على حدودهم مع لبنان . ولم يبدأ الهجوم الاسرائيلى على منطقة القناة الا يوم ١٤ مايو ٠٠ وبدأ لمدة يومين أن الهجوم الاسرائيلى لا يقابل الا بمقاومة ضئيلة حيث بدا أن الاسرائيليين تمكنوا من شن هجمات على المواقع القوية على طول القناة لخمس ساعات كاملة فى المسرة الواحدة ٠٠ وبدأت الطائرات المصرية فى التدخل تدريجيا ، فدارت عدة معارك جوية فى المنطقة الواقعة بين القناة وشبكة صواريخ سام . وادعى المصريون يوم ١٦ مايو أنهم أسقطوا طائرتين اسرائيليتين بينما ادعى الاسرائيليون أنهم دمروا خلال يومين خمس طائرات مصرية أسقطت أربع منها . بينما انفجرت الخامسة - وهى من طراز ميج - ٢١ فى الجو . وفى ١٩ مايو ، تحسولت الغارات الاسرائيلية عن الدفاعات المتقدمة على القناة الى شبكة الصواريخ لمنع أعمال البناء فى الشبكة . وأعلن الاسرائيليون يوم ٢١ مايو أن عدد القتلى منذ حرب يونيو ١٩٦٧ بلغ ٥٤٣ جنديا و ١١٦ مدنيا وأن عدد الجرحى بلغ ١٧٦٣ جنديا و ٦٢٩ مدنيا . وأن القتال البرى فى منطقة القناة خلال شهر مايو سفر عن مصرع ٤٢ جنديا اسرائيليا واصابة ١٠٦ آخرين ، الأمر الذى يدل على مدى كفاءة القتال .

وكان من الواضح أن الجانبين قد أردوا استعراض عضلاتهما بعض الشيء ٠٠ وفى يوم ٥ مايو عرضت اسرائيل على الصحفيين بعض معداتها الحربية الجديدة التى كان من بينها زورقان فرنسيان الصنع مزودين بصواريخ جابريل ، ومدفع مضاد للدبابات عيار ٩٠ مم محمول على عربة نصف جنزير من طراز ( أم - ٣ ) ويمكنه التحرك والدوران ، ودبابة معدنة من طراز باتون مزودة بمدفع عيار ١٠٥ مم ومضاف اليها محرك ديزل أمريكى يعطيها القدرة على التحرك لعشر ساعات متواصلة دون التزود بالوقود وقيل ان هذه الدبابة تعادل الدبابة ( تى - ٥٥ ) السوفيتية الصنع . وعلى الجانب الآخر من القناة ، وفى نفس الاسبوع ، أشرف الروس على مناورات مصرية قام خلالها تشكيل مدرع مصرى بشن هجمات عبر عوائق مائية على بحيرة قرب الفيوم جنوب القاهرة ، وترد وقتها أن الروس خرجوا بانطباع طيب للغاية عن المناورات .

وأكدت جولدا مائير رئيسة الوزراء الاسرائيلية للكنيست يوم ٢٦ مايو أن اسرائيل سبق أن وافقت على قرار نوفمبر . وقالت انه كان من المفترض أن الاتحاد السوفيتى يرغب فى استمرار التوتر ونزاعات الحدود بين العرب واسرائيل ، الا أنه لا يريد حربا شاملة . وأكدت مائير صحة التقديرات القائلة بوجود عشرين قاعدة لصواريخ سام - ٣ فى قلب مصر ، وبأن الاتحاد السوفيتى أمد مصر منذ حرب يونيه بستمائة وخمسين دبابة ومائتين وستين طائرة .

وفى ٢٤ مايو التقى الرئيس الليبى العقيد القذافى والرئيس عبد الناصر بالرئيس نميرى فى الخرطوم بمناسبة الذكرى الاولى للانقلاب الذى وقع هناك وذلك بهدف وضع سياسة مشتركة فى مواجهة اسرائيل ، والتوصل الى اتفاق بزيادة مساهمات الدول العربية . وعند انتهاء المؤتمر يوم ٢٨ مايو ، قال عبد الناصر أن الفضل يرجع للروس فى اجبار اسرائيل على وقف غاراتها فى عمق مصر . وأعلن أنه أصبح على استعداد الآن لمحاولة التوصل الى حل سلمى ( وهو الشيء الذى لم يقله لشهور قبلها ) . وأكد على أن الروس سيبقون فى الشرق الاوسط الى أن يجلووا الاسرائيليون عن الاراضى المحتلة .

وشهد شهر مايو نشاطا فى البحر . وفى ١٣ مايو ، غرق قارب صيد اسرائيلى حمولته ٧٠ طنا بعد اصابته بصاروخ أطلق من زورق صواريخ مصرى على بعد نحو ١١ ميلا من الساحل الشمالى لسيناء . ولم يشج الا اثنان من أفراد طاقم القارب الاربعة . وفى ١٦ مايو أغرقت الطائرات الاسرائيلية مدمرة مصرية وزورق صواريخ من طراز كوماق قرب رأس بناس على البحر الاحمر . واضطرت الطائرات الاسرائيلية فى هذه العملية للطيران مسافة ٦٥٠ ميلا والعودة . واعترف المصريون بفقد هاتين القطعتين ، وقال الاسرائيليون أن عملياتهم هذه كانت انتقاما لاغراق قارب الصيد . ولحدث قتل اسرائيلى كان



يعمل في حطام سفينة ميناء ايلات عندما انفجر فيه لغم كان قد وضعه الضفادع البشرية المصريون .

وهناك حقيقة مبررة وان لم تكن تلقى تقديرا كبيرا وهي أنه بالرغم من ان الاسرائيليين كانوا يستخرجون الملايين من براميل البترول من حقول البترول المصرية في خليج السويس ، فان المصريين لم يحاولوا قصف هذه الحقول . والسبب في هذا بسيط ، وهو أن المصريين لديهم هم الآخرون آبار للبترول أكثر تعرضا للخطر جنوبى خليج السويس وعلى الجانب الغربى منه . لقد كانت مسألة « عش ودع غيرك يعيش » وكان من المثير أيضا ملاحظة أن السفن الاسرائيلية والمصرية كانت تمر بعضها ببعض دون أى اهتمام فى خليج السويس .

وكان رجال الكوماندوز نشطين أيضا . ففي ١٩ مايو أعلن المصريون ان قوة من تسعين رجلا قد عبرت القناة وهاجمت وحدة اسرائيلية قرب الشلوفة فى القطاع الجنوبى وألحقت بها خسائر جسيمة ودمرت ثلاث عربات مدرعة . وقال الاسرائيليون أن عدد القوة المصرية كان ١٥ جنديا فقط وأنها اضطرت للانسحاب بعد قتال استمر ثلاث ساعات فقد فيه المصريون سبعة قتلى بينما لم تقع خسائر بين الاسرائيليين . وادعى المصريون أن أكبر نجاح لرجال الكوماندوز يوم ٣٠ مايو عندما قاموا بغارتين فى وضوح النهار . وكانت الاولى حين نصبت قوة مصرية كميناً لطاير اسرائيل على بعد حوالى سبعة أميال الى الجنوب من بور فؤاد ، مما أسفر عن « عشرات » القتلى والجرحى من الاسرائيليين وتدمير عدة مركبات مدرعة اسرائيلية . واعترف الاسرائيليون بأن ١٥ جنديا اسرائيليا قتلوا وأصيب ثمانية بجراح وأن هناك اثنين مفقودين . ووقعت الغارة الثانية فى القطاع الاوسط . وكانت هناك ادعاءات متضاربة بشأنها هي الاخرى . وادعت صحيفة الاهرام أن هذا « بداية مرحلة جديدة فى المواجهة مع اسرائيل » .

ان اعادة بناء شبكة صواريخ سام لتقديم الحماية للمواقع الامامية المصرية التى دمرت فى حرب يونيه كانت بصفة عامة انجازا مصرية ، الا أنها لم تحقق تقدما كبيرا ، حيث لم تمثل الا مقاومة ضئيلة غير فعالة للطائرات الاسرائيلية المهاجمة . وكانت معظم التقارير تشير الى أن بطاريات صواريخ سام قد وضعت على مسافة عشرة كيلو مترات ( حوالى ٦٢ ميل ) من بعضها البعض حتى يكون هناك تداخل فى مداها المؤثر . وفى النصف الثانى من مايو فرض الروس رقابة أكثر احكاما ، وأتوا أيضا ببضع بطاريات خاصة بهم لتقوية الدفاعات المصرية .

وكانت تقديرات الاسرائيليين تفيد بأنه فى أول يونيو كان فى مصر نحو ٢٥٠ طيارا سوفيتيا يعملون على طائرات ( الميج - ٢١ ج ) التى كانت

توضع كل منها فى حظيرة محصنة ، وبما أن الروس نفوا أن لهم طيارين يعملون فى مصر ، فلم يكن عليهم أى التزام بالاعتراف بحدوث اشتباكات أو بوقوع خسائر لهم ، كما أن الامريكيين والاسرائيليين كانوا يواجهون نقطة فى غير صالحهم هي وجود الافراد السوفيت فى مصر يؤدون ادوارا دفاعية وذلك باعتبار أن صواريخ سام ينظر اليها بصفة عامة على أنها أسلحة دفاعية بالناكيد .

وقد أقيمت خمس بطاريات اضافية من صواريخ سام - ٣ مما رفع عددها فى مصر الى خمس وعشرين بطارية ، وان لم يوضع أى منها حتى ذلك الحين فى منطقة القناة . وتبين فيما بعد أن السبب فى هذا أن الروس لاقوا صعوبة فى ضبطها كما يجب حيث لم يسبق لهم اطلاقها فى ظروف القتال . وكان الاسرائيليون يتمتعون بميزة هي امكان رصد مواقع صواريخ سام - ٣ وسام - ٢ باستخدام وسائل الاستطلاع الالكترونية . فقد كان من المعتاد وضع صواريخ سام - ٣ فى مبنيين منخفضين مستطيلين يبلغ طولهما أربعين قدما وتوضع بها الصواريخ والحاسبات الالكترونية وأجهزة الرادار وغيرها من المعدات الالكترونية اللازمة . وكان أحد نظم الرادار يتطلب برجاً ارتفاعه ٦٥ قدما ، ومن هنا جاء ما يتردد الان من روايات أنه كان يتم التمويه على وجوده بجعل البرج مثل المسجد .

وقام الاسرائيليون بمحاولتين فى الجو على سبيل التجربة فى وادى النيل ، ولكن فى كل منهما كان الطيارون السوفيت يعترضونهم ، وكانوا يضطرون للانسحاب . فقد أصبح المجال الجوى المصرى فيما يجاوز حدود الخمسة وعشرين ميلا من القناة مغلقا أمامهم . ولهذا عمد الاسرائيليون الى تدمير المواقع القوية التى كان يتم بناؤها فى شبكة سام ، وذلك لعلمهم أن تشغيل عدد كاف منها سيحرم خط بارليف - الذى كان على « مرمى البصر » من هذه المواقع - من الغطاء الجوى ، الامر الذى سيجعله عرضا للخطر عند وقوع هجوم برمائي عليه . ومنذ ١٨ ابريل ، ركزت الطائرات الاسرائيلية أيضا هجوما على المواقع الامامية المصرية ، ولم يأت أول يونيو الا وكان المصريون قد خفضوا بنسبة كبيرة عدد جنودهم فى منطقة القناة . لكن مدافعهم احتفظت بفعاليتها ، لكن كل زيادة فى القصف المدفعى المصرى كانت تقابلها زيادة فى القصف الجوى الاسرائيلى .

وقد ادعى الاسرائيليون أنهم أسقطوا ثلاث طائرات ميج دون خسائر من جانبهم فى المعركة الجوية التى وقعت فوق القناة يوم ٣ يونيو ، بينما اعترف المصريون بخسارة طائرة واحدة ، بينما ادعوا أنهم أسقطوا طائرتى ميراج وأصابوا طائرة ثالثة . وفى ٥ يونيو ، الغى موقع آخر من مواقع مراقبى الأمم المتحدة ، ليصبح عدد هذه المواقع على الجانب المصرى الى أحد عشر موقعا فقط بعد أن كانت ثمانية عشر موقعا . وأغارت مجموعة من



المقاتلات الاسرائيلية يوم ٩ يونيو على المصاعين التي تبعد اكثر قبيلة من ٢٥ ميلا عن القناة ، الى على الطرف العربي لشبكة صواريخ سام . وكان هذا بعد موضع عن القناة بحار عليه الاسرائيليون منذ منتصف ابريل . وبالرغم من كثرة القنارات الاسرائيلية على شبكة صواريخ سام ، فان الطيارين الاسرائيليين ذكروا ان المصريين استكروا في بنسب المواقع والملاجئ بنظر سرعة تكسرها .

وشن الاسرائيليون هجوماً شتتاً على بؤر سعيد ، وقد بدأت هجمات الصواريخ يوم ٢٨ مايو واستمرت ثمانية ايام شملت مائة ساعة من القصف العنيف اقيمت خلالها على حد قول الاسرائيليين - نحو ٤٢٠٠ قنبلة . واعتباراً من ٤ مايو . بدأت بؤر سعيد تعاني نقصاً في الغذاء والماء اللذين اقتضت احوال قنبلاً بالتورب الى المدينة لعدم امكان التسور على الطريق البصري الضيق التي يربط بؤر سعيد بمداخل البلاد والتي يبلغ عرضه ١٥٠ ياردة . وذلك بعد ان انتشرت الحفر فيه نتيجة القصف . وكان السبب في هذا الهجوم هو اعتقاد الاسرائيليين ان القوات والمعدات البرمائية ربما تكون قد ركزت في بؤر سعيد لتكون راسي جسر على الجانب الشرقي للقناة في المنطقة التي كانت دفاعات اسرائيل فيها اضعف من أي منطقة أخرى . وكان محمد فوزي وزير الحربية قد تظاهر قبلها بساترة بأن القوات المصرية كانت تسعد لمركة ضخمة مع اسرائيل . وفي ١٢ يونيو ، عبرت القنارة شمال القنطرة قوة اسرائيلية صغيرة من الكوماندوز ودمرت المواقع الحصينة في منطقة بطول ميلين ، وهي المنطقة التي كانت هدف الهجوم الجوي الاسرائيلي منذ ٢٨ مايو باعتبارها نقطة الانطلاق المتوقعة لأي هجوم مصري . . . وادعى الاسرائيليون انهم قتلوا في هذه العملية خمسين مصرياً بينما قتلوا اربعة قتل وخمسة عشر جريحاً . .

توجد مستنقعات واسعة الانتشار على جانبي القناة شمال القنطرة كما توجد في بعض الأماكن بحيرات متغيرة لا تفصل بينها الا شرائط ضيقة من الأرض . وكان افضل مكان لتقيام عملية العبور هو الشرايط الواقعة بين القنطرة والاسماعيلية مسافة عشرين ميلاً . وهو المكان الذي كانت توجد به بطبيعة الحال - مواقع اسرائيلية أقوى . وربما تكون نقطة العبور على بعد عشرين ميلاً الى الشمال من القنطرة حيث لم يكن الاسرائيليون يسيطرون الا على ساحات ضيقة من الأرض بسبب المستنقعات . . . لكن كلا من الموقعين له مشكلاته الكبيرة التي كان على المصريين ان يواجهوها عند التفكير في القيام بعملية ازال هجومية واسعة النطاق لغواتهم .

وفي ١٤ يونيو . قال عبد الناصر ان التواجهة على جبهة القناة « حرب حقيقية » . وانه بعد حرب الاستنزاف ستبدأ حرب التحرير التي يأمل أن تستمر فيها الأمة العربية جملة . . . وفي اليوم التالي . ذكر الجرائل يارليف أن سياسة اسرائيل لم تعد قائمة على الاحتكام . بل على النشاط المستمر « لمواجهة

الحرب بالحرب » . . . واراد الاسرائيليون اختبار رد الفعل السوفيتي ، فأغارت قوة كوماتدوز اسرائيلية صغيرة محمولة بطائرات الهليكوبتر - يوم ٢٣ يونيو على معسكر مصري في بير ، واستخدمت الصواريخ في الهجوم . وتقع بير على حوالى بعد خمسين ميلاً من خليج السويس وعلى بعد خمسين ميلاً جنوبى القاهرة ، وكانت قريبة من القاعدة الجوية التي كان يديرها السوفيت في بنى سويف . . . ولم تتكرر هذه الغارة .

وأعلن وليام روجرز وزير الخارجية الامريكى - يوم ٢٥ يونيو ١٩٧٠ - مبادرة أمريكية لقرار السلام في الشرق الاوسط ، الا انه رفض الادلاء بأية تفصيلات ، ورفض مناقشة الدعم الجديد لاسرائيل . وقال روجرز ان الهدف من مبادرته هو « التوقف عن اطلاق النار وبداه المحادثات » . وفى ٢٩ يونيو حدثت جولدا مائير رئيسة الوزراء الاسرائيلية من حظر التوصل الى وقف لاطلاق النار باستمرار لفترة قصيرة . وفى نفس ذلك اليوم ( ٢٩ يونيو ) ، طار عبد الناصر الى موسكو حيث التقى بالرئيس بودجورنى ورئيس الوزراء كوسيجين اللذين قالوا انهما يؤيدان تسوية أزمة الشرق الاوسط على اساس قرار نوفمبر .

وكان يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ يوماً حاسماً للاسرائيليين ، ليس فقط لانهم أسقطوا فيه أربع طائرات ميج - ٢١ يعتقد أن طيارها كانوا من الروس ( وأحيط هذا الأمر بالتكتم من الجانبين في نفس الوقت ) . وانما اكتسب هذا اليوم صفة الحسم أيضاً من أن الاسرائيليين فقدوا فيه فجأة ثلاث طائرات في المعركة الجوية التي دارت فوق منطقة القناة ، فقد أسقطت طائرتا فانتوم وطائرة سكاي هوك ، واحدة بنيران المدفعية المضادة للطائرات وحدها ، والاخرى ان أسقطتهما الصواريخ . وأسقطت طائرة فانتوم أخرى بصاروخ من طراز سام - ٢ بعدها ببضعة ايام . وقد كان انطيارون الاسرائيليون يفترضون أن المعدات الالكترونية المضادة للصواريخ والموجودة بطائراتهم مستمكن من تحويل اتجاه الصاروخ عند اقترابه من الطائرة ، لكن هذا لم يحدث تلك المرة . وأسقطت الطائرات الاسرائيلية بصواريخ من طراز ( سام - ٢ ) الجديد الذى زود بجهاز « رادار للتوجيه الأخير » يقوم بتوجيه الصاروخ الى هدفه ويتميز بمدى أكبر من الترددات التي لا تستطيع الأجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ التقاطها . وبالرغم من الشائعات والتكهنات التي ترددت ، فان المصريين لم يقيموا حتى ذلك الحين مواقع لصواريخ سام - ٣ في منطقة تمتد بعمق خمسة وعشرين ميلاً غرب القناة . وكان المصريون قد حققوا تفوقاً محدداً ، اضطر الاسرائيليون رغم ما يتسمون به من عناد - الى التوقف بعض الوقت الى أن يمدحهم الأمريكيون بأسلحة مضادة أحدث . .



وكانت أمريكا تقوم في ذلك الوقت بتطوير جيل جديد من النظم الإلكترونية المضادة ذات الأداء العالي ، وأرسلت أمريكا الى الاسرائيليين خلال بضعة ايام نحو مائة من أحدث الاجهزة الإلكترونية المضادة للصواريخ التي كانت مزودة بمضى أكبر من الترددات وبأجهزة حساسة اضافية . وكانت هذه الاجهزة المضادة للصواريخ - التي تحملها طائرات الفانتوم على أطراف أجنحتها - تحتوي على « أجهزة تشويش » تنتج موجات كهرومغناطيسية لها نفس تردد نظم التوجيه وتتبع الهدف الموجود بالصاروخ المهاجم للطائرة ( اليها ) . وعند تشغيل الاجهزة الإلكترونية المضادة للصواريخ تتداخل موجات أجهزة التشويش مع تردد موجات الصاروخ المهاجم فينحرف عن مساره . . . وكان صاروخ سام - ٢ المعدل يحمل ترددات أكثر بكثير مما كانت تحمله الاجهزة الإلكترونية المضادة للصواريخ التي كان يستخدمها الاسرائيليون ، لكن الاجهزة الاحدث كانت بها ترددات أكثر كثيرا . . . ومن الوسائل التي استخدمت لتلاقي آثار التشويش على الصواريخ أن تقسم أجهزة التوجيه الأرضي بسرعة بتغيير تردد الموجات اللاسلكية التي تبعث بها لنظام الرادار الذي يحمله الصاروخ ، الأمر الذي يمكن الصاروخ من الاستمرار في تتبع الطائرة المستهدفة بالرغم من عملية التشويش . وحملت الاجهزة الإلكترونية الجديدة المضادة للصواريخ أجهزة حساسة جديدة تمكن الطيار من اكتشاف هذا التغير في الترددات فور حدوثه ، فيستطيع بدوره الاستمرار في التشويش على الصاروخ بتغيير ترددات الاجهزة المضادة التي تحملها الطائرة . وسرعان ما دخل الطيارون ورجال المراقبة الأرضية لعبة « التشويش » والتشويش المضاد ، واقتناص ثمانية ليتجنب كل منهما الآخر عن طريق تغيير الترددات . وكانت الاجهزة الاسرائيلية بما تحمله من معدات الكترونية تحوم خلف كل طائرة تشترك في العمليات . وعندما تم فيما بعد اسقاط أحد هذه الطائرات ، وصفها عبد الناصر في فرح بأنها « فريسة سمينة » . فقد بدأت بحق الحرب الإلكترونية التي كان يخشاها الى حد بعيد لخوفه من أن يتفوق الأمريكيون على الروس في هذا المجال .

وكانت الطائرات الاسرائيلية تغير على شبكة صواريخ سام يوميا ، فكان يتم اطلاق صواريخ سام - ٢ على الطائرات المهاجمة في « تموجات كبيرة » او « تموجات صغيرة » مما يجعل من الصعب على الطائرة أن تتأور للهرب من الصواريخ ، لكن الاسرائيليين فقدوا عددا قايلا من الطائرات بالطيران على ارتفاع منخفض وباستخدام مهارتهم الإلكترونية . وكان تسلسل الهجوم الجوي هو أن المصريين كانوا ينتظرون الى أن تهاجمهم الطائرات الاسرائيلية فيتم على الفور اطلاق الصواريخ ، ثم تفتح نيران المدفعية المضادة للطائرات عندما تبدأ الطائرات المهاجمة في الطيران على ارتفاعات منخفضة . وكانت

الطائرات المصرية تقف مستعدة أثناء المعركة - في الهواء غالبا - بحيث تتمكن من الاندفاع والاشتباك مع الطائرات الاسرائيلية عند محاولتها العودة . . . وعند ذلك كانت جميع نيران المدفعية والصواريخ المصرية تتوقف على الفور . ونتيجة الدفعة المعنوية التي حصلت عليها القوات الجوية المصرية حوالى مائتى طيار مصرى من الاتحاد السوفيتى بعد أن قضوا سنة للتدريب هناك ليعودوا مشوقين لاطهار قيمتهم ، فانها بدأت تظهر روحا عدوانية جديدة . . . وأبدى المصريون مهارة أكبر في المعارك الجوية المباشرة ففقدوا من الطائرات عدد أقل بكثير مما كانوا يفقدونه من قبل في هذا النوع من المعارك مع الاسرائيليين .

وقام الاسرائيليون بمحاولات عنيفة يائسة للقضاء على شبكة صواريخ سام . ورغم أنهم دمروا كثيرا من مواقع الصواريخ ، كان يظهر عدد أكبر من المواقع يحل محل المواقع المدمرة . ومن الغريب أنه بالرغم من عمليات القصف والهجمات الاسرائيلية التي استخدم فيها النابالم ، وصلوا في عناد أعمال البناء والاصلاح في المنطقة الامامية وشبكة صواريخ سام . وأنتج الروس منصة متحركة لقاذفات الصواريخ ، مما أتاح امكانية نقلها بسرعة من موقع لآخر أو نقلها من المواقع المعدة لها واخفائها في تلال الرمل . وبدأ المصريون أيضا في تحريك صواريخ سام - ٢ الى الامام أثناء الليل واقامتها دون استعداد سابق ليفاجئوا بها الاسرائيليون عند بدءهم الهجوم اليومي الذي تخصصوا في شنه عند الفجر حيث كانت الشمس التي تبرز من الشرق تعمى عيون المصريين الذين يواجهونها . وكان يتم عادة - ولكن ليس دائما - اكتشاف هذه التحركات السرية عن طريق أجهزة الكشف التي تعمل بالأشعة تحت الحمراء والتي كانت الطائرات الاسرائيلية تحملها في طلعاتها الاستطلاعية الليلية . وقد اعترف الجنرال بارليف بخسائر اسرائيل من الطائرات في الفترة السابقة في مؤتمر صحفى يوم ٦ يوليو . وقال انه تم بين يوم وليلة ( ٢٩/٣٠ يونيو ) اقامة نظام جديد للصواريخ مكون من عشر بطاريات سام - ٢ مع المدفعية لمعاونة المدفعية المضادة للطائرات التي توجهه بالرادار ، مكونة « حزاما » أو ( شبكة ) طولها نحو ٤٥ ميلا . وأكد أنه ثبت أن الروس قاموا بالتخطيط والتوجيه والتنفيذ عند اقامة هذه الشبكة . وقال انه تم اكتشاف طائرتي فانتوم ونصب كمين لها بعد الفجر مباشرة . وأعلن بارليف أيضا أن المعركة للسيطرة على الضفة الغربية للقناة بدأت يوم أول يوليو . وخلال الايام القليلة التالية ، تم تدعيم شبكة صواريخ سام لتمتد في قطاع عمق حوالى ١٧ ميلا من القناة ، وكان مركزها على طريق القاهرة الاسماعيلية .

وتحدث ديان هو الآخر عن صاروخ سام - ٢ الجديد ، فقال انه به حاسبا الكترونيا أسرع كفاءة أفضل في مواجهة الطائرات التي تطير على ارتفاع منخفض ، رغم قدرتها على المناورة . وتحدث ديان أيضا على التكتيك الجديد الخاص باطلاق الصواريخ في « تموجات » صغيرة بحيث تطلق بطارية



كاملة من ستة صواريخ فى تتابع زمنى قصير متكامل ، مما يزيد من صعوبة عملية المراوغة التى يقوم بها الطيار ..

وكانت بطاريات صواريخ سام - ٢ تطلق فى فيتنام الشمالية صاروخا واحدا و اثنين فى كل مرة ، وكانت تسقط للأمريكيين طائرة واحدة كل ألف طلعة جوية . كذلك فإن المصريين أطلقوا - حتى ٣٠ يونيو - مئات الصواريخ فلم ينجحوا الا فى اسقاط طائرة اسرائيلية واحدة من طراز ( بايركب ) ..

وفى ٢٩ يونيو ، طار عبد الناصر الى الاتحاد السوفيتى ، وبقي هناك حوالى ثلاثة أسابيع . وفى أول يوليو ، أعلن الرئيس نيكسون أن الموقف فى الشرق الاوسط ، اثر خصومة من الموقف فى جنوب شرق آسيا ، حيث أن هناك احتمال حدوث مواجهة بين القوتين الأعظم ، وقل أن تجنب نشوب حرب يتطلب المحافظة على التوازن بين اسرائيل والدول العربية ، ومن ثم فإن أمريكا ستعمل على ابقاء هذا التوازن . لكن الضغط على مصر كان ثقيلًا حيث كانت القوات الجوية الاسرائيلية تضرب بعنف المدفعية وخطوط الامداد المصرية ، وكانت الروح المعنوية المصرية آخذة فى الانخفاض .

وكان هناك اعتراف شبه رسمى بأن المصريين فقدوا على جبهة القناة خلال شهر يونيو ما تراوح بين ألف وخمسمائة والفى شخص .

وفى ١٩ يوليو ، الذى كان اليوم التاسع والخمسين فى الهجوم الاسرائيلى على شبكة صواريخ سام ، اعترف الاسرائيليون أن انسيران - الصواريخ اسقطت لهم طائرة فانتوم أخرى ، الا أنهم ادعوا فى اليوم التالى اسقاطهم أربع طائرات ( ميغ - ٢١ ) . وبالرغم من الهجوم الاسرائيلى العنيف المتصل ، كان يتم بين يوم وليلة إعادة تشغيل مواقع الصواريخ والرادار التى يلحق بها التدمير أو الاصابة أو كان يتم إعادة توزيعها على مواقع جديدة متفرقة . وبدا أن ثمة امدادات لاتنتهى من الصواريخ وقاذفات الصواريخ وأجهزة الرادار والأجهزة المساعدة وكان المعتقد أنها صارت مسألة كرامة بالنسبة للسوفيت الذين أرادوا اثبات فعالية أسلحتهم فى مواجهة الطائرات الاسرائيلية . وكان هناك تكهنات مستمرة حول عدد الروس الموجودين بالفعل مع بطاريات سام والذين كانوا يقومون بتقوية وتوجيه نظم الدفاع الجوى ، كما استمر استخدام تكتيك «الموجات الصغيرة» فى اطلاق الصواريخ خلاصة القول أن الاسرائيليين لم يتمكنوا من تحييد شبكة صواريخ سام ، وأن هذا الصراع اليأس ، الذى ضم العديد من الأسلحة والأسلحة المضادة المتطورة للغاية ، استمر حتى نهاية يوليو وخلال الاسبوع الاول من أغسطس دون توقف تقريبا . ولابد أن تذكر أيضا أنه بدا أن الاسرائيليين كانوا يحصلون على كميات وفيرة من الذخيرة والأجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ . ومع وجود الطيارين السوفيت فى المواقع الخلفية ووجود شبكة صواريخ سام التى يكاد يستحيل تدميرها ، بدا أن البدائل العسكرية المتاحة

امام اسرائيل والتى كان هناك العديد منها قبل ذلك بعام واحد - قد تناقصت حتى أصبحت تنحصر فى بلدين ، هما شن حرب شاملة أو الانسحاب من الضفة الشرقية للقناة .

وفى ١٢ يوليو ، كشف جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الأمريكى عن أن الاتحاد السوفيتى كان يقوم فى الفترة السابقة بشحن معدات بر مائية لمصر ، وأن توازن القوى فى المنطقة قد تأثر نتيجة تورط سوفيتى بصورة مباشرة أكثر من ذى قبل ، لكنه امتنع عن الاجابة عما اذا كانت أمريكا ستزود اسرائيل بالطائرات التى طلبتها . وقال موسى ديان - فى حديثه للكنيست يوم ١٥ يوليو - ان الاتحاد السوفيتى قد زاد من درجة مشاركته فى نظام الدفاع الجوى المصرى . وأكد أن الطيارين السوفيت مستمرون فى التحليق فى أجواء مصر . وفى ٣١ يوليو ، ترددت أنباء عن ظهور وباء الكوليرا فى مصر وأوقفت جميع تحركات القوات بين القاهرة والاسكندرية ، حيث تأكد وجود نحو ألف وخمسمائة حالة كوليرا .

وكان الرئيس عبد الناصر قد عاد من الاتحاد السوفيتى يوم ١٧ يوليو بعد أن تم اقناعه بقبول المخاطر التى تحف بتأييده لمبادرة روجرز الثانية للسلام ، الا أن البيان السوفيتى المصرى المشترك ذكر أن الحكومتين اتفقا على أن لا يمكن اقرار السلام الا بانسحاب الاسرائيليين من الاراضى المحتلة . وبرغم استمرار تصاعد أصوات المدافع والقنابل دون انقطاع ، فقد كان وقف اطلاق النار على جبهة القناة يقترب بسرعة .

قبل محمود رياض وزير الخارجية المصرى مبادرة روجرز من حيث المبدأ وفى اليوم التالى ( ٢٣ يوليو ) ، أعلن عبد الناصر فى خطاب أذيع بالتراديو والتليفزيون موافقته هو الآخر على المبادرة . وكان مشروع روجرز للسلام يقوم على أساس قرار نوفمبر ، بما فى هذا انسحاب اسرائيل من الاراضى المحتلة واعتراف العرب باسرائيل كما تضمن وقف اطلاق النار لثلاثة أشهر . ولم يأت قبول اسرائيل للمبادرة بنفس هذه السرعة والسهولة . فقد تسببت المبادرة فى حدوث تصدع وشقاق داخل الحكومة الائتلافية يوم ٢٨ يوليو ، حتى رغم قول ديان أن اسرائيل تتمتع بالقوة الكافية التى تجعلها مستعدة لقبول حلول وسط ، طالما انها لا تقدم تنازلات تضر بمصالح أمنها القومى . ووافقت اسرائيل على برنامج روجرز للسلام من حيث المبدأ يوم ٣١ يوليو ، ثم قام اسحق رابين السفير الاسرائيلى فى واشنطن بتسليم موافقة اسرائيل الرسمية على المبادرة لجوزيف سيسكو يوم ٤ أغسطس . وكانت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل قد قالت أن اسرائيل ستشارك فى المناقشات دون أية شروط مسبقة ، الأمر الذى أدى الى انسحاب ستة من الوزراء من حزب جحال من الحكومة .

وفى اليوم السابق على قبول اسرائيل المبادرة الرسمية ( ٣ أغسطس ) كان يوثان السكرتير العام للأمم المتحدة وويليام روجرز وزير الخارجية



الأمريكي قد أجريا محادثات مع جونا ريارنج الذي أعيد للاشتراك في مفاوضات الشرق الأوسط . وفي أغسطس أعلن مندوبو الدول الأربع الكبرى في الأمم المتحدة موافقة هذه الدول على مهمة يارنج السلمية . وأصبح وقف إطلاق النار ساري المفعول في منطقة القناة في العاشرة من مساء ٧ أغسطس ١٩٧٠ ( بالتوقيت المحلي ) ، لكن العمليات العسكرية العنيفة استمرت حتى المحطات الأخيرة . فقد ادعى الإسرائيليون - على سبيل المثال - أن الأسبوع الأخير من الحرب الإلكترونية شهد ١٩٤ « حادثا » . وكان من المفروض أن يتوقف تماما جميع تحركات الأسلحة والقوات في منطقة تمتد لخمس مائة كيلومتر على جانبي القناة ، حيث وافق كل من الجانبين على عدم الدفع بأسلحة أو قوات إضافية إلى هذه المنطقة .

ويقول الإسرائيليون أن خسائرهم أثناء الحرب الإلكترونية كانت ٣٤٦ قتيلا وحوالي ٣ آلاف جريح ، لكن هناك بين سجلاتهم العديدة لأرقام الخسائر . وتقديرات الإسرائيليين هي أن خسائر المصريين كانت عشرة آلاف شخص ، منهم ألفا قتيلا . وهم يقولون أن مصر كانت تعاني من مشكلة تهجير ٧٥٠ ألف نسمة . ولم يكن المصريون ( حتى ذلك الحين ) قد أعلنوا أية أرقام معقولة . ويدعى الإسرائيليون أن مصر فقدت في الفترة من يونيو ١٩٦٧ حتى ٧ أغسطس ١٩٧٠ ، ١١٠ طائرات ، بينما يعترفون بخسارة ١٦ طائرة إسرائيلية أسقطت الصواريخ ستا منها على الأقل . ولم يكن من الممكن حساب عدد مواقع صواريخ سام التي دمرت نظرا لما كان يتم من عمل جديد في بناء وإصلاح المواقع وفي إقامة مواقع زائفة للتصويب ولإلغاء بعض المواقع ، وينطبق نفس الشيء على عدد القذائف التي أطلقت والقنابل التي أسقطت .

وخلال الأسابيع الستة الأخيرة من القتال في ذلك « الصيف الإلكتروني » القصير هناك قدر أكبر من التوازن والتعادل بين الجانبين المتحاربين اللذين فقدوا نفس العدد تقريبا من الطائرات ( نحو خمس طائرات ) .

## ٩ - لقد جاءت الحرب الإلكترونية لكي تستمر

عندما أصبح وقف إطلاق النار ساري المفعول يوم ٧ أغسطس فجأة وعلى غير توقع بالنسبة للبعض ، كان كلا الجانبين على حالة انتوتر والاستعداد لخوض « الجولة الثانية » بعد أن تلقيا أحدث وأكثر الأسلحة والأسلحة المضادة تطورا ، وكان كل منهما واثقا أن النصر سيدين له في هذه الجولة . فقد كان المصريون قد تلقوا صواريخ أكثر تطورا من طراز سام - ٢ وسام - ٣ مع أجهزة الرادار المساعدة لها التي كان كثير منها جديدا تماما لم تتم بعد تجربته في ميدان المعركة . وكان يتم إقامة مواقع لهذه الصواريخ في المواقع الامامية كما كانت مجموعة أخرى من الطيارين المصريين قد عادوا لتوهم من الاتحاد السوفيتي بعد أن تلقوا تدريباً هناك . كذلك كانت أمريكا قد بعثت لإسرائيل بمائتين على الأقل من الأجهزة الإلكترونية المضادة للصواريخ من أحدث طراز . وكانت هذه الأجهزة تضيء نورا في كابينة الطيار لتنبيهه إلى أن صاروخا معاديا قد انطلق موجهاً إليه ، مما يمكن الطيار من التشويش على الصاروخ والمناورة للهروب منه . كما كان الرادار يرسل اتوماتيكيا مجموعة من الاشارات المضادة المضبوطة على الترددات الروسية بهدف التشويش على توجيهات الرادار للصاروخ .

وبالرغم من أن وقف إطلاق النار أدى إلى تأجيل « الجولة الثانية » ، فإن المصريين تجاهلوا حالة « الجمود العسكري » تجاهلا صارخا ، وبدوا على الفور يحركون بطاريات صواريخ سام صوب القناة حتى يحرم « المدى المؤثر » للصاروخ خط بارليف من أي غطاء جوي . وكان هناك ١٦ بطارية عاملة من صواريخ سام في شبكة سام يوم ٧ أغسطس ، منها بطارية واحدة فقط لصواريخ سام - ٣ . وسرعان ما بدا واضحا أن هناك تحركا كبيرا لصواريخ سام في منطقة وقف إطلاق النار . وبالرغم من شكاوى إسرائيل المتهاجة من أن المصريين كانوا يتنقلون الأسلحة إلى المنطقة المحرمة ، فقد كانت الأمم المتحدة والولايات المتحدة تأملان في أن يكون كل ما هنالك هو تعديل أو إعادة تنظيم لمواقع بطاريات سام التي كانت موجودة بالفعل في المنطقة .

وبعد خمسة أيام فقط من وقف إطلاق النار ، أي في يوم ١٢ أغسطس تقدمت حكومة إسرائيل إلى يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة بشكوى حول الانتهاكات المصرية لوقف إطلاق النار . وفي ٢٣ أغسطس ، قال موشي ديان - في حديثه أمام الكنيست - أن ستا على الأقل من قاذفات صواريخ سام قد نقلت إلى منطقة « الجمود العسكري » . وقال ميلفين ليرد وزير الدفاع الأمريكي يوم ١٦ أغسطس أنه كان من الصعب إثبات صحة الادعاءات الإسرائيلية من عدمه لكن المتحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية اعترف يوم



١٧ أغسطس بأن الطائرات الأمريكية كانت تقوم بطيران استطلاعية على طول القناة . وفي ١٩ أغسطس ، اعترف الأمريكيون بأن المصريين ، حركوا الصواريخ المصرية إلى الاسكندرية ، ولم تبدأ محادثات السلام في الشرق الأوسط بقرار الأمم المتحدة بنسبها بين جوتار يارنج ومسؤولي مصر والأردن وإسرائيل إلا يوم ٢٥ أغسطس . وسرعان ما انتهت هذه المحادثات بانسحاب أمريكا وإسرائيل منها .

وفي أول سبتمبر ، أعلن المسؤولون الأمريكيون أن لديهم معلومات غير مرضية عن المصريين يخرقون شروط وقف إطلاق النار . وقالت رئيسة الوزراء جولدا مائير يوم ٣ سبتمبر أن حكومتها ستجرب مناقشة مسبقة ، مع الولايات المتحدة حول القضايا المتعلقة بانتهاكات وقف إطلاق النار . وكان في إسرائيل شعور عام بأن إسرائيل كانت على خطأ في وثوقها بالضمانات الأمريكية تلك الفترة . وفي قبولها سبتمبر روجرز للسلام ، وأصبح واضحاً بدرجة متزايدة أن المصريين كانوا يدفعون بصواريخ سام إلى منطقة وقف إطلاق النار بهدف بناء شبكة صلبة من صواريخ سام تشكل حاجزاً قوياً كان يهدف ببطء صوب القناة . . . وتأكد هذا في تقرير لمجلس الدراسات الاستراتيجية صدر يوم ٥ سبتمبر وجاء فيه أنه أقيمت في منطقة وقف إطلاق النار منذ ٧ أغسطس ٤٥ موقعا للصواريخ تم تسليم ثلاثين منها خلال الفترة التنظيمية منذ وقف إطلاق النار ، مما جعل في المنطقة نحو ٢٧٠ قاذفة صواريخ . . . وأتممت إسرائيل يوم ١١ سبتمبر أن في منطقة وقف إطلاق النار ٩٠ موقعا للصواريخ ، وأنه تم نقل أول مجموعة من صواريخ سام - ٣ إلى المنطقة .

وخلال الأسابيع التالية مباشرة لوقف إطلاق النار ، نفذت على مصر كميات من الأسلحة الحديثة كان من بينها المدفع المضاد للطائرات من طراز ( رد اس يو ٢٣ x ٤ ) الجديد المزود بأربعة مرامي لإطلاق النار والتي يتم توجيهه بالرادار ، والتي يحمل على مركبة مجزرة ويستطيع إطلاق ٤ آلاف دفعة من الطلقات في الدقيقة . . . ولم يكن هذا المدفع قد شوهد قبلها إلا في الاتحاد السوفيتي وفرنسا . فكان بعد أفضل المدافع السوفيتية في مواجهة الطائرات التي تظهر على ارتفاع منخفض . وقد اعترف متحدث عسكري مصري يوم ٢٨ أغسطس بأن الاتحاد السوفيتي قد زود مصر بالمدافع ( زد اس يو ٢٣ x ٤ ) وغيره من الأسلحة . وكان ضمن هذه الأسلحة الأخرى عدد قليل من صواريخ سام - ٤ ذات القاذبات المزدوجة المحمولة على عربات مجنزرة ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تظهر فيها هذه الصواريخ خارج دول حلف وارسو . . . وكان بين الأسلحة الأخرى كذلك المدفع السوفيتي عيار ٢٠٣ مم ، إلى جانب معدات أخرى منها مركبات وطائرات بر مائية . وانضمت الحرب الأهلية في سبتمبر ١٩٧٠ في الأردن بين حكومتها الملك حسين والقذافيين لستمر من ١٧ إلى ٢٧ سبتمبر .

وتدخل عبد الناصر ، فتوسط شخصيا لإبرام اتفاق القاهرة الذي جاء في وقته تماما لاتفاق القذافيين مؤقتا من الإجابة في الأردن . . . وتوفي عبده الناصر فجأة اثر أزمة قلبية ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، ليكون آخر دور سياسي لعبه هو دور صانع السلام . وفي ٥ أكتوبر اختارت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي بالإجماع أنور السادات مرشحا لرياسة الجمهورية . وأيد مجلس الأمة هذا الترشيح يوم ٧ أكتوبر ، ليتم رئيسا لمصر يوم ٢٢ أكتوبر . وأصبح محمود فوزي رئيسا للوزراء في ٢٣ أكتوبر . وقد قال محمود رياض وزير الخارجية المصري يوم ٦ أكتوبر إن مصر لن تقبل وقف إطلاق النار مؤقتا حتى لا يتحول إلى وقف دائم لإطلاق النار . لكن الرئيس السادات أعلن يوم ١٩ أكتوبر قبوله مد وقف إطلاق النار لفترة ٩٠ يوما محددة ونهائية شريطة استئناف محادثات يارنج ، إلا أن الإسرائيليين رفضوا العودة لهذه المحادثات . . . وحتى وأحد كذلك ، فقد بدأت فترة ثانية مدتها تسعون يوما لوقف إطلاق النار اعتبارا من ٦ نوفمبر .

وزاد الاتحاد السوفيتي من الدعم العسكري لمصر ، فقد أعلن متحدث عسكري إسرائيلي يو ١٠ أكتوبر أن هناك أكثر من ألف من العسكريين السوفيت يعملون ضمن أطقم بطاريات سام - ٣ داخل منطقة وقف إطلاق النار ، وأن هناك ٥ مواقع لصواريخ سام - ٣ بين مواقع صواريخ سام العشرين التي أقيمت منذ ٧ أغسطس ، وأن كلا من هذه المواقع الخمسة يتطاب مائتي رجل على الأقل لحراسته . وفي ٢٦ أكتوبر ، قال المايجور جنرال إهارون ياريف مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية أن الدفاعات السوفيتية والمصرية على طول القناة تشكل « واحدا من أكثر نظم الصواريخ تقدما في العالم » ، وأضاف أن على الضفة الغربية للقناة مائتين وخمسة وستة صواريخ . وفي نفس اليوم ، أعلنت جولدا مائير رئيسة الوزراء الإسرائيلية أن الإسرائيليين استقطوا أربع طائرات يفودها طيارون سوفيت قبل بدء وقف إطلاق النار مباشرة . . .

وقال متحدث عسكري إسرائيلي يوم ٣ ديسمبر أنه بالإضافة إلى وجود ١٣ ألف خبير سوفيتي في مصر ، ووجود ٣ آلاف منهم في منطقة القناة ، هناك « عشرات » من الجنرالات الروس في مصر أقاموا مقر قيادة قادرا على القيام بعملية عسكرية محدودة دون استشارة موسكو ، وأن معاونيهم أقاموا نظام قيادة قادرا على توجيه قوات سوفيتية ضخمة في حالة نقل مثل هذه القوات جوا إلى مصر . وعند نهاية السنة ، كانت التقارير تجمع على أنه لازال في مصر مائتا طيار سوفيتي يعملون على طائرات ( الميج - ٢١ ) وأن الاتحاد السوفيتي حصل على سيطرة كاملة على ستة قواعد جوية مصرية ، وأن في مصر ما بين ١٢ ألفا و ١٥ ألفا من الأفراد السوفيت يعملون فيما بين ٧٥ ، ٨٥ من مواقع صواريخ سام ، بالإضافة إلى ٤ آلاف فني سوفيتي يعملون في صيانة المعدات ، وأن لدى مصر حوالي ١٥٠ من صواريخ بحر/بحر السوفيتية من طراز لونا التي يصل مداها إلى ٤٠ ميلا .



وكان من نتيجة التجاهل الصارخ لوقف إطلاق النار أن استأنفت أمريكا امداداتها العسكرية لإسرائيل . فقد قالت صحيفة نيويورك تايمز يوم ٢٤ أكتوبر أن الولايات المتحدة قد وافقت على أن ترسل لإسرائيل ١٨٠ دبابة من طراز ( باتون ام - ٤٨ ) كجزء من برنامج يتضمن صفقات أسلحة قيمتها خمسمائة مليون دولار . وأكد المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية يوم ١٥ نوفمبر أن إسرائيل ستحصل على ١٨ طائرة سكاي هوك إضافية ، وأن إسرائيل تلقت حتى ذلك الحين ٨٨ طائرة سكاي هوك و ٧٠ طائرة فانتوم .

ورغم عدم إطلاق النار عبر القناة بصفة عامة ، فقد وقعت حوادث عرضية من الاشتباكات الصغيرة التي كانت تميل للزيادة . . . ففي ٢٣ نوفمبر على سبيل المثال ، اتهم الإسرائيليون المصريين بالقيام بثلاث طلعات بطائرات سوخوى - ٧ فوق الضفة الشرقية للقناة . . . وفي أول ديسمبر أغرق قارب داورية تابع للأسطول الإسرائيلي زورقا مصرياً في خليج السويس بدعوى أن الزورق كان يقوم بأعمال المخابرات وبتهريب الحشيش . . . وفي ٤ ديسمبر ، وقع أول اشتباك مسلح منذ ٧ أغسطس حيث قتل الإسرائيليون جندياً مصرياً كان ضمن داورية عبرت القناة إلى الضفة الشرقية في القطاع الجنوبي ، وفي آخر أيام السنة الالكترونية ( ١٩٧٠ ) أعلن المصريون أن قواتهم المسلحة قد انتهت لتوها من تدريبات استمرت سبعة أيام تم خلالها تمثيل عملية عبور القناة والاندفاع إلى داخل سيناء .

لقد كانت حرب الاستنزاف التي بدأها عبد الناصر آخر حروبه ، وقد أرادها حرباً تقليدية ، إلا أنها خرجت عن مدى سيطرته وتطورت إلى الحرب الالكترونية التي كان يهابها لخشيته أن يتفوق الأمريكيون على الروس في هذا المجال . وقد بدأت مصر حرباً تقليدية غير ناجحة ، ولكن بمجرد تغير طبيعة الحرب فجأة ١٩٧٠ أصبح عبد الناصر أكثر نجاحاً في الميدان العسكري من أي وقت مضى ، حيث أجبر القوات الجوية الإسرائيلية على الابتعاد عن أجواء مصر وجعل نطاق عملياتها محدوداً بمنطقة القناة . وعند الوصول لهذه النقطة ، أصبح عبد الناصر يستطيع كما قال مفاخرًا أن يفاوض من موقع القوة ، فوافق على وقف إطلاق النار بالرغم من الرفض الذي ساد العالم العربي الذي كان يطالب في صخب باستمرار العمليات العسكرية ضد إسرائيل .

لأن كيفية سير « الجولة الثانية » من الحرب لو لم يوقف إطلاق النار مسألة تخضع للتكهن المحض . فبالنظر إلى الثقل الكبير للأسلحة السوفيتية واعداد الأفراد السوفيت الذين كانوا في مصر ، وإذا لم يواصل الأمريكيون ويزيدوا مساعدتهم العسكرية لإسرائيل ، فربما كان الإسرائيليون سيضطرون إلى الانسحاب من خط بارليف الذي كان سيتعرض بعد حرمانه من التغطية الجوية لعمليات قصف ثقيلة من جانب الطائرات والصواريخ والمدفعية . . . وفي مثل هذه الظروف ، كان سيصبح أمام الإسرائيليين إما أن يبنوا خطاً على غرار خط ماجينو لتحمل القصف ، وهو يمكن بطبيعة الحال الالتفاف حوله ،

أو أن ينسحبوا إلى داخل سيناء . . . وكان من شأن هذا أن يكون لدى جنرالات هيئة الأركان سؤال مطروح دائماً عن أفضل موعد للانسحاب إلى جبل بير جفجافة المنحدر ، حيث يمكن التخلي عن استخدام الخطوط الصلبة الحصينة في الدفاع ، مما يجعل بمقدور الإسرائيليين أن يعودوا إلى أسلوب حرب الحركة الذي برعوا فيه . ومن الواضح أنه إذا كانت الجولة الثانية قد وقعت لتورط الأفراد السوفيت فيها بدرجة كبيرة ، ولا يمكن - الاعتراض إلا عن طريق الحرص - والتخمين - تحديد ما إذا كان تورطهم سيؤدي إلى إشعال نيران الحرب العالمية الثالثة أم لا . ويستطيع المرء إلى حد ما القول بأن هذا لم يكن ليحدث حيث لم تكن الحكومة السوفيتية لتذهب إلى هذا المدى بما هو معروف عنها من ذكاء عملي ورغبة في جنى ثمار الحرب لا في خوض الحرب ذاتها . . .

وعند محاولة الخروج بدروس مستفادة من الحرب ، نجد أنه باستثناء دروس الحرب الالكترونية ، يبدو ألا دروس هناك . وباستثناء استخدام الأسمنت مكان أكياس الرمل بشكل أكثر تحرراً ، فإن المشهد يذكرنا بحرب الخنادق في الحرب العالمية الأولى ، بما كان يضمنه من خطوط دفاعية على جانبي القناة دفعات من طلقات الأسلحة الثقيلة عبر الممر المائي الدولي الضيق . . . وفيما يتصل بموقف الدفاعات التقليدية في مواجهة غارات الطائرات . وفي المراحل الأولية لهجمات الطائرات لم يزد الأمر كثيراً على ما ظهر إبان الحرب العالمية الثانية . كذلك باستثناء استخدام الإسرائيليين لطائرات الهليكوبتر فإن هجمات الكوماندوز ( بما فيها الغارات في العمق ) استخدمت فيها مفاهيم تكتيكية ظهرت في الحرب العالمية الثانية . . . وكانت قناة السويس تفصل بين القوتين البريتين المتحاربتين ، وكانت في معظم الجوانب تشكل عقبة دموية ، وهو نفس الموقف الذي كان قائماً في الفلاندرز منذ نحو خمسين سنة ، ولكن بصورة مصغرة .

لقد كانت السياسة العسكرية المصرية - التي وضعها عبد الناصر بصورة غامضة في الكثير من الأحوال - هي الاعداد لليوم الذي تجتاح فيه القوات المسلحة المصرية خط بارليف ، وتتقدم فيه تشكيلاتها المدرعة عبر سيناء ليمتدحرو الإسرائيليين أمامها إلى أن تستولى على تل أبيب وتحتلها ، وهي نفس السياسة التي استمر الرئيس السادات في اتباعها . وخاف حاجز الأمن النسبي الذي شكله الممر المائي ، تمكن عبد الناصر ( بمساعدة السوفيت ) من إعادة بناء جيشه الذي وصل عدده عند وقف إطلاق النار إلى ٦٥٠ ألف رجل ، وكان يتكون من ثلاث فرق مدرعة وأربع فرق مشاة ميكانيكية وخمس فرق مشاة . وكانت الكفاءة العالية هي سمة الألوية المدفعية المصرية الستة عشر التي كانت مشتركة في عمليات شبه مستمرة . لكن كون معظم المدافع المصرية « مقطورة » وليست على عجلات تجعلها قادرة على الحركة ووضعها في ملاجئ من الأسمنت لحمايتها من الغارات الجوية الإسرائيلية ، كل هذا جعل رجال المدفعية المصريين يواجهون مشكلة عدم القدرة على الحركة



وكان الطرف الحاد الحقيقي ، للحربة ، المصرية الرخوة هو وحدات الكوماندوز العشرون التي تميزت برجال تلقوا تدريباً جيداً وبتمسكون بالكفاءة والقدرة على النضال ، مما جعل هذه الوحدات تحقق من النجاح أكثر بكثير مما اعترف به الاسرائيليون .

وقد ارتفعت الروح المعنوية للقوات المسلحة المصرية ببطء بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ . وخلال سنتين من الهزيمة ، وصلت الى مستوى عال بدأت تنفذ بعد ارتقاعا وانخفاضاً بالتناسب مع الموقف السياسى عادة ، ونتيجة لانعدام النشاط العسكرى الموعود . وعادت الروح المعنوية المصرية الى الارتفاع بصفة عامة خلال ١٩٧٠ . وطيلة هذه الفترة ، كان هناك عنصر جديد يمثل فى الضباط صفار السن المتعطل لدخول الحرب ، والذين نفذ صبرهم عندما تزايدت كفاءة وقدره وحداتهم ، لكن الجانب الاساسى من الجيش انصرى ظل لم يختبر فى ميدان القتال . أما شجاعة أولئك الذين خاضوا غمار الحرب ، مثل رجال المدفعية والمشاة ، فكانت جذيرة بالثناء الى أقصى حد . وعندما كان الطيارون الاسرائيليون يقومون بمحاولاتهم الميانية ١٩٧٠ لتدمير شبكة صواريخ سام ، لم يكن هناك اعتراف صريح بشجاعة وجلد المصريين ( وربما الروس أيضا ) الذين كانوا يمدون على انقور بنساء مواقع الصواريخ والرادار بين يوم وليلة .

وقد تحدثت الصحافة الاسرائيلية والغربية فى استخفاف عن الطيارين المصريين وعن تفوق الاسرائيليين عليهم مشيرة الى أن المصريين فقدوا مائة وعشرة طائرات مقابل ست عشرة طائرة اسرائيلية فقط . لكن هذا لا يحكى القصة كاملة . فقد ظل الطيارون المصريون لفترة طويلة أقل مستوى من الطيارين الاسرائيليين من حيث التنظيم والمهارة والخبرة لكن معرفتهم بهذا لم تمنع كثيرا منهم من مواجهة الاسرائيليين فى القتال بغض النظر عن الظروف غير المواتية أو الخسائر . وقد شاهدنا الطيارين المصريين يقومون باضراب احتجاجا على عدم السماح لهم بالاقلاع للقتال فى الوقت الذى كانت السياسة المصرية فيه هي التحفظ وعدم المخاطرة بالطائرات . ونتيجة للموقف الالكترونى خلال الاسابيع الاخيرة من الحرب ، كان هناك قدر أكبر من التعادل والتوازن بين الطيارين المصريين والطيارين الاسرائيليين حيث فقد كلا الجانبين نفس العدد من الطائرات تقريبا . لقد كانت هناك تعليقات كثيرة على المهارة والاقدام والكفاءة التى تتسم بها القوات المسلحة الاسرائيلية وهى تتمتع بالفعل بمستوى عال من التنظيم لكن الروح المعنوية - لجنود المشاة بصفة خاصة - كانت تميل الى التقلب خاصة أثناء ادائهم لواجباتهم فى داوريات خط بارليف . فقد كان دور الدفاع الثابت الجديد بالنسبة لجيش ظل الشكل الوحيد للدفاع بالنسبة له حتى سنة ١٩٦٧ هو العمليات الهجومية المتحركة ، هذا الدور الاستراتيجى عمل روتينى ممل على افضل تقدير . وكانت سياسة الاسرائيليين فى زمن الحرب هي : أن يدفعوا الى القتال بأفضل تشكيلاتهم أولا ، ثم يبدأون تباعا فى استخدام الالوية التى

حصلت على تدريب أقل أو المزودة بمعدات أقل ، كل فى الوقت الذى يتطلبه استواء من الكفاءة . وفى حرب يونيو ١٩٦٧ ، لم تشترك بعض الالوية - خاصة من المشاة - فى العمليات على الإطلاق ، لكن الالوية الممتازة شاركت فى كثير من العمليات . وكانت حراسة خط بارليف مهمة القيت على عاتق المشاة ، وشارك فيها لواءان وأحيانا ثلاثة ألوية من المشاة . وكانت التشكيلات المدرعة الى الخلف على بعد عدة أميال من القناة مستعدة لصد أى محاولة للنزول على شاطئ القناة . وكذلك كان الحال بالنسبة لرجال المدفعية الذين كانوا يتقدمون باستخدام مدافعهم المتحركة - ليطلقوا انصار وينسحبوا من حين لآخر . ومن ثم نجد أنه بينما قد لا يشك المرء فى احتفاظ الالوية المدرعة بقدرتهم على شن هجوم متحرك وبممنوياتهم المرتفعة ، وكذلك المظليين الذين استخدموا أساسا فى غارات الكوماندوز . فإن المرء ربما يتساءل عن الاثر الذى خلفته هذه الحرب على رجال المشاة الاسرائيليين الذين يشكلون ما بين ٢٢ ، ٢١ لواء تستطيع اسرائيل تجميعها فى حالات الطوارئ .

لقد كانت الحرب جوهرها حربا سوفيتية مصرية ، فبينما قدم المصريون ميدان المعركة ومعظم الموارد والقوة البشرية ، فقد كانت المساهمة السوفيتية ضخمة ممثلة فى الطائرات والصواريخ والأسلحة وانفجيرات و الجنود والطيارين ورغم أن الدول العربية كانت تطالب فى صخب بشن حرب شاملة ضد اسرائيل وتحت عبد الناصر على التقدم ، فإن عددا قليلا منها هو الذى قدم له أى مساعدة عمالية ، وعددا أقل هو الذى بعث بجنود ليقاتلوا معه . فليبيا والسودان والجزائر والكويت هى فقط التى أرسلت كتائب من قواتها الى منطقة قناة السويس . وربما تكون هناك أسباب سياسية جعلت لواء جيش التحرير الفلسطينى المتمركز فى منطقة القناة يبدو غير نشط . واحتفظت اسرائيل بميزة أنها تقاتل تحالفا من الدول العربية قلقلها منقسما مترددا يفتقر الى الثقة بين أطرافه .

ونأتى أخيرا الى الجانب الالكترونى من هذه الحرب ، وهو الذى يكسبها أهميتها فى التاريخ ، ويرفعها من هوة العسكرية التقليدية فنقول انه لا خلاف على أن القوتين الأعظم قد استخدمتا ميدان القتال الصغير فى الشرق الاوسط لاختبار أداء معدتهما الالكترونية فى المعركة . فلو أن كلا القوتين امتنعا عن امداد المتحاربين بالطائرات والأسلحة وكافة المساعدات العسكرية ، لما كانت الحرب الالكترونية ولما أمكن خوضها . وقد حصل كل من أمريكا والاتحاد السوفيتى على خبرة وتجربة الكترونية عظيمة الى جانب معلومات هامة للغاية للبحث ستسهم فى تطوير قدراتهما العسكرية ، وهى مكاسب لم تكونا لتحصلا عايبها دون هذه الحرب . والصحف العلمية حافلة بكثير من المعلومات الالكترونية ذات الطبيعة العسكرية التى تتسم بطبيعة فنية خالصة تجعل من الصعب نقلها أو شرحها للقارئ العادى ، ولكن يبقى - بطبيعة الحال - كم هائل من المعلومات المحظور نشرها .



وتبقى لي في دراسة الحرب الالكترونية - التي كانت بحق الاولى من نوعها في التاريخ - أربعة استنتاجات . الاول : هو أنه في الحرب الالكترونية - كما هو الحال بالنسبة لأي شكل من أشكال الحرب - يعد تطور درجة تعقيد الاسلحة والمعدات حتميا ، وأنه في مقابل كل تقدم الكتروني يحقق ميزة لأحد الجانبين ، سيتم السعي الى تحقيق تقدم مضاد ، سيتم تحقيقه أخسر الأمر . ونحن قد رأينا التطورات المتعاقبة التي حدثت في فعالية الاجهزة الأمريكية الالكترونية المضادة للصواريخ . .

الاستنتاج الثاني هو أن الحرب الالكترونية موضوع يتطلب درجة عالية من التخصص ، فيتطلب تدريباً متخصصاً ومهارات خاصة للتوصل الى الأساليب الفنية المطلوبة لإدارة المعركة من تشويش مضاد وخداع ومراوغة ، وهذا يعني ضرورة أن يضاف الى الجيوش عنصر آخر متخصص يزيد من تعقيدها أكثر مما هي .

والاستنتاج الثالث هو أن أحزمة أو شبكات الصواريخ لم يعد ينبغي أن تكون ثابتة ، كما كان الحال غالباً عندما كانت المدافع المضادة للطائرات تدافع عن مواقع ثابتة ، بل يمكن لها أن تتحرك الى الامام مما يجعلها ( ان لم تتمكن الاجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ من تحييدها ) قادرة « بمداها المؤثر المائل » على حرمان العدو الذي تواجهه من الغطاء أو الدعم الجوي . ويمكن أن يكون للتشكيلات الكبيرة أحزمة للصواريخ الخاصة بها التي تؤدي مهمة حماية التشكيلات الى جانب المساعدة في الهجوم ، وهذا ممكن حيث يمكن حمل صواريخ سام على مركبات مجنزرة لتوفير حرية الحركة لها . . وقد دخل المصريون الى هذه المرحلة . فبعد أن ظلوا يعتمدون على اقامة مواقع ثابتة لقاذفات الصواريخ في شبكة قوية حتى وقف إطلاق النار تقريبا ، بعد هذا مباشرة « تقدمت » شبكة صواريخ سام صوب قناة السويس ولم يعد باستطاعة الاسرائيليين أن يفعلوا شيئا بالنسبة لها .

أما الاستنتاج الرابع فهو أن الالكترونيات لا يمكن حتى الان أن تحل محل الرجال بالكامل فهي - على سبيل المثال - لا تستطيع التفارقة بدرجة كافية بين الطائرات الصديقة والطائرات المعادية المرصودة على شاشات الرادار . فالطائرات المصرية كانت تبقى على ارتفاعات عالية ولا تنقض لمهاجمة الطائرات الاسرائيلية الا بعد توقف نظام الصواريخ عن العمل ، وتشغيل أو وقف نظام الصواريخ يتطلب حساب التوقيت بكسور الثانية ، ونظن أن - المصريين - وربما - الاسرائيليين - أيضا لابد قد فقدوا طائرات أسقطتها نيران صواريخهم أو مدفعيتهم المضادة للطائرات ، كما حدث لدول كثيرة من قبل أثناء الحرب . .

لقد أحرزت الحرب الالكترونية تقدما هائلا في حرب الاستنزاف التي شنها عبد الناصر ، وضمنت لنفسها مكانا ثابتا على الخريطة ، وأصبح محتما حدوث تطورات جديدة . وإن يمر وقت طويل قبل أن ندخل عصر « الحرب بالالكترونيات » وهي الحرب التي ستقوم فيها طائرات بدون طيارين بمهاجمة نظم صواريخ تعمل أوتوماتيكيا ، دون أن يوجد في ميدان المعركة أي فرد . . وربما نتطلع الى حرب تكون الخسائر الاساسية فيها من الآلات والمعدات الالكترونية لا الافراد ، حيث قد يقوم بتشغيل الاجهزة الالكترونية المتحاربة فنيون بزيهم التقليدي بوجهون الاجهزة عن بعد بدلا من الجنود بزيهم العسكري ولا بد للمرء أن ينتهي الى القول بأن استخدام الالكترونيات في الحرب قد جاء ليبقى . وأن درجة اشتراك الالكترونيات لن يحد منها الا حجم الثروة والموارد والقدرة الفنية المتاحة للدول المعنية ، أو قدرتها على اغراء دول اكبر بامدادها بالوسائل العسكرية الالكترونية ، كما هو الحال بالنسبة لمصر واسرائيل .



## محاولة ضرب قلب مصر

وهو قد وضع رأيه هذا في غاية الدقة والاحكام . وفي ٢٥ يناير ذكر الرئيس نيكسون أن الأمريكين لن يفرضوا السلام في الشرق الاوسط ولن يتفاوضوا نيابة عن دول المنطقة ، الا أنهم على استعداد « لتقديم المعدات العسكرية اللازمة لدعم جهود الحكومات الصديقة - مثل حكومة اسرائيل - للدفاع عن سلامة شعوبها » . وطلبت اسرائيل على الفور خمسا وعشرين طائرة فانتوم وثمانين طائرة سكاي هوك أخرى . وأثار هذا استجابة روسية فورية . ففي ٣ فبراير ، بعث كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتي بمذكرة شخصية الى الرئيس نيكسون عرض فيها وجهة النظر السوفيتية التي كانت تبدى أن أمريكا تضمن تفوق اسرائيل ، وأن مصر تكاد تكون دون أى دفاع في مواجهة الطائرات الاسرائيلية التي تهاجم حسبما تريد وأن أمريكا التي بدأت تصعيد الحرب بامدادها اسرائيل بطائرات الفانتوم المزودة بأسلحة الكترونية مضادة للصواريخ تتطلب أسلحة الكترونية مضادة مماثلة لمواجهةها . . . ولم يكن للروس رغبة كبيرة في أن يبعثوا الى مصر بمعداتهم الالكترونية المتطورة . . .

وكان هذا راجعا - في جانب منه - الى رغبتهم في ألا يطلع العالم على أسرار هذه المعدات وهو ما كان سيحدث في حالة استيلاء اسرائيل على أى منها ، كما كان يرجع أيضا الى أنه اذا وضعت هذه المعدات في أيدي غير خيرة ثم ثبت عدم فعاليتها ( كما في حالة صواريخ سام - ٢ في فيتنام ) فان هذا من شأنه أن يسئ الى مظهرهم .

## ملحق (١)

عام ١٩٦٧

- ٥ - ١٠ يونيو : الحرب العربية - الاسرائيلية الثالثة التي تسمى أيضا حرب الأيام الستة ، والتي هزم فيها الاسرائيليون المصريين واضطروهم للانسحاب حتى قناة السويس .
- ٢٠ يونيو : زيارة رئيس الأركان السوفيتي لمصر .
- ٢١ يونيو : الرئيس السوفيتي يزور مصر .
- ٢٥ يونيو : أول شحنة من الاسلحة السوفيتية تصل الى مصر جوا .
- أول يوليو : رجال الكوماندوز المصريون يحاولون عبور القناة .
- ٣ يوليو : الاسرائيليون يعترفون بوقوع أول عملية تخريبية في سيناء .
- ٥ يوليو : مصرغ ضابطين اسرائيليين بنيران مدافع المورتار المصرية .
- ٨ يوليو : القصف المصري يؤدي الى مصرغ ٥ اسرائيليين واصابة ٣١ آخرين .
- ١٢ يوليو : الاسرائيليون يغرقون زورقي طوربيد مصريين .
- ١٤ يوليو : أول قصف للمدفعية المصرية الثقيلة عبر القناة .
- ٣٠ أغسطس : بدء مؤتمر الخرطوم ( الذي استمر حتى ٣ سبتمبر ) .
- ١٤ سبتمبر : انتحار المشير عبد الحكيم عامر .
- ٢١ أكتوبر : المصريون يغرقون المدمرة الاسرائيلية ( ايلات ) .
- ٢٤ أكتوبر : تدمير معملين لتكرير البترول في سيناء السويس نتيجة القصف الاسرائيلي بالمدفعية الثقيلة ومدافع المورتار .
- ٢٢ نوفمبر : الامم المتحدة تصدر « قرار نوفمبر » رقم ٢٤٢ .
- ٢٣ نوفمبر : خطاب ناري لعبد الناصر .
- ٣ ديسمبر : تعيين الجنرال بارليف قائدا لأركان الجيش الاسرائيلي .



## عام ١٩٦٨

- فبراير : الاضطرابات الطلابية في القاهرة وحلوان .
- يونيو : سفر عبد الناصر الى موسكو ليطالب المزيد من الاسلحة .
- أكتوبر : الاسرائيليون يبدأون في تحصين خط بارليف .
- ٨ أكتوبر : اسرائيل تتقدم بمشروع سلام للأمم المتحدة .
- ٢٦ أكتوبر : « عملية معر متلا » المصرية ، التي كانت أقوى عملية قصف حتى ذلك الوقت .
- ٣٠ أكتوبر : غارة نجع حمادى التي كانت أول عملية لرجال الكوماندوز الاسرائيليين في عمق مصر .
- نوفمبر : اضطرابات طلابية في مصر .
- ١٦ نوفمبر : انشاء مجلس الدفاع القومى فى مصر .
- ٢٨ ديسمبر : الكوماندوز الاسرائيليون يغرون على مطار بيروت .

## عام ١٩٦٩

- ٤ فبراير : تعيين ياسر عرفات رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية .
- ٢٤- فبراير : اعلان حالة الطوارئ فى مصر .
- ٢٦ فبراير : وفاة ليفى أشكول رئيس الوزراء الاسرائيلى .
- ٢٧ فبراير : عبد الناصر يزور القوات المصرية فى منطقة القناة .
- ٦ مارس : تعيين جولدا مائير رئيسة لوزراء اسرائيل .
- ٩ مارس : مصرع الفريق عبد المنعم رياض بقذيفة اسرائيلية على جبهة القناة فرض الاظلام الكامل فى مصر .
- صاروخ سام - ٢ يسقط طائرة اسرائيلية ( بايركب ) .
- ٢٧ مارس : عبد الناصر يعلن بدء حرب الاستنزاف فى خطابه بالاتحاد الاشتراكي العربى .
- ٢٩ مارس : الغارة الانتقامية الاسرائيلية الثانية على الصعيد .
- ٢٤ مايو : صاروخ هوك اسرائيلي يسقط طائرة ميج - ٢١ مصرية للمرة الاولى .
- ٢٩ يونيو : ثالث غارة لقوات الكوماندوز الاسرائيلية على الصعيد .

أول يوليو : جولدا مائير رئيسة الوزراء الاسرائيلية توجه تهديدات مستمدة من التوراة .

- ٧ يوليو : يوثانت يتحدث عن « الحرب العلنية على طول القناة »
- ١٩ يوليو : الاسرائيليون يغرون على الجزيرة الخضراء .
- ٢٠ يوليو : أول غارات مصرية على المناطق التي تحتلها اسرائيل ، وأول معارك جوية هناك . واستمر هذا التحدى المصيرى للقوات الجوية الاسرائيلية أسبوعين .
- ٢٧ يوليو : مصرع المراقب السويدي عضو مجموعة المراقبين التابعين للأمم المتحدة .
- ٩ سبتمبر : الاسرائيليون يشنون « حرب الساعات العشر » .
- مصرع احد كبار المستشارين العسكريين السوفيت .
- ١١ سبتمبر : ١٠٢ طائرة مصرية تغير على سيناء .
- سبتمبر : القوات الجوية الاسرائيلية تقصف مواقع صواريخ سام ومواقع الرادار .
- ٢٨ أكتوبر : روجرز يتقدم بمبادرته للسلام ( وتم الاعلان عنها يوم ٩ ديسمبر ) .
- أكتوبر : القوات الجوية الاسرائيلية تبدأ تدمير نظم الانذار المبكر المصرية .
- ٨ نوفمبر : غارة بحرية مصرية على رمانة .
- ٦ ديسمبر : تبادل الاسرى ٢ اسرائيليان مقابل ٥٨ مصرية .
- ١٨ ديسمبر : وزير الحربية المصرية يزور موسكو ليطالب المزيد من الاسلحة .
- ٢٢ ديسمبر : اسرائيل ترفض مبادرة روجرز .
- ٢٣ ديسمبر : الاتحاد السوفيتى يرفض مبادرة روجرز .
- ٢٥ ديسمبر : خمس زوارق حربية فرنسية الصنع يهرب بها افراد اسرائيليون من ميناء شيربورج « ووصلت الزوارق الى اسرائيل يوم ٣١ ديسمبر »
- ٢٧ ديسمبر : رجال الكوماندوز الاسرائيليون يغرون على رأس غارب ويستولون على جهاز رادار سوفيتى جديد من طراز ( بى - ١٢ ) .



- ٧ يناير : أول غارة اسرائيلية فى عمق مصر .
- ٢٢ يناير : الاسرائيليون يغرون على جزيرة شدوان .  
- زيارة عبد الناصر لموسكو لطلب أسلحة أكثر تطورا .
- ٥ فبراير : الضفادع البشرية المصريون يدمرون سفينتين اسرائيليتين فى ميناء ايلات .
- ٦ فبراير : الطائرات الاسرائيلية تغرق سفينة مصرية لزراع الانعام .
- ١٢ فبراير : الاسرائيليون يقصفون مصنعا فى ( أبو زعبل ) .
- ١٤ مارس : الكوماندوز الاسرائيليون يهبطون على الضفة الغربية للقناة .
- ١٨ مارس : انباء عن صواريخ سام - ٣ لمصر .
- ٢٣ مارس : الاسرائيليون يبدأون مهاجمة شبكة سام من الجو .
- آخر مارس : انباء عن وصول طائرات ( ميغ - ٢١ ج ) السوفيتية الجديدة الى مصر ومعها طيارون سوفيت .
- اوائل ابريل : الطيارون السوفيت يقومون بطلعات دفاعية فوق وادى النيل
- ٨ ابريل : الاسرائيليون يقصفون مدرسة مصرية .
- ١٣ ابريل : آخر غارة اسرائيلية فى العمق المصرى .
- مايو : المصريون يبنون شبكة جديدة من صواريخ سام .
- أول مايو : خطاب لعبد العناصر يؤذن بعودته كزعيم واثق بنفسه .
- ٣ مايو : رجال الكوماندوز المصريون يطلقون الصواريخ على منطقة الطور التى تحتلها اسرائيل .
- ٤ مايو : الطائرات المصرية تغير على العريش .
- ١٣ مايو : المصريون يغرقون قارب صيد مصرية .
- ١٦ مايو : الطائرات الاسرائيلية تغرق مدمرة مصرية وزورق صواريخ من طراز كوماز .
- ١٩ مايو : غارة للكوماندوز المصريين عبر القناة .
- ٢٨ مايو : بدء هجمات جوية اسرائيلية على بور سعيد استمرت ثمانية ايام .
- ٢٥ يونيو : وزير الخارجية الامريكى روجرز يعلن مبادرته الثانية للسلام .
- ٢٩ يونيو : عبد الناصر يطير الى موسكو . ( وظل بها حتى ١٧ يوليو ) .
- ٢٩ - ٣٠ يونيو : صواريخ سام - ٢ المدلة تتحرك صوب القناة - الاسرائيليون يفقدون فجأة ثلاث طائرات .

- ١٩ يوليو : صواريخ سام تسقط طائرة اسرائيلية رابعة .
- ٢٣ يوليو : عبد الناصر يقبل مبادرة روجرز للسلام .
- ٤ اغسطس : اسرائيل تقبل مبادرة روجرز للسلام .
- ٥ اغسطس : الدول الاربعة الكبرى بالامم المتحدة تقر مهمة يارنج للسلام .
- ٧ اغسطس : وقف اطلاق النار عبر القناة على « وقف العمليات العسكرية » فى منطقة تمتد خمسين كيلو مترا على جانبي القناة .



ملحق ( ب )  
قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الصادر  
في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧

مجلس الأمن :

اذ يعبر عن قلقه المستمر ازاء الموقف الخطير في الشرق الأوسط ، واذ يؤكد على عدم جواز حيازة الاراضى عن طريق الحرب ، وعلى الحاجة للعمل لاقرار سلام عادل ودائم تستطيع في ظل جميع دول المنطقة ان تتمتع بالأمن ، واذ يؤكد مرة أخرى على أن جميع الاعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالعمل بمقتضى المادة الثانية من الميثاق ، يقرر :

مادة ١ - يؤكد المجلس على أن تطبيق مبادئ الميثاق يتطلب اقرار سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط على ان يتضمن هذا السلام تطبيق المبادئ التالية :

أولاً : انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من اراضى احتلت خلال النزاع الأخير ..

ثانياً : انتهاء حالة الحرب ، واحترام ، والاعتراف بسيادة وتكامل اراضى جميع دول المنطقة واستقلالها السياسى وحقتها فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة معترف بها دون تعرض للتهديدات أو أعمال العنف .

مادة ٢ - يؤكد المجلس من جديد على ضرورة :

( أ ) ضمان حرية الملاحة فى المجارى المائية فى المنطقة .

( ب ) التوصل الى تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ..

( ج ) ضمان عدم امكان انتهاك اراضى جميع دول المنطقة واستقلالها السياسى عن طريق اجراءات من بينها اقامة مناطق منزوعة السلاح .

مادة ٣ - يطلب المجلس الى السكرتير العام تعيين ممثل خاص يتوجه الى الشرق الأوسط البدء والاستمرار فى الاتصالات مع الدول المعنية بهدف التوصل الى اتفاق ومساعدة الجهود التى تستهدف التوصل الى تسوية سلمية ومقبولة وفق مواد ومبادئ هذا القرار ..

مادة ٤ - يطلب المجلس الى السكرتير العام أن يقدم فى أسرع وقت ممكن تقريراً الى مجلس الأمن عن مدى تقدم جهود - الممثل الخاص -

١٣٤

فهرس

٢	شكر وعرفان
٥	مقدمة
٩	١ - كتب البقاء للرئيس عبد الناصر
٢٣	٢ - الاستعداد العسكرى
٢٧	٣ - البحث عن الأسلحة
٤٧	٤ - حرب الاستنزاف
٥٨	٥ - الصراع الجوى
٧٤	٦ - تدخلات القوة الجوية
٩٣	٧ - الطبيعة الالكترونية للحرب
١٠٥	٨ - المعركة الالكترونية
١١٩	٩ - لقد جاءت الحرب الالكترونية لكى تستمر
١٢٨	محاولة ضرب قلب مصر
١٢٩	ملحق ( أ ) عام ١٩٦٧
١٣٠	عام ١٩٦٨
١٣٠	عام ١٩٦٩
١٣٤	ملحق ( ب ) قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧



